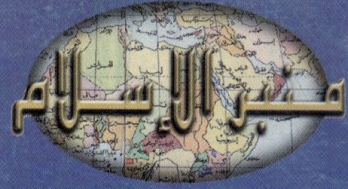


ملف العدد  
دراسة في فكر مضطرب  
مع العدد هدية القُرّوس مجلة "الفضل للسلام"

السنة (٥٨) العدد (٣) ربيع الأول ١٤٢٠ هـ  
يونيو - يوليو ١٩٩٩ م - الثمن ١٠٠ قرش

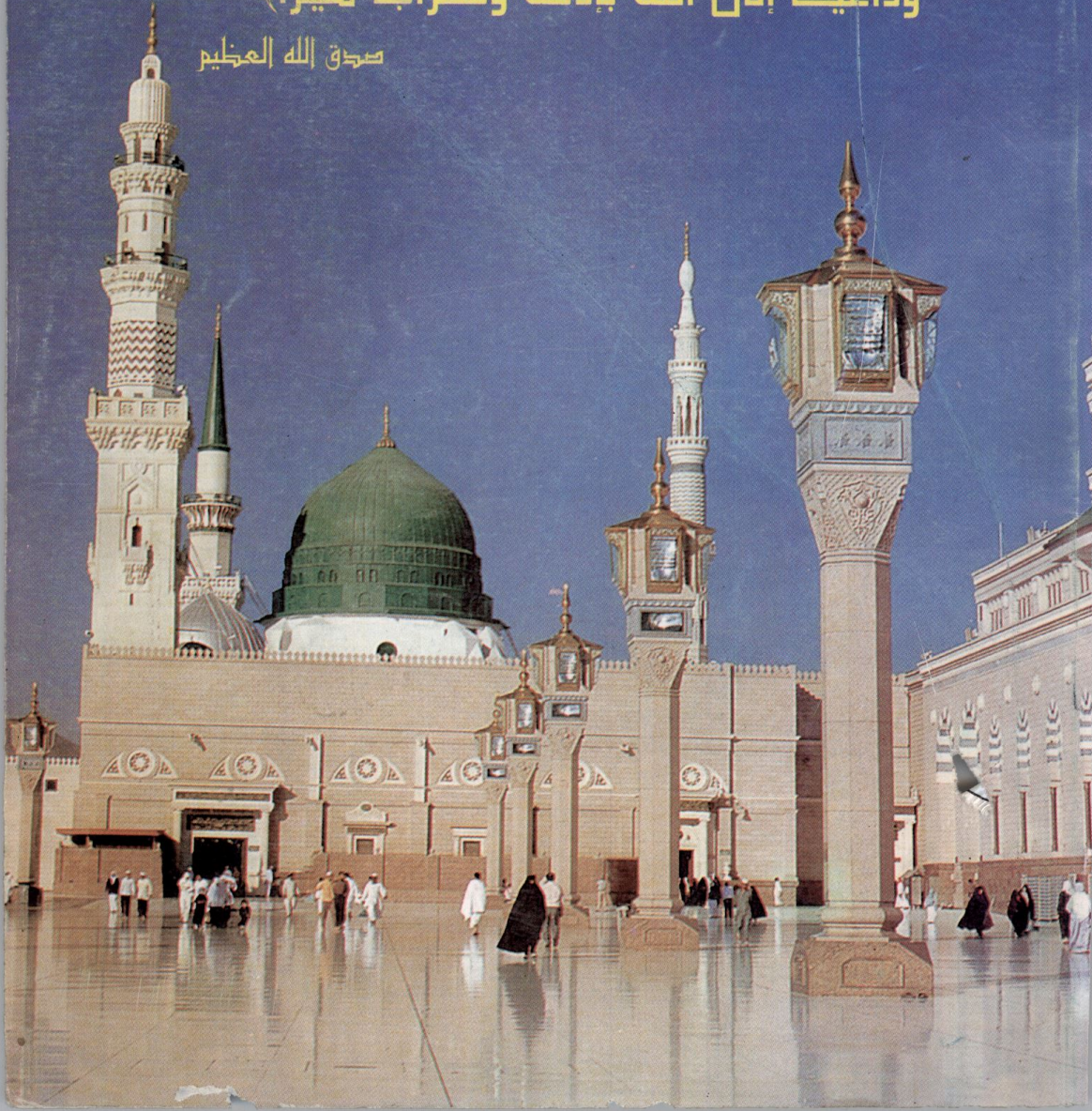


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾

وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾

صدق الله العظيم





## من محتويات العدد

### غلاف الشهر

جانب من المسجد النبوى  
الشريف بعد عملية  
إعمارهِ وتوسعته الشاملة.

\* تفسير سورة الحديد

د. محمد سيد طنطاوى

\* الكتاب والسنة صنوان أصلهما واحد

فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي

\* قُتِلَ الخَاصُّونَ .. حديث الشهر

أ. د. عبدالصبور مرزوق

\* الرسول ﷺ يبنى مجتمع المدينة

د. محمد إبراهيم الجيوشى

\* سنة الرسول ﷺ فى بناء القادة

لواء محمد جمال الدين محفوظ

\* حول حق الزوجة فى الخلع

المستشار حسن حسن منصور

\* الشفاعة عند السلف والخلف

د. عبدالعزيز غنيم

\* تقرير حول مقترح التربية الدينية الصادر عن

مركز ابن خلدون

د. سعد ظلام

### الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ١٢ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى - « بريد جوى »

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا .

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية وأستراليا واليابان.

#### المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٢٥٤١٦٢٧ - ٢٥٥٨٦٦٤

تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة



## كلمة التحرير

بين يديك عزيزي القارئ عدد جديد من مجلة «منبر الإسلام» له خصوصيته من حيث احتفال الأمة العربية والإسلامية بذكرى ميلاد رسول الإنسانية ﷺ الذي أرسله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين، فهو رسول الإنسانية كلها قاصيها ودانيها فله الفضل والمِنَّة أن أرسله لا إلى العرب فحسب بل أرسله رحمة للعالمين فأنقذ به البشرية من الضلال ووجهها إلى حيث الخير والرشاد، وشاء الله أن يختتم الرسالات السماوية بخاتم الأنبياء والمرسلين إذ أدبه فأحسن تأديبه وأبعده عن كل رجس وكمله بالطهر فكان سلوكه قبل البعثة كسلوكه بعد البعثة قدم حياته وعرفها قبل البعثة كدليل على صدق رسالته اصطفاؤه الله وفطره على النبل والعفاف والصدق، ولقد شهدت الدنيا بأن تعاليم رسول الإسلام في مجالات الحياة جميعها إنما هي ذروة مكارم الأخلاق. ويأتي احتفال المسلمين بذكرى هذا المولد

العظيم كمظهر من مظاهر شعورهم بالوفاء لرسول الهداية ﷺ ليبعث

فينا روحاً جديدة تؤهلنا إلى

استكمال الفضائل وتوحيد

الكلمة وتحسين

الأعمال وتوثيق

الآمال وإنماء

الصلاح في

قلوبنا.



منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

## رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدي زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

## رئيس التحرير

الدكتور: عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

## مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد هيكـل



# ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾

الذاريات: آية ١٠

دخل الجهلاء مع العملاء فازداد الطين بلة

ما يجري ليس ضلال أشخاص لكنه مخطط كبير

أ. د. عبد الصبور مرزوق

عجزت القوى الطامعة في مصر والفاقهة تماما لمكانتها في الحفاظ على الإسلام. عجزت هذه القوى عن الاختراق السياسي لمصر.

فتسللت من باب « الضالين والمنحرفين » من بعض المنتسبين زورا إلى محيط المثقفين والثقافة وجدت فيهم ضالتها واستثمرت زيغهم العقدي في محاولة التضليل والبلبل والتشكيك في المقدسات والثواب.



## الاختراق وضلال منحرفي الفكر

يصبح من فرض العين على كل مسلم أن يتصدى لهؤلاء المكذبين الضالين يرد كيدهم في نحورهم، ويحمي العقيدة من أضاليلهم.

وقد أخذ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية من خلال «منبر الإسلام» أن يرصد كل محاولاتهم الخبيثة وأن يكشف بالبرهان والدليل كذبهم وافتراءاتهم وأن يكشف عن دورهم الخبيث في الكيد للإسلام ولأمة المسلمين.

فنشرت في عددها السابق دراسة قيمة للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي فتد فيها تفاهة وسخف ما يكتبه هؤلاء الضالون المكذبون راغبين إلى الظفر بمرضاة من يعملون لحسابهم ثم إلى تحصيل شهرة زائفة في الناس من منطلق شعار «خالف تعرف».

ولذا قام منهج «منبر الإسلام» على حرمانهم من الشهرة بإغفال أسمائهم اكتفاء بفضح أكاذيبهم والتحذير من خبائثهم.



لكن الأمر جاوز دور «العملاء» إلى دور آخر يتولاه «الجهلاء» وقليلو البضاعة من الثقافة الدينية أخذ بعضهم ينصب من نفسه مفتيا في الدين ومشرعا من نوع «معاصر» يحاول تفسير الإسلام وفق

ولأن مثل هذه النوعيات من البشر تقتدم مقومات الاعتزاز الداخلي بذواتها، وتفتقد أقدس ما يعتز به أي مسلم وهو ألا يأتيه يوم يكشف الله عنه ستره ويجرده من حياته فيجترئ على محارم الله! الآن هؤلاء يفتقدون هذا السياج الحافظ من الضلال والزلل فقد سقطوا وبسهولة، في مستقع العملاء لأعداء عقيدتهم وأوطانهم وأمتهم..



وحين فشلت محاولتهم لإثارة الفتنة الطائفية في مصر.. قصدوا إلى استعادة دور «ابن السوداء» عبدالله بن سبأ الذي كان يهوديا وأسلم وعمل في صدر الدعوة، وخاصة عهد الإمام علي عليه السلام على نشر الأضاليل والمفتريات والتبشير بالفكر الباطني مما حدا بعلي عليه السلام إلى نفيه عن البلاد.

ويحاول هؤلاء الضالون المكذبون القيام بدور ابن سبأ في التشكيك بالكتاب والسنة اللذين هما عماد العقيدة والميراث الأعظم الذي قال عنه الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله وسنتي».



وحين يبلغ الأمر هذه الحافة الخطرة



معطيات العصر وإن خالفت الثوابت.



والمفزع أن أحد «الخاطئين» من هؤلاء ينتسب إلى بيت كان له دور كبير في الدعوة إلى الإسلام والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله لا بما أصبح ينذر بعموم البلوى واشتداد الخطر.

لذا أخذنا على

أنفسنا العهد في «منبر الإسلام» أن يكون التصدى للملاء وللجهلاء على سواء هو قضيتنا المحورية التي لا يخلو منها عدد وأن نمضي في دفع المبطلين لإحقاق الحق ولخذلان الباطل.



ولن تكون مجلة «منبر الإسلام» وحدها وسيلتنا في التصدى لهؤلاء، وإنما سنجعل من السلسلتين الثقافتين اللتين يصدرهما المجلس أول ومنتصف كل شهر عربى. سنجعل منهما قذائف للحق، ومصابيح تهرب من أضوائها الخفافيش.

إنها قضية عقيدة..

وأنه مصير أمة..

ولن نترك اللاعبين بالنار حتى نكبهم على أذقانهم فيها..



وآمل ألا يفسر بعض قرائنا الأعزاء أن هذا الاحتشاد الذى أتحدث عنه على أننا نجتاز حالة قنوط أو ضعف، فمحال على من يقول لهم ربه «وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين».

محال على أهل الإيمان أن يأسوا من روح الله، ومحال على من يزداد يقينهم كل يوم بصدق سنن الله وقوانينه فى إحقاق الحق وإزهاق الباطل أن تأخذهم لحظة من قلق أو تردد.

لكنها معركة..

معركة يصحبها مناخ عالمى صليبي وثنى معاد للإسلام

تتعاون فيه - كل القوى المعادية بما تملك من فنون القوة - تتعاون على الكيد للإسلام، ومن ثم تكون الكلمة المكتوبة التي تساعد على حسن تقدير المواقف.. تكون معلما على الطريق فى التنبيه إلى الخطر، ونذيرا يوقظ الغافلين ليقوم كل مسلم بدور الفرض الكفائى فى الدفاع عن الرسالة الخاتمة التي لن تجد البشرية خلاصها مما تعانيه إلا بما فى الإسلام من أطواق النجاة.

«ولينصرن الله من ينصره».

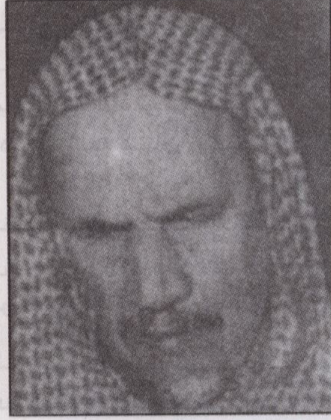
## الاختراق وأزمة الفكر العميل

اقرأ ملف العدد

دراسة فى فكر مضطرب



# رحم الله شيخنا ابن باز



الشيخ ابن باز

عاشته سنين عددا يوم كنت  
أشرف على إدارة العمل في رابطة  
العالم الإسلامي بمكة المكرمة في  
السبعينات وأعوام من الثمانينات.  
رأيت فيه خلق العالم الأصيل  
الذي يحفظ للعلم كرامته ومكانته.  
ويصدق بقول الحق لا يخشى في  
الله لومة لائم.



كان عقله وقلبه وبيته مفتوحة  
جميعها لأبناء الإسلام الوافدين  
من خارج المملكة للحج أو الاعتمار  
أو الدراسة يرعاهم ويهون أمامهم  
المصاعب، ويعينهم على اجتيازها  
بنصحه وماله.

كان نموذجا لجيل العمالة من  
الفقهاء الذين تركوا بصماتهم في  
صفحة الاجتهاد والدرس.

وكان نموذجا لبساطة العالم  
وتواضعه وخفض جناحه لمريديه  
ومحبيه وتلاميذه.

وكان قبل هذا نموذج العالم

المتمكن الذي يقدم حجه  
وأسانيده في أي مسألة يعالجها  
كبرت أو صغرت.



رحيل سماحة الشيخ ابن باز  
يعتبر خسارة كبرى في صرح  
الفقه، والبحث والفتيا والاجتهاد.  
لا أملك إذا رأيته إلا أن أصدع  
بما أمرنا به القرآن فأقول معزيا  
نفسى وأمتى: «إنا لله وإنا إليه  
راجعون».

أ. د. عبدالصبور مرزوق



## ياسيدى يا رسول الله لو أحسنوا فهم السلام لأسلموا

شعر: محمد التهامي

يا حـامـلَ الآياتِ والسـُـوراتِ  
وتردُّ كلَّ جـديـدةٍ لَمـواتِ  
ويزيدُ في الإشراقِ والنَّفحاتِ  
في كلِّ ماضٍ في الزمانِ وآتى  
نوراً فبددَ حالِكِ الظلماتِ

يبقى كتابا خالدَ الصفحاتِ  
فإليك حتماً منتهى الخطواتِ  
ما غيرُ دينك سَلَمٌ لنجاةٍ

أن ينقذَ الدنيا من العائراتِ  
فيضاً من الأنوارِ والرحماتِ  
ويسطّطه في حكمةٍ وأناةٍ  
ما كان أبعدهم عن الخيراتِ  
وأقمتَ بين إسـاءةٍ وأذاةٍ  
في أعناقهم في عزّةٍ وثباتِ  
وأقمتَ حقّك خافقَ الراياتِ  
لا يَسْتَوِي حقُّ بغيرِ حُماةٍ  
للخيرِ والتوفيقِ والبركاتِ  
من شَهوةٍ تطغى ومن نَزواتِ  
تِيهها من الأهوالِ والظلماتِ

نَفْسِي وهامت بالحقيقة ذاتي  
كالنور في المصباح في المشكاةِ  
وَمَضَتْ مسالكها إلى النكباتِ  
في صَحواتي يأتي وفي غَفواتي  
في زَحمةِ الدنيا وفي خَلواتي  
في بَسَمَتِي يأتي وفي عَبراتي  
القاه في شَرِي يذود دُعائِي  
وخواطري ومشاعري وحياتي

القولُ فيك مُعَطَّرُ الكلماتِ  
تتـمـاقبُ الأيامُ في دورانها  
وضيالكَ ينمو كلُّ يومِ نوره  
وضياءَ هجرتك الشريفة مُشرق  
فيها دعاءُ الله فاضَ ضياؤه

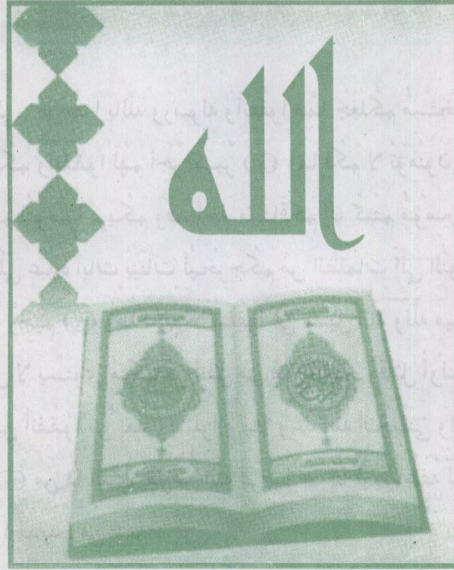
فالحقُّ منك ومنك إشراقُ الهُدَى  
إن شَرِقَ الهادون عنك وغربوا  
لو أحسنوا فَهَمَ السلامِ لأسلَمُوا

لما أراد الله جلَّ جلاله  
أهداك ربك للوْزى ياسيـدى  
يا صاحب الحق الكبير حملته  
ودعوت للخيرات قوما ضلُّوا  
ودعوت حتى كنت أصبَر من دعا  
وصبرت ثم هجرت ثم ضريت  
فحظيت بالنصر الكبير مؤزراً  
وضريته مثلاً لكل مكابر  
علّمنا سرَّ الحياة وقُدّتنا  
جنَّبنا الزللَ الكبير وصنّتنا  
من يَفْصِدِ الدنيا بدونك يَلْقَها

لما عَرَفْتُ بك الحقيقة أَشْرَقَتْ  
وارتاح طوفانُ اليقين بخاطري  
إن ضاقت الدنيا وغاب ضياؤها  
القاه في الليل البهيم وفي الضحى  
القاه في الحق المجلجل في دمي  
القاه من حَولى وبين جوانحي  
القاه في خيرى يزيد دُعائه  
القاه في قلبى وملء نواظري



# القرآن الكريم وعلومه



- تفسير سورة الحديد
- من أخلاق القرآن.. خلق الرجاء



# تفسير سورة «الحديد»

نظرات  
في  
مكتاب الله  
تعالى

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي  
شيخ الأزهر

قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرُّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)﴾

(١١) الحديد: من ٧ - ١١

موجه إلى الناس جميعا، ويدخل فيه المؤمنون دخولا أوليا، ويكون المقصود بدعوتهم إلى الإيمان: المداومة عليه والتمسك بتعاليمه، وتنفيذ توجيهاته، كما قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ..﴾ سورة النساء: آية ١٣٦.

١ - بعد أن ذكرت الآيات السابقة بضع عشرة صفة من الصفات الجليلة للخالق - عز وجل - جاءت هذه الآيات الكريمة لتحض المؤمنين على التمسك بما أمرهم خالقهم به عن طريق رسوله ﷺ، ولتدعوهم إلى تنفيذ ما كلفهم به، فإنهم متى فعلوا ذلك كانوا ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه. والخطاب في قوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾



وقوله: **«وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه»** بيان لما يقتضيه هذا الإيمان.

وقوله: **«مستخلفين»**: اسم مفعول من الاستخلاف، بمعنى أن يخلف الإنسان غيره. أو أن يخلفه غيره من بعده. والمعنى: آمنوا - أيها الناس - بالله - تعالى - وبرسوله ﷺ إيماناً حقاً، وإن من مقتضيات هذا الإيمان، أن تتفقوا من أموالكم في وجوه الخير، فإن هذه الأموال هي أمانة في أيديكم قد ورثتموها عن غيركم، وغيركم سيرثها عنكم، وهي في جميع الأحوال ملك لله - تعالى - وحده على الحقيقة.

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : قوله **«وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه»** دليل على أن أصل الملك لله - سبحانه - وحده، فإن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضى الله فيثيبه على ذلك الجنة، فمن أنفق منها في حقوق الله، وهان عليه الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه، كان له الأجر الجزيل.

وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم على الحقيقة، وما أنتم إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتموا الفرصة فيها بإقامة الحق، قبل أن تزال عنكم إلى من بعدكم (١).

ثم بين - سبحانه - ما أعده لهؤلاء المنفقين لأموالهم في وجوه الخيرات، فقال: **«فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير»**.



٢ - ثم رغبهم - سبحانه - في الثبات على الإيمان بالله ورسوله فقال: **«وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا ببركم وقد أخذ مثاقمكم إن كنتم مؤمنين»**.

أي: وأي مانع يمنعكم من الثبات على الإيمان،

ومن القيام بتكاليفه، ومن إخلاص العبادة له - تعالى - وحده، والحال أن الرسول ﷺ بينكم صباح مساء، يدعوكم إلى الإيمان ببركم، وقد أخذ - سبحانه - عليكم العهود والمواثيق على هذا الإيمان عن طريق ما ركب فيكم من عقول تعقل، وعن طريق ما نصب لكم من أدلة متنوعة كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله الواحد القهار.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: «المعنى: وأي شيء يمنعكم من الإيمان، والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك، ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به، وقد روي في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا: فالأنبياء. قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ قالوا: فنحن. قال: فما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً، قوم يجيئون بعدكم، يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها» (٢).

وقوله - سبحانه - **«وقد أخذ مثاقمكم إن كنتم»** تأكيد لوجوب الثبات على الدين الحق.

أي: كيف لا تؤمنون حق الإيمان، وكيف تقصرون فيما كلفكم الله - تعالى - به، والحال أنه - سبحانه - قد أخذ عليكم العهود بأن تخلصوا له العبادة والطاعة، والرسول ﷺ بينكم يدعوكم إلى هذا الإيمان، ويقنعكم بوجوب الاعتصام به؟



٣ - ثم ذكر - سبحانه - جانباً من مظاهر فضله على نبيه ﷺ وعليهم فقال: **«هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرعوف رحيم»**.



للتوبيخ، فإن ترك الإنفاق بغير سبب قبيح منكراً، ومع تحقيق ما يوجب الإنفاق أشد في القبح وأدخل في الإنكار (٣).



٥ - ثم قال - تعالى - : **«لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا»**.

والمراد بمن أنفق من قبل الفتح وقاتل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين أنفقوا الكثير من أموالهم قبل فتح مكة. وقيل: المراد بالفتح: صلح الحديبية.

وإنما كان الذين أنفقوا وقاتلوا قبل هذا الوقت، أعظم درجة ممن فعل ذلك بعد هذا الوقت، لأن الأيام التي سبقت الفتح، تعرض المسلمون خلالها لكثير من المصائب والخوف والجوع ونقص الثمرات، فكان الإنفاق والجهد فيها أشق على النفس، والثواب على قدر المشقة.

أى: لا يستوى منكم - أيها المؤمنون - في الفضيلة والدرجة من أنفق الكثير من ماله من قبل أن تفتح مكة وجاهد في سبيل الله - تعالى - جهاداً كبيراً، أولئك الذين فعلوا ذلك أعظم درجة ومنزلة من الذين أنفقوا وقاتلوا بعد أن فتحت مكة.

فالجمله الكريمة بيان لتفاوت الدرجات على حسب تفاوت الأحوال والأعمال.

وعطف - سبحانه - القتال في قوله: **«وَقَاتِلُوا»** على الإنفاق في قوله: **«أَنْفَقُوا»** للإشعار بشدة ارتباطهما، وأنه لا غنى لأحدهما عن الآخر.



٦ - وقوله - تعالى - : **«وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى»**: مدح للفريقين، ودفع للتوهم من أن يظن ظان أن الفريق الثانى وهو الذى أنفق من

والرؤف: مبالغة في الاتصاف بالرفقة. ومعناها: كراهية إصابة الغير بما يضره أو يؤذيه. والرحيم: مبالغة في الاتصاف بصفة الرحمة، ومعناها: محبة إيصال الخير والنفع إلى الغير.

أى: هو - سبحانه - وحده الذى ينزل على عبده ورسوله محمد ﷺ **«آيات بينات»** أى: حججاً واضحات، ودلائل باهرات، لكى يخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم. وإن الله - تعالى - بكم - أيها الناس - لكثير الرفقة والرحمة، حيث أنزل إليكم كتابه، وأرسل اليكم رسوله محمد ﷺ.



٤ - والاستفهام في قوله تعالى: **«وَمَالِكُمْ أَلَا تَتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»** للتعجب من حال من يبخل عن الإنفاق في سبيل الله، مع أن كل مقتضيات تدعوه إلى هذا الإنفاق.

والكلام في قوله - سبحانه - : **«وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»** على حذف مضاف. والجمله حال من فاعل **«أَلَا تَتَّقُوا»** أو من مفعوله المعلوم مما تقدم، وإضافة **«مِيرَاثُ»** إلى السموات والأرض، من إضافة المصدر إلى المفعول.

والمعنى: وأى سبب يحملكم على البخل وعدم الإنفاق في سبيل إعلاء كلمات الله، والحال أن الله - تعالى - ميراث أهل السموات وأهل الأرض؟ إنه لا عذر لكم في الشح والإمساك بعد أن بينت لكم ما بينت من وجوب الإنفاق في سبيل الله.

قال الألوسى - رحمه الله - : قوله - تعالى - : **«وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»** أى: يرث كل شئ فيهما، ولا يبقى لأحد مال، على أن ميراثهما مجاز أو كناية عن ميراث ما فيهما، لأن أخذ الظرف يلزمه أخذ المظروف.. والجمله مؤكدة



بعد الفتح وقاتل محروم من الأجر.

أى: وكلا الفريقين وعده الله - تعالى - المثوبة الحسنى وهى الجنة، إلا أن الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، أعظم درجة من الذين أنفقوا وقاتلوا بعد ذلك.

فهذه الآية أصل فى تفاضل أهل الفضل فيما بينهم، وأن الفضل ثابت لهم جميعا، إلا أنهم تفاوتوا على حسب أعمالهم وسخائهم وجهادهم وسبقهم.

وقد ساق الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية جملة من الأحاديث التى تدل على فضل الصحابة - رضى الله عنهم - ومنها ما جاء فى الحديث الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدٌ أحدهم ولا نصيفه».

٧ - ثم ختم - سبحانه - هذه الآيات الكريمة بتحريض أشد وأقوى على الإنفاق فى سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه فقال: «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم» قال القرطبي - رحمه الله -: «القرض: اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء. ويقال: أقرض فلان فلاناً، أى: أعطاه ما يتجازه. ويقال: استقرضت من فلان. أى: طلبت منه القرض فأقرضنى. واقترضت منه أى: أخذت منه القرض. وأصل الكلمة: القطع. ومنه المقرض. وأقرضته أى: قطعت له من المال قطعة يجازى عليها.

ثم قال - رحمه الله -: «والتعبير بالقرض إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه، والله هو الغنى الحميد، لكنه - تعالى - شبه عطاء المؤمن فى الدنيا بما يرجو به ثوابه فى الآخرة بالقرض، كما شبه إعطاء النفوس والأموال فى أخذ الجنة بالبيع والشراء (٤).



٨ - والقرض الحسن: هو الإنفاق من المال الحلال مع صدق النية دون رياء أو سمعة، مع تحرى أوسط الأموال. والاستفهام فى قوله: «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً» للحض على البذل والعطاء، والتحريض على التحلى بمكارم الأخلاق.

والمعنى: من هذا المؤمن القوى الإيمان الذى يقدم أمواله فى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، وفى غير ذلك من وجوه الخير، كمعاونة المحتاجين، وسد حاجة البائسين، فيعطيه الله - تعالى - أجره على إنفاقه أضعافاً مضاعفة؛ ولهذا المنفق - فضلاً عن كل ذلك - أجر كريم عند خالقه، لا يعلم مقداره إلا هو - عز وجل -.

فأنت ترى أن هذه الآية الكريمة قد اشتملت على ألوان من الحض على الإنفاق فى وجوه الخير. ومن ذلك التعبير بالاستفهام فى ذاته، لأنه للتبويه وبعث النفوس إلى التدبر والاستجابة.

والتعبير بقوله: «من ذا الذى» إذ لا يستفهم بتلك الطريقة إلا إذا كان المقام ذا شأن وخطر.

والتعبير بتسمية ما يبذله الباذل قرضاً، ولمن هذا القرض؟ لله الذى له خزائن السموات والأرض والتعبير بإخفاء مرات المضاعفة وضم الأجر الكريم إليها.

والخلاصة أن هذه الآية وما قبلها، فيهما ما فيهما من الدعوة إلى الإنفاق فى وجوه الخير.

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا جميعاً ممن رضى عنهم ورضوا عنه.

#### الهوامش

١ - تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٢٢٨.

٢ - تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٥.

٣ - تفسير الألوسى ج ٢٧ ص ١٧١.

٤ - تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٣٩.



# خلق الرجاء

من أخلاق القرآن ومكارم

أخلاق الإسلام خلق الرجاء. وهو خلق أهل الإيمان

المهتدين بهدى القرآن، والعاملين بسنة محمد عليه الصلاة والسلام،  
الذين عرفوا ربهم معرفة تفتح أمامهم باب الرجاء، ولا تئسهم من رحمة  
رب الأرض والسماء، وتجعلهم على حذر في كل ما يأتون من أعمال، أو  
ينطقون من أقوال.

وهو خلق تحدث فيه العلماء وذكروا له عدة تعريفات. ثم

إن له في الكتاب والسنة متسعاً كبيراً.

د. عبدالغفار عبدالرحيم محمد

وقد علم أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن القلب  
والإيمان والطاعات أدوات هذه الزراعة، وأن يوم  
القيامة هو يوم الحصاد. فينبغي أن يقاس رجاء  
العبد بالمغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب  
أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً ثم ساق إليها الماء  
ونقى الأرض من الشوك وما يفسد الزرع ثم جلس  
ينتظر من فضل الله تعالى فانتظاره هذا رجاء. فأما  
إن بذر في أرض سبخة صلبة مرتفعة لا يصل إليها  
ماء، ولا يتعاهدها أصلاً ثم انتظر الحصاد فيسمى  
انتظاره هذا حمقاً وغروراً لارضاء.

قال أهل العلم: الرجاء هو: الأمل وعدم اليأس.  
وقيل: إنه التوقع لما فيه خير ونفع. أو هو تعلق القلب  
بحصول محبوب مرغوب مستقبلاً. وقيل هو: ارتياح  
لانتظار ما هو محبوب عنده. ولكن ذلك المتوقع لا بد  
له من سبب حاصل فإن لم يكن السبب معلوم  
الوجود ولا معلوم الانتفاء سمي تمنياً لأنه انتظار من  
غير سبب. ولا يطلق إلا على ما يتردد فيه فأما ما  
يقطع به فلا، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وأخاف  
غروبها لأن ذلك مقطوع به عند طلوعها وغروبها<sup>(١)</sup>.  
ولكن يقال: أرجو نزول المطر، وأخاف انقطاعه.



فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاء ماء الطاعات، وظهر القلب من شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك حتى الموت. كان انتظاره لذلك رجاء محموداً وإن فعل عكس ذلك وانشغل برذائل الأخلاق، وانهمك في طلب اللذات ثم انتظر المغفرة كان ذلك حمقاً وغروراً.

يقول الله تعالى «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيففر لنا» سورة الأعراف: الآية ١٦٩. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكيسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والماجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى». (أخرجه الترمذى وأحمد وابن ماجه وغيرهم) (٢).

وقيل رجاؤك لرحمة من لاتطيعه خذلان وحمق. ولذلك جاء قوله تعالى: «إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم» (آية ٢١٨ سورة البقرة) أى أولئك الذين يستحقون أن يرجوا ولم يرد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجون ذلك. لما صح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل «أنا عند ظن عبدي بي» (٣) وفى رواية «فليظن بي ما شاء». وفى رواية أخرى. «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» (٤). وأشار القرآن إلى استحسان التعلق برحمة الله والرجاء لفضله فقال سبحانه : «وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها

فقل لهم قولا ميسورا». سورة الإسراء: آية ٢٨.

وهذا من تمام وكمال التعلق برجاء الرحمة والفضل والخير من الله العزيز الحكيم. أى إذا سألك أقاربك ومن معك وليس عندك شئ وأعرضت عنهم لفقد النفقة فعدهم وعداً حسناً إذا جاء رزق الله تصلهم.

إذ الرجاء الكبير والأمل العظيم إنما هو فيما عند الله لقوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» (سورة الكهف: آية ١١٠).

وقوله سبحانه : «من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم» (سورة العنكبوت: آية ٥). فهو خلق يحث على حسن التعامل مع أوامر الله ونواهيه كما يحث على حسن الاستعداد ليوم اللقاء يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ذلك أنه عندما دعا شعيب عليه السلام قومه إلى عبادة الله تعالى قال لهم : «يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين» (آية ٣٦ سورة العنكبوت).

وعندما يصدق المرء على هذا النحو فإنما يصدق فى تجارة رابحة لن تبور على أساس من الإيمان والأخلاق والعمل لقوله تعالى : «إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور» (آية ٢٩ سورة فاطر).



والجهاد قوله تعالى : «إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم» (٢١٨ البقرة).

أما الذين لا يرجون أو لا يؤمنون أو لا يتوقعون هؤلاء تحدث عنهم القرآن حديثاً تصويرياً بين فيه حال الأشقياء وقابله بحال السعداء.

أما الأشقياء فهم الذين لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وسكنوا إلى شهواتهم وأهوائهم ظننا منهم أنهم سعداء، والحق أنهم أشقياء تمسأ لأنهم غفلوا عن حياتهم وضعفوا آخرتهم بما كانوا يكسبون لقوله تعالى : «إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون» (آية ٧ سورة يونس)

هذه صورة الأشقياء فماذا عن صورة السعداء؟

قوله تعالى : «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين» (الآيتان ٩-١٠ سورة يونس).

قال ابن القيم: والرجاء ثلاثة أنواع : نوعان محمودان، ونوع مذموم فالأولان:

١ - رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه.

بل إن الله جل شأنه جعل الرجاء الواسع في فضله وبره وعطفه يمتد ليشمل المجاهدين في سبيله والعاملين في مرضاته لقوله تعالى: «وترجون من الله ما لا يرجون» سورة النساء: آية ١٠٤. إن الموقف الرائع المطمئن يبعث على الأناة والحذر والرجاء والأمل. إنه موقف المؤمنين الصادقين في لقاء العدو والجهاد في سبيل العقيدة.

إن المؤمنين المتخلفين بأخلاق القرآن يحتملون الألم والقرح في المعركة وهم ليسوا وحدهم الذين يحتملون هذا الألم بل إن أعداءهم ينالهم من الألم مانالهم. ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء. إن المؤمنين يتوجهون إلى الله بجهادهم ويرتقبون عنده جزاءهم فهم يرجون من الله ما لا يرجو هؤلاء أي أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم من الجراح والآلام ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهم لا يرجون شيئاً من ذلك . فهذه أخلاق في إيمان وتوحيد ووعد من الرحمن يدعو إلى الأمل والرجاء وينفي اليأس والقنوط.

ويناسب هذا ما أشار إليه القرآن إشارة تعطى الرجاء والأمل في رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين وذلك قوله تعالى: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلاً ما تذكرون» (آية ٦٢ سورة النمل).

ويؤكد هذه الحقيقة التي نسعى إليها في ارتباط هذا الخلق بحقائق الإيمان والتوحيد والعمل



٢. ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه.

٣. ورجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهو الغرور والرجاء الكاذب. وللسالك نظران: ينظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله يفتح عليه باب الخوف إلى سعة فضل الله وكرمه وبره، وينظر يفتح عليه باب الرجاء.

ولهذا قيل في حد الرجاء: هو النظر إلى سعة رحمة الله. وسئل أحمد بن عاصم. ما علامة الرجاء في العبد؟ فقال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجياً لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا والآخرة وتمايم عفوه عنه في الآخرة. واختلفوا أي الرجاءين أكمل؟ رجاء المحسن ثواب إحسانه، أم رجاء المسيء التائب مغفرة ربه وعفوه؟ فطائفة رجعت رجاء المحسن لقوة أسباب الرجاء معه وطائفة رجعت رجاء المذنب لأن رجاءه مجرد عن علة رؤية العمل مقرون بذلة رؤية الذنب قال يحيى بن معاذ: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال لأنني أجدني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أمنيها وأنا بالآفات معروف وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لاتغفرها وأنت بالجود موصوف. (٥).

وهذا موقف يتحدث فيه القرآن عن الذين أشركوا مع الله غيره زاعمين أنهم بإشراكهم هذا إنما يتقربون بهؤلاء الشركاء وبموالاتهم إلى رب العالمين وذلك قوله تعالى: «قل ادعوا الذين زعمتم من

دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً». (سورة الاسراء: الآيتان ٥٦-٥٧).

والمعنى: قل لهؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله شركاء له وزعموا أنهم آلهة من دونه. قل لهم: ادعوا الذين زعمتم أنهم من دون الله شركاء، فهل يجيبونكم إنهم لا يستجيبون فهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويله من مكان إلى مكان، بل لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا أولئك الذين عبدتموهم من دون الله كعزير والمسيح. يدعون ربهم يبتغون الوسيلة إليه والقربى منه بالطاعة ويخصونه بالعبادات والطاعات وقوله تعالى. (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) سورة الإسراء: الآية ٥٧. حيث لاتتم العبادة إلا بالخوف والرجاء فبالخوف ينكف عن المناهى وبالرجاء يكثر من الطاعات (إن عذاب ربك كان محذوراً) ينبغي أن يحذر من عذاب الله وعقابه وأن يتقى ذلك برجاء الفوز ببره وثوابه.

من هذا وذاك يتضح بكل سبيل أن رباط الإسلام يجمع بين أصول الاعتقاد وأعمال العباد في سياق واتساق يجعل من مكارم الأخلاق تماماً لهذا الدين لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». (٦).

يتصل بهذا قوله تعالى: «ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون» (سورة



الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون» (سورة يونس: الآية ١١) وقوله جل وعلا في السياق نفسه والسورة نفسها: «وإذا تتلى عليهم آياتنا قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسه إن أتبع إلا ما يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» (سورة يونس: الآية ١٥).

هذا لون آخر من ألوان الخطاب المتعلق بتعنت الكفار والمشركين الذين لا يرجون لله وقارا. ولا ينتظرون يوما عبوسا قمطريرا. هؤلاء الجاحدون المنكرون إذا قرأ عليهم الرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله وحججه الواضحة قالوا له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فردّ الله قولهم. وأبطل زعمهم ووصفهم بأقبح أوصافهم بقوله سبحانه : (أفلا تعقلون) ولم يكن ما كان منهم إلا بسبب جحودهم ونكرانهم وعدم توقع لقاء ربهم وجهلهم بمصيرهم. ففوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله تعالى وبما يليق بجلاله ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح فتتعطل بسبب ذلك المحبة الواجبة لله تعالى. وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء. فكل محب راج خائف بالضرورة فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه وكذلك خوفه كما يقول ابن القيم : فإنه يخاف سقوطه من عينه وطرد محبوبه له وإبعاده واحتجابه عنه. فخوفه أشد خوفاً ورجاؤه ذاتي للمحبة فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه.

فإذا لقيه ووصل إليه اشتد الرجاء لما يحصل له من حياة روحه ونعيم قلبه إلى أن قال : فتأمل هذا الموضوع حق التأمل يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة. فكل محبة مصحوبة بالخوف والرجاء. وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه لكن خوف المحب لا يصحبه وحشة بخلاف خوف المسئ، ورجاء المحب لا تصحبه علة بخلاف رجاء الأجير وأين رجاء المحب من رجاء الأجير؟! فالرجاء ضروري للمريد السالك والعارف لو فارقته لحظة لتلف أو كاد فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه وعيب يرجو إصلاحه وعمل صالح يرجو قبوله واستقامة يرجو حصولها ودوامها. وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها. ولا ينفك أحد من السالكين عن هذه الأمور أو بعضها.

ويكون الراجي دائماً راغباً راغباً مؤملاً لفضل ربه حسن الظن به متعلق بالأمل بربه وجوده عابداً بأسمائه. والله سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يرجوه ولذلك كان عند رجاء العبد وظنه به. الخ كلام ابن القيم (٧).

وفي الوقت نفسه يقول سبحانه : «وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كثيراً» (الآية ٢١ سورة الفرقان).

فهم لا يرجون لقاء الله يوم القيامة فأدى بهم هذا الجحود إلى موقف من التعسف والعناد. يطلبون فيه



الأنبياء أو تنزل عليهم فيشاهدونهم عيانا، بل طلبوا أكثر من ذلك وأشد، طلبوا أن يروا ربهم.

هؤلاء الذين هذا حالهم يصفهم الله تعالى بالاستكبار وعدم الاعتبار وأنهم لا بشرى لهم في هذه الدار وفي تلك الدار.

ذلك أن حالهم عند نزول الملائكة بالبشرى للمؤمنين تنزل عليهم بشؤم المصير وانعدام النصير إذ تقول الملائكة عند خروج روح هؤلاء. اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث اخرجي إلى سموم وحميم وظل من يحموم. فتأبى الخروج وتتفرق في البدن فيضربونه كقوله تعالى «ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم» سورة الأنفال: الآية ٥٠. هذا بخلاف حال المؤمنين الذين يرجون لقاء ربهم بالعمل الصالح والخلق الكامل لقوله تعالى: «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون» (الآية ٣٠ سورة فصلت).

وفي الصحيح عن البراء بن عازب: إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان.

يقول صاحب الظلال عليه رحمة الله ورضوانه: وحين يبلغ سياق السورة إلى هذا المقطع القوي الذي يصل قلب المؤمن بقلب هذا الوجود ويشعره بمصدر

القوة الحقيقي وهو الاهتداء إلى أسرار هذا الوجود. عند هذا يدعو المؤمن إلى الترفع والاستعلاء وسعة الأفق ورحابة الصدر في مواجهة الضعاف العاجزين الذين لا تتصل قلوبهم بذلك المصدر الثرى الغنى. كما يدعوهم إلى شئ من العطف على هؤلاء السالكين المحجوبين عن الحقائق المنيرة القوية العظيمة. من الذين لا يتطلعون إلى أيام الله التي يظهر فيها عظمتهم وأسراره ونواميسه (هل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون. من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) (الآيتان ١٤-١٥ سورة الجاثية).

فهو توجيه كريم للذين آمنوا ليتسامحوا مع الذين لا يرجون أيام الله تسامح المغفرة والعفو وتسامح القوة والاستعلاء.

#### الهوامش

١. انظر: المفردات للراغب ١٩٦.١٩٥ وتهذيب المدارج ٢٩٧ وبعدها.
٢. ابن ماجة. كتاب الزهد باب ٣١ أحمدجاء رقم ١٢٤، الترمذى ٥٥٠/٤.
٣. جامع الترمذى ٥١٥/٤.
٥. تهذيب المدارج ٢٩٧ وبعدها.
٦. الموطأ. حسن الخلق. باب ٨.
٧. تهذيب المدارج ص ٢٩٧ وبعدها بإيجاز.



## شكوى حال الأمة إلى رسول الله

شعر: محمود الطاهر الصافي

رَسُـوْلَ اللهِ أَنْتَ لَنَا شَفِـاءُ  
فَاذْكُرْ أُمَّةً مَرْضَتْ بِخُلْفِ  
عَفَتْ أَخْلَاقُهَا وَطَغَى هَوَاهَا  
فَلَا دِينَ يَرُدُّهُمْ بِمَقْلٍ  
أَذَلُّوا عَزْزَهُمْ حَتَّى نَعَاهُمْ  
وَفَاقَ هَلَاكَهُمْ مَا قَدْ تَمَنَى  
تَنَاهَبَهَا بَنُو شَرْقٍ وَغَرْبِ  
جَفَتْ إِيْمَانُهَا فَانْهَارَ صَبْرُ  
جَمْعُوعٍ كَالْأَسْوَدِ بِيَوْمِ خُلْفِ  
وَصَارَ الْغَدْرُ فِيهِمْ خَيْرَ رَيْحِ  
وَشُتْرُودٌ طَفَلُهُمْ فِي كُلِّ وَادِ  
لَقَدْ تَرَكُوا كِتَابَ اللهِ هَجْرًا  
وَلَمْ يَعِدْ «الْحَدِيثُ» لَهُمْ مَنَارًا  
فَجَاءَ ظِلَامُ شَيْطَانٍ خَبِيثِ  
فَصَيَّرَ أَمْرَهُمْ هَرْجًا وَقَتْلًا  
فَيَا نُورَ الْإِلَهِ أَضِيءْ حَيَاةَ  
يَجِدُّ أَمْرَنَا وَيَعِيدْ مَجْدًا  
وَيَمْتَصِّمِ الْجَمِيعُ بِخَيْرِ حَبْلِ  
فَتَصْبِحْ فِي رِضَاكَ عَلَى صِرَاطِ  
فَإِنَّكَ رَحْمَةُ الْكَوْنِ بَدَأَ  
رَسُـوْلَ اللهِ يَا خَلْقَ عَظِيمِ  
لِيُبَصِّرَ جَمْعَهُمْ حَقًّا مَبِينًا  
فَيَرْجِعَ عَقْلُهُمْ كَشْفًا فَعِلْمِ  
فَيَسْرِي فِي السَّمَاءِ وَكُلِّ أَرْضِ  
لَقَدْ دُعِيَ النَّبِيُّ إِلَى عُرُوجِ  
وَيَبْقَى قِدْوَةُ لَصِمْ مَوْدِ عَقْلِ  
وَتَسْمُو الرُّوحُ لِلْعَلِيَاءِ حُبًّا  
إِذَا أَرْضُـيَّتْ رَبُّ الْكَوْنِ جَاءَتْ

إِذَا قُبِدَ الْمَعَالِجُ وَالِدَوَاءُ  
وَأَوْشَكَ أَنْ يَفِيَّ بِهَذَا الْفَنَاءِ  
وَذَلَّ عَظِيمُهَا وَعَلَا الْهَبَاءُ  
وَلَا وَعَى يَصُونُونَ وَلَا حَيَاءُ  
عَمْدُهُمْ وَذَاعَ لَهُ رِثَاءُ  
فَأَظْهَرَ رَحْمَةً وَهُوَ الْعِيَاءُ  
وَلَيْسَ لَهَا إِبَاءُ أَوْ مَرَاءُ  
وَمُزَقَّتْ الْأَوَاصِرُ وَالْإِخَاءُ  
وَعِنْدَ عَمْدِهِمْ هَوْنٌ غَثَاءُ  
وَضَاعَ الْأَمْرُ مِنْهُمْ وَالْوَفَاءُ  
وَتَاهُ شَيْخُوهُمْ وَكَذَا النِّسَاءُ  
فَلَيْسَ لَهُمْ يَقِينٌ أَوْ ضِيَاءُ  
وَهَلْ بَعْدَ الْحَدِيثِ لَهُمْ ذِكَاءُ؟  
وَفِيهِ كُلُّ دَاهِيَةٍ عَنَاءُ  
وَعَطَى صَبَّحَهُمْ ذَاكَ الْمَسَاءُ  
فَلَأَنْتَ لَنَا مِنَ اللهِ الرَّجَاءُ  
وَتَأْتِي وَحِيدَةً وَلَهَا نَمَاءُ  
لَنَا فِيهِ التَّغْلِبُ وَالنَّجَاءُ  
لَنَا فِيهِ مِنَ اللهِ الرِّضَاءُ  
وَأَنْتَ مُفِيئُنَا إِنْ غَابَ مَاءُ  
مَتَى يَأْتِي لَهُمْ مِنْكَ صَفَاءُ  
وَيُكْشَفُ عَنْهُمْ ذَاكَ الْغَطَاءُ  
لِيَبْنَى فِي الْحَضَارَةِ مَا يَشَاءُ  
فَيَرْعُبُ مِنْهُ ظَلَمٌ وَاعْتِدَاءُ  
لَتُنْكَشِفِ الْمَعَارِفَ وَالْخَفَاءُ  
لَتُبْدِرْكَهُ الْحَقَائِقُ وَالْجَلَاءُ  
فَيُصْقِلُهَا التَّسَامِي وَالنَّقَاءُ  
إِلَيْكَ عَلَوُ مُلْكِهِ وَهِيَ الْفَنَاءُ



# دراسات في السنة المطهرة



- الكتاب والسنة صنوان أصلهما واحد
- شروط الإمام النسائي في كتابه



## «الكتاب والسنة صنوان أصلهما واحد»

روى البيهقي بسنده عن ابن وهيب قال سمعت مالك بن أنس يقول: أَلْزَمَ ما قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع أمران تركتُهما فيكم لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وروى أيضاً بسنده عن المقداد بن معد يكرب قال حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر منها الحمار الوحشي وغيره فقال يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله، قال البيهقي إسناده صحيح أخرجه أبو داود في سننه والحاكم وجاء في رواية أخرى عن المقداد قال قال رسول الله ﷺ: ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن... إلى آخر الحديث.

### فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي

البشر» وكانت آيات الأنبياء قبل بعثة رسول الله ﷺ من نوع مانع فيه أتباع كل نبي منهم حتى يشهدوه بأعينهم وتدركه حواسهم يُجرّيه الله على يد النبي الذي بعث إليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولقد خص الله خاتم رسله بعموم الرسالة فلم يبعث إلى جماعة خاصة، بل بعث إلى الناس كافة وفي هذا يقول تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ سورة سبأ - آية: ٢٨. كما قال سبحانه: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي

**البيان:** لقد منّ الله على بني آدم إذ أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب بما يوضح لهم معالم الطريق لما فيه خيرهم في معاشهم ومعادهم فمن آمن منهم واتبع هدى الله الذي بعثوا به لا يضل ولا يشقى ومن اعترض ونأى بجانبه فإن له معيشة ضنكا وسيحشر يوم القيامة أعمى ولقد كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، مؤيداً من ربه بالآيات التي تشهد بصدقه فيما يبلغ عن ربه وحتى يقطع عليهم الحجة إذا لم يؤمنوا، وفي الحديث الصحيح قال ﷺ: «ما من نبي إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه



الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون» سورة الأعراف . آية: ١٥٨ . كما كان صلوات الله عليه خاتم النبيين فلا نبى بعده . قال تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» سورة الأحزاب . آية: ٤٠ .

### معجزة الإسلام الخالدة

وشاء الله أن يؤيده بالمعجزات المادية كما أيد سلفه، شهدها صحابته فازدادوا إيماناً على إيمانهم . وبالمعجزة الخالدة التى تحداهم ﷺ بها أو بعشر سور من الكتاب أو بسورة منه .

كما تحدى الأمة كلها بما أودع فيها من الأسرار العلمية وما لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه . إنه القرآن تنزيل رب العالمين جمع بين دفتيه ما يحيط بحاجات البشرية ويفى بوسائل العيش الآمن فى ظلال من مقدرات حياتها التى لا قيام لها إلا بها دينا ودنيا .

كما يجد كل امرئ فيه غايته، إنه البحر الزاخر بالتفائس والجواهر والخلق على شاطئه، كل يرمى شبابه ويسوق الله إليه من الخير ما يرضيه وتتحقق به آماله وأمانيه وعلى مرّ العصور وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . هذه المهمة الأولى للكتاب الكريم، وتأتى المهمة الثانية مع الإعجاز وهى الهداية قال تعالى: «إن هذا القرآن يهدي للتى هى أقوم» سورة الإسراء . آية: ٩ . وقال: «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد» سورة إبراهيم . آية ١ .

وأمرنا سبحانه باتباعه فقال: «اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم» سورة الأعراف . آية: ٣ .

وقال: «وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون» سورة الأنعام . آية: ١٥٥ . وأن نردّ إليه كل نزاع ليفصل فيه تعالى: «فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً» سورة النساء . آية ٥٩ . وبين ﷺ أن استقامة الحياة فى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله فقال: «إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم به قلن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتى» رواه الحاكم وصححه .

وحذرنا من ترك الاهتداء بهديه الذى أنزله على رسوله ﷺ قال تعالى: «ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً» سورة الجاثية . الآيتان: ١٨ ، ١٩ . كما حذر من الأخذ ببعض الكتاب وترك بعضه الآخر فقال: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب» سورة البقرة . آية: ٨٥ . ذلك أمر القرآن فى صياغة الحياة لتكون الحياة المثلى وأنه قد اشتمل على أهم ما تقوم به عقيدة وعبادة وسلوكاً على المستوى الفردى والجماعى والمحلى والعالمى فى جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية . قال تعالى: «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» سورة النحل . آية: ٨٩ . وهو بشرى بالسعادة لمن اعتصم به وتمسك بتعاليمه، قال تعالى: «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى



الآخرة» سورة يونس . آيات: ٦٢ - ٦٤ .

وقد وصل إلينا هذا القرآن بالتواتر محفوظا من كل تغيير وتبديل كما قال سبحانه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ سورة الحجر . آية: ٩. سواء كان عن طريق الحفظ في الصدور أو عن طريق المصاحف التي كتبت من واقع ما كتب عليه القرآن وقت نزوله بأمر النبي ﷺ. واتخذ عثمان رضي الله عنه كل الاحتياطات عند نسخه في المصاحف حتى وصل إلينا على الصورة التي نزل بها على النبي ﷺ كما شغل به المسلمون في جميع العصور تلاوة وحفظا وتدبرا وفهما .

ولقد كان النبي ﷺ يعرف أسرار القرآن وحكمه وأحكامه وإن كان فيه بعض ما استأثر الله بعلمه كما قال سبحانه: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ سورة آل عمران . آية: ٧. وذلك على الرغم من قوله تعالى: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ سورة القيامة . آيات: ١٧ - ١٩. كما كانت توصياته ﷺ من أجل القرآن تلقياً وتلاوة وحفظاً وتبليغاً وتوضيحاً وتطبيقاً .

كما بين بفعله وقوله ما أجمل في القرآن من الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة... إلخ. وبعد أن لحق بالرفيق الأعلى كانت معرفة الصحابة لأحكام الدين من القرآن ضامين إليه ما أثر عن الرسول في هذه الأحكام .

ومع علمهم بالأحكام كان بعضهم يغيب عنه معنى بعض الألفاظ ولا يجروا أن يقول بغير علم.

فقد أثر عن أبي بكر أنه سئل عن حرف من القرآن فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله تبارك وتعالى، وقد كان من فقهاءهم عدد غير قليل والمعروف أن النبي ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل كما كان زيد بن ثابت أعلم الصحابة بالفرائض (الموارث) هذا والواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك والكشف عنه وطلبه من مظاهره وتعلم ذلك وتعليمه، وأحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان قد بسط في مكان آخر. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قال الإمام الشافعي كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ النساء: آية ١٠٥. وقال ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ النحل: آية ٦٦. وقال ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ النحل: آية ٤٤. ولهذا قال ﷺ ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه - يعني السنة - والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة، والسنة تنزل بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن..

وقد قال ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن «فيم تحكم قال: بكتاب الله قال: فإن لم تجد، قال: بسنة رسول الله قال: فإن لم تجد، قال: اجتهد رأيي. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدرى وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما



يرضى رسول الله» وهذا الحديث في المسند والسنن بإسناد جيد .

وحيث إن إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك لأقوال الصحابة فإنهم أدركوا بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين المهتدين. روى ابن جرير بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني قتاله المطايا لأتيته ومنهم ابن عباس حبر هذه الأمة الذي حظى ببركة دعاء النبي ﷺ له قال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، شهد بذلك ابن مسعود قائلاً نعم عبد الله بن عباس ترجمان القرآن: هذا ومن القرآن ما استأثر الله بعلمه ومنه ما يعلم العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ومنه ما لا يعلمه أحد لجهالته. وقد قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله. وزوى ابن جرير بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتفسير تفسره العرب وتفسير يفسره العلماء ومثابه لا يعلمه إلا الله عز وجل. ومن ادعى علمها سوى الله فهو كاذب.

وفي عصر التابعين والعصور التالية لهم التي بعد فيها العهد بالصحابة الذين تيسر لهم فهم الدين والتي ضعف فيها اللسان العربي بتداخل اللغات الأخرى نتيجة اتساع الفتوحات الإسلامية قل عدد المسلمين الذين يستطيعون الاستنباط

المباشر لأحكام الدين من القرآن الكريم وبرز في هذه العصور رجال انكبوا على البحث والاستنباط وكانت كتب الفقه التي خلفوها لنا تراثاً يشهد بعبقريّة هؤلاء وخصوبة أفكارهم معتمدين أولاً وقبل كل شيء على القرآن الكريم ثم على السنة النبوية الصحيحة التي تعبوا كثيراً في العثور عليها وتثبيتها من الدخيل..

### العدة لفهم القرآن وتفسيره

فهل يمكن لأحد في عصرنا الحاضر أن يقول سأعمد مباشرة إلى القرآن لأخذ منه الأحكام دون حاجة إلى أخذها من كتب السابقين. وإنها لمهمة شاقة لا بد فيها من مراعاة أمور هي بمثابة المفاتيح التي تفتح المغالق والأضواء التي تبيّر الطريق للسالك والأمور التي يجب معرفتها كثيرة منها:

أولاً: علوم القرآن، إذ لا بد من معرفة المكي والمدني والمتقدم والمتأخر في النزول لمعرفة حكمه التدرج في التشريع، ولا بد من معرفة جميع النصوص الواردة في الموضوع المراد معرفته فالنصوص يفسر بعضها بعضاً. كما لا بد من معرفة الناسخ والمنسوخ حتى لا يحكم بالمنسوخ دون الناسخ ومعرفة أسباب النزول. فقد تكون أسباب النزول متعددة والنازل واحد، وقد يكون العكس كما في قوله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ سورة البقرة - آية: ١٥٨. فظاهر الآية أن السعي ليس فرضاً، إذ الجناح بمعنى الإثم يصدق بالواجب والمندوب والمباح ولكن عائشة قالت لعروة بن الزبير إنها نفى لما وقر في أذهان المسلمين أنه من عمل الجاهلية حيث كان عليهما صنمان هما أساف ونائلة. الأول على الصفا ونائلة على المروة وكانوا



يتمسحون بهما.. رواه الترمذى، وأيضاً المحكم والمتشابه حتى يردَّ الثانى إلى الأول مثل **«يد الله فوق أيديهم»** سورة الفتح - آية: ١٠. الذى يثبت أن لله يدا إذ يجب معها أن يقرأ قوله سبحانه: **«ليس كمثله شيء»** سورة الشورى - آية: ٤٣. ليعرف أن هذه اليد ليست كأيدى البشر ذلك إلى معرفة السنة النبوية لتفصيل ما أجمل وبيان ما أتهم من القرآن ومعرفة وجوه القراءات لاستنباط الحكم الشرعى فقد يستفاد من قراءة دون أخرى كقراءة.. **«وله أخ أو أخت من أم»** سورة النساء - آية: ١٢. وذلك فى ميراث الكلاله. وقد يجمع بين حكيمين مختلفين بمجموع القراءتين مثل **«ولا تقربوهن حتى يطهرن»** سورة البقرة - آية: ٢٢٢. بسكون الطاء أو تشديدها فمع التسكين أى حتى يحصل أصل الطهر بانقطاع الحيض ومع التشديد تفيد المبالغة فى الطهر بالاغتسال.

ثانياً: علوم اللغة العربية: فلا بد من معرفة اللسان الذى نزل به القرآن لتبيين المراد من النص. فاللغة العربية حافلة بألفاظ وضع كل منها لعدة معالم ويعبر عن هذا اللفظ بالمشارك وبمعان وضع لكل منها عدة ألفاظ ويقال لهذا اللفظ بالترادف كما أنها مسمية بالأساليب التى يفهم بها المراد من النص الذى له أكثر من معنى كالفتنة وردت بمعنى الكفر فى قوله تعالى: **«والفتنة أشد من القتل»** سورة البقرة - آية: ٩١. وبمعنى الامتحان والابتلاء فى قوله تعالى: **«ونبلوكم بالشر والخير فتنة»** سورة الأنبياء - آية: ٣٥. وبمعنى العذاب فى قوله تعالى: **«ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون»** سورة الذاريات - آية: ١٤. كما أن اللغة العربية سخية بالأساليب التى تدل على المعنى المراد ففيها الخبر والإنشاء والقصر والحقيقة والمجاز وغيرها، فالترغيب فى

الإقراض جاء مرة بالأمر فى قوله تعالى: **«وأقرضوا الله قرضاً حسناً»** سورة المزمل - آية: ٩. وبلاستفهام فى قوله تعالى **«من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة»** سورة البقرة - آية: ٢٤٥. وكالشرط فى قوله تعالى: **«إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم»** سورة التغابن - آية: ١٧. وهكذا تظهر أهمية اللغة العربية فى فهم القرآن وتجليه معانيه وتيسير وسائل الإفادة منه فى شتى مجالات الحياة.

على أنه لا بد لمن يتصدى لاستنباط الأحكام الشرعية من القرآن أن يعرف قواعد الاستنباط كتقديم الناسخ على المنسوخ، وحمل المطلق على المقيد... إلخ، وكذا معرفة القواعد العامة للتشريع كسند الذرائع، وارتكاب أخف الضررين، والضرورات تبيح المحظورات، والضرورة تقدر بقدرها.. وغير ذلك كثير.

فالذى عنده القدرة على الاستنباط المباشر إذا وجدت فيه هذه الاستعدادات المذكورة وغيرها فله أن يستنبط ولا حرج مع اعتقاده أنه معرض للخطأ حتى لو بلغ الدقة فى الاستنباط، وعلى هذا المنوال كان الأئمة المجتهدون.

ومن لم يستطع فماذا يعمل؟ إن عليه أن يسأل أهل العلم مع الاجتهاد فى التعلم وذلك قوله تعالى: **«فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»** سورة النحل - آية: ٤٣. والنبي ﷺ رغب فى طلب العلم فقال: **«من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين»** رواه مسلم. وقال أيضاً **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»** البخارى ومسلم. كما حذر من ادعاء العلم والتصدى للفتيا عن جهل فقال ﷺ: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه**



من العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا» البخارى ومسلم. وعن جابر رضي الله عنه قال خرجنا فى سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجّه فى رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لى رخصة فى التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبر بذلك فقال «قتلوه قتلهم الله. ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال» رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما.

وكما أن استنباط الأحكام الفقهية من القرآن محتاج إلى الإلمام بأدوات الفهم التى أشرنا إليها فإن تفسير القرآن الكريم كذلك فى أشد الحاجة إليها فكلهما ليس فيه استقلال بالاستنباط فإن كتب التفسير على جلاله قدرها ليست كلها مساعدة فى أخذ الأحكام الشرعية مباشرة من القرآن فبعضها يهتم بالناحية اللغوية والبلاغية وبعضها يهتم بالناحية العلمية والفلسفية دون الاهتمام بالناحية الفقهية وهؤلاء وغيرهم لا يكاد المرء يعثر معهم على الأحكام الفقهية والقضايا الإيمانية بسهولة، الأمر الذى يجعل القارئ غير المتمكن لهذه الكتب على حذر فى استنباطه وذلك قد يكون داعية للانحراف إن تعصب له وتمسك به متأثراً بهوى شخصى وثقافة معينة أو غرض خاص والله سبحانه يقول: «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» سورة القصص - آية: ٢٨. كما يقول سبحانه: «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا

يفلحون» سورة النحل - آية ١١٦.

ونحن المسلمين لا نشك فى أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع دون أن يتطرق إلينا شك فى قراءته أو جمعه وترتيبه، وقد تصدى العلماء عبر تاريخ هذه الأمة لأعداء الدين ودستوره القرآن مبينين زيفهم والغرض الخبيث الذى ينطوى عليه غرضهم وهو زعزعة الثقة فى قلوب المسلمين فى دستورهم وهيهات أن ينالوا من إيمان المؤمن بالله وبنبيه والكتاب المنزل عليه ذرة من إخلاصهم والوفاء بما يفرضه عليهم.

### المصدر الثانى فى التشريع ودليله

والمصدر الثانى من مصادر التشريع هو السنة النبوية المطهرة وهى فى اللغة الطريقة والمنهج، وفى عرف الفقهاء ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه كصوم التطوع. وفى اصطلاح المحدثين تطلق على ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو صفة أو تقرير. وعند علماء الكلام تطلق على ما يقابل الفرق الأخرى.

وبعينا منها اصطلاح المحدثين ويطلق عليها أحياناً اسم الخبر والحديث.

والسنة بعضها بوحي جلى نزل به جبريل على النبى ﷺ. روى البخارى ومسلم أن يعلى قال لعمر رضي الله عنه أرنى النبى ﷺ حين يوحى إليه قال: فبينما النبى بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال يا رسول الله كيف ترى فى رجل أحرم بعمره وهو متضمخ بالطيب فسكت النبى ﷺ ساعة فجاءه الوحي فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى فجاء يعلى وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظلم به فأدخل رأسه فإذا رسول الله ﷺ محمر الوجه وهو ينفث ثم سرى عنه فقال: «أين الذى سأل عن العمرة فأتى برجل فقال اغسل الطيب



## الدليل من القرآن

فالسنة النبوية مصدر معتمد للتشريع دليله الكتاب والسنة وعمل الصحابة والسلف الصالح وإجماع الأمة على ذلك، قال الإمام الشوكاني: إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في الإسلام - إرشاد الفحول ص ٢٩.

فمن أدلة القرآن على حجية السنة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ سورة النساء - آية: ٥٩. وآيات كثيرة في الأمر بطاعة الرسول. وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ سورة الحشر - آية ٧. وقوله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة النور - آية: ٦٣. وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ سورة آل عمران - آية: ٢١. وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾ سورة النساء - آية: ٦٥. وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ سورة الأحزاب - آية: ٢١. وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ سورة النحل - آية: ٤٤. وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ سورة الشورى - آية: ٥٢.

## الدليل من السنة

ومن أدلة السنة على حجيتها قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

الذي بك ثلاث مرات وانزع عنك الجبة واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك» رواه البخاري ومسلم.

وبعض السنة كان بإلهام وقذف في القلب. كما في حديث: «إن روح القدس نفث في روعي: لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب». رواه الحاكم وصححه.

وبعضها بالاجتهاد الذي سكت عنه الحنفية فكان إقراراً من الله. ومن هنا يمكن أن يفسر قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ سورة النجم - آيات: ١ - ٤.

والمعروف أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن أمر بكتابه وكان له كتابٌ معروفون. أما السنة فقد نهى عن كتابتها أولاً حتى لا تختلط بالقرآن وليتوفر للقرآن الكريم كل الاهتمام تدويناً وتدبراً. ثم رخص بعد ذلك لبعض أصحابه كعبد الله بن عمرو. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ألم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب وأنا لا أكتب مُحَذَّرًا أَشَدَّ التحذير من الكذب والافتراء عليه بمثل قوله: «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». البخاري ومسلم وكان هذا الحديث أصلاً في تحقيق السنة وتجريدها من غير المنسوب إليه ﷺ وكان الصحابة يخرجون كثيراً عن روايتها كما كان لبعض الخلفاء مواقف شديدة ضد من يكثرون رواية الحديث وفي القرن الثاني الهجري بدأ التدوين بصفة عامة وجمعت الأحاديث ووجدت كتب النقد والدراسات المختلفة عنها.



## دليله من أقوال الصحابة والسلف

ومما يدل على اعتماد الصحابة والسلف السنة مصدرا للتشريع اتخذت هذه الشرعية من كتاب الله أن عبد الله بن مسعود قال: «لعن الله الواشحات والمستوشحات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» فقالت أم يعقوب ما هذا؟ قال عبد الله بن مسعود وما لى لا لعن من لعن رسول الله وفي كتاب الله، قالت: والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته. فقال: لئن كنت قرأته لقد وجدته قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ رواه البخارى. وروى البخارى بسنده إلى على قال: ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله وما فى هذه الصحيفة، فتشرها فإذا فيها أسنان الإبل وإذا فيها المدينة حرم من كذا إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» تاريخ التشريع للخضرى. وروى الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ أن الجدة جاءت لأبى بكر تلتمس أن تورث. فقال: ما أجد لك فى كتاب الله شيئا وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئا. ثم سأل الناس فقام المغيرة وقال سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس فقال هل معك أحد وشهد محمد ابن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه.

## الحاجة إلى السنة

وللسنة النبوية مهمتان: الأولى بيان للقرآن والثانية تشريع لم يوجد بنصه فى القرآن، أما بيانها للقرآن فله عدة وجوه، فهى تفصل مجمله وتوضح مشكله وتقيد مطلقه وتخص عامه، فهى التى بينت أن الصلاة المفروضة خمس فى اليوم واللييلة وبينت عدد ركعات كل فريضة كما بينت

المهديين» رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والترمذى وقال حسن صحيح. وقوله ﷺ: «إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتى» رواه الحاكم وصححه.

وقوله صلوات الله عليه: «صلوا كما رأيتمونى أصلى» رواه البخارى. وقوله: «خذوا عنى مناسكتكم» رواه مسلم وأبو داود والنسائى. وقوله ﷺ: «ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه. ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن. فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليه أن يقروه فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه» أبو داود وإقراره ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن فقد قال له ﷺ: «بم تقضى إذا عرض لك قضاء قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد، قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد، قال: أجتهد رأيى ولا آلو فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله» رواه أبو داود والترمذى. وقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص بعد أن نهته قريش عن كتابة ما يسمعه منه، «اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى إلا الحق» رواه أحمد بإسناد صحيح. وقوله: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه» رواه البخارى.



مقادير الزكاة وأحكاماً كثيرة في العبادات وغيرها وفي الحديث قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي». وقوله: «خذوا عني مناسككم». في الحج وهي التي بينت المراد بالظلم في قوله: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» سورة الأنعام - آية: ٨٢. إنه الشرك. ولما نزل قوله تعالى في اللاتي يأتين الفاحشة «أو يجعل الله لهن سبيلاً» قال ﷺ: «خذوا عني خذوا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والشيب بالشيب جلد مائة والرجم» رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، كما بينت السنة كيفية تطبيق حد السرقة وهو القطع من أين يكون وما النصاب الذي يحد فيه السارق كما بينت حد شرب الخمر. وفي مجال استقلال السنة بالتشريع جاء تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وتحريم سائر القربايات من الرضاع إلحاقاً لهن بالمحرمات من النسب وجاء تحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير وتحليل ميتة البحر. وهذا الاستقلال بالتشريع تفويض الله له بقوله: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وغيرها مما تقدم في حجية السنة.

ولما كانت السنة منهياً عن كتابتها وتدوينها كالقرآن في عهد النبوة إلا ما كان بعد الإذن لعبد الله بن عمرو وما رواه البخاري من أن أبا شاه التمس من النبي أن يكتب شيئاً سمعه من خطبته عام الفتح فقال اكتبوا لأبي شاه. ولما كان النهي شديداً عن الكذب على رسول الله ﷺ كان الاعتماد في حفظ السنة على الذاكرة وتقادم العهد والبعد عن الرعييل الأول الذي تلقاها من الرسول ﷺ وبوجود خلافاً سياسية أو قبلية أو

عرقية بدأ يتسرب إلى السنة كثير مما لم يقله ولم يضعه ﷺ، لما كان ذلك كله فطن السلف لخطورة هذا الأمر فكان الاتجاه لجمع السنة ووجد معه ضوابط لجمعها وروايتها وتمييز الصحيح من غيره وكثرت المؤلفات التي خدمت السنة من جميع نواحيها رواية ودراية وترك لنا الأولون كتباً قيمة اعتمد عليها المجتهدون في استنباط الأحكام الشرعية وفي مقدمة هذه الكتب صحيح البخاري ومسلم اللذان تلقتهما الأمة بالقبول وعنت بهما عناية فائقة.

وإذا قيل إن القرآن قد نقل بالتواتر فيحتج به والحديث كله ليس منقولاً بهذا الطريق فلا يصح الاحتجاج به، فإن الأحكام الشرعية العملية يقبل فيها الحديث غير المتواتر فهو ظني الثبوت ويكفي ذلك في الاستدلال به. أما العقائد والأصول فلا يقبل فيها إلا المقطوع بصحته وهو المتواتر باتفاق وخبر الواحد الصحيح عند بعض العلماء.

والصحابة الذين وصل إلينا عن طريقهم القرآن الكريم وكذا السنة النبوية قال ابن كثير انهم كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما اثبت الله عليهم في كتابه العزيز وبما نطق به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ رغبة فيما عند الله من الثواب والجزاء الجميل.

### أطوار تدوين الحديث

هذا والأطوار التي مر بها تدوين الحديث كانت أولى هذه الأطوار الاستجابة لدعوة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وفي هذا الطور ألف الإمام مالك موطأه بالمدينة (١٧٩ م) وكان منهج المؤلفين في هذا القرن جمع الأحاديث مختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين كما يظهر في موطأ مالك.



ثم حدث طور آخر في تدوين الحديث وهو إفراد حديث رسول الله ﷺ خاصة وكانت تلك الخطوة على رأس المائتين وهؤلاء الذين خطوا تلك الخطوة منهم من ألف على المسانيد بأن يجمع أحاديث كل صحابي على حدة من غير تقيد بوحدة الموضوع فحديث صلاة بجانب حديث زكاة أو حديث في الجهاد وهكذا كمسند الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وأصحاب هذه المسانيد لم يتقيدوا بالصحيح، بل خرجوا الصحيح والحسن والضعيف.

ومنهم من ألف على الأبواب الفقهية كأصحاب الكتب الستة. وهؤلاء منهم من تقيد في جمعه الأحاديث بالصحيح كالإمامين البخاري ومسلم. ومنهم من لم يتقيد بالصحيح، بل جمع الصحيح والحسن والضعيف مع التنبية عليه أحياناً ومع عدم التنبية أحياناً أخرى اعتماداً على معرفة القارئ لهذه الكتب ومقدرته على النقد وتمييز الصحيح من الضعيف والمقبول من المردود مثل أصحاب السنن الأربعة أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. وقد كان القرن الثالث الهجري (٢٠٠ - ٣٠٠) أسعد القرون بجمع السنة وتدوينها ونقدها وتمحيصها وفيه أشرقت شمس الكتب الستة وأمثالها التي كادت تشتمل على كل ما ثبت من الأحاديث ولا يغيب عنها إلا النذر اليسير والتي يعتمد عليها الفقهاء والمستنبطون والمؤلفون ويجد فيها طلبتهم الهداة والمصلحون.

وكما عنى أئمة الحديث به من ناحية جمعه فقد عنوا بالبحث عنه من نواح أخرى من جهة سنده ومتمته مما يتوقف عليه تمييز الطيب من الخبيث والصحيح من العليل وتطهير السنة مما عسى أن يكون دخلها من التزويد والاختلاق وبذلك تسلم الشريعة من الفساد، ويتضح ذلك جلياً في

القرون الأولى فقد مزجت فيها المتون بأصول علم النقد والرواية. يتبين ذلك مثلاً في مباحث الرسالة للإمام الشافعي (٢٠٤ م) وما كتبه الإمام مسلم (٢٦١ م) في مقدمة صحيحه وما ذكره الإمام أبو داود (٢٧٥ م) في رسالة لأهل مكة وما كتبه الإمام أبو عيسى الترمذي (٢٧٩ م) في كتابه «العلل» الذي هو في آخر جامع من تحسين وتصحيح وتضعيف وما ذكره الإمام البخاري (٢٥٦ م) في تواريخه الثلاثة ولقد اشترط المحدثون في الرواية المقبولة شروطاً تكفل الضمانات لصدق الرواة وسلامتهم من الكذب والخطأ والغفلة في النقل وهذه الشروط هي:

١. الإسلام: وهو الانقياد ظاهراً وباطناً فيشمل التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقبول شرائعه وأحكامه والتزام ذلك علماً وعملاً.

٢. التكليف: وذلك يتحقق بالبلوغ والعقل فلا تقبل رواية الصبي والمجنون، أما الأول فلعدم مؤاخذته شرعاً، وأما الثاني فلعدم إدراكه وتمييزه فإذا تحمل قبل البلوغ وأدى بعده تقبل روايته، فقد أجمع الصحابة على قبول رواية ابن عباس وابن الزبير... إلخ. وقد حددوا سن التمييز لخمس سنين واستأنسوا بحديث محمود بن الربيع قال عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين. البخاري.

٣. العدالة: وهي ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة. والتقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات والمروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند مكارم الأخلاق وجميل العادات، والمراد من العدل عند المحدثين عدل الرواية فيدخل فيه الذكر والأنثى والحر والعبد والمبصر والكفيف.



٤ - الضبط: وهو قسمان ضبط صدر، وضبط كتاب فالأول أنه يحفظ ما سمعه من شيخه بحيث يتمكن من استحضاره والتحديث به متى شاء، والثاني هو محافظته على كتابه الذي كتب فيه الأحاديث وصيانيته أن يتطرق إليه أى تغيير منه أو من غيره، وضبط الصدر مجمع عليه، وأما ضبط الكتاب مخالف فى قبول الرواية به بعض الأئمة الكبار كابى حنيفة ومالك، والجمهور على قبول من روى من كتابه بشرط التحفظ عليه دفاع عن السنة بتصريف.

وقد جاء فى مقدمة فتح البارى أن شرط البخارى فى الحديث الصحيح، أن يكون إسناده متصلاً وأن يكون رواه مسلماً صادقاً غير مدلس ولا مختلط متصفاً بصفات العدالة ضابطاً متحفظاً سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد.

وقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح فى كتابه «علوم الحديث» فيما أخبرنا به أبو الحسن بن الجوزى بسنده قال أول من صنف فى الصحيح البخارى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله. وقول الإمام الشافعى، ما أعلم فى الأرض كتاباً فى العلم أكثر صواباً من كتاب مالك، وإنما قاله قبل وجود كتابى البخارى ومسلم، ثم إن كتاب البخارى أصح الكتابين وأكثرهما فوائد.

ذلك إلى ما جاء فى المسانيد والسنن وهى فى مجموعها قد جمعت الصحيح من الحديث، وما جاء فيها أقل مرتبة من الصحيح أو الحسن فأمره إلى القارئ الحصيف الخبير بعلوم الرجال وبما يحتويه الأسانيد من علل، فضلاً عن المؤلفات الجمة فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة التى عكف أصحابها على تجلية ما فيها من أسباب الضعف أو الوضع عن طريق الإحاطة بعلوم

الحديث رواية ودراية الأمر الذى حفظ الله سنة رسول الله وما خدموا به الدين فى تطهيره من زيف المضلين وتحريف الضالين وزيف المبطلين أو المعطلين وصدق صلوات الله عليه وهو يقول فيما رواه البيهقى بسنده إلى عروة أن النبى ﷺ قال: «إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً أمرين اثنين كتاب الله وسنة نبىكم» وكان ذلك فى حجة الوداع وقال: «أيها الناس اسمعوا ما أقول لكم تعيشوا» وروى البيهقى بسنده عن المقداد بن معد يكرب قال حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر منها الحمار الوحشى وغيره فقال ﷺ: «يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله» قال إسناده صحيح وقد أخرجه أبو داود فى سننه وأخرجه الحاكم.

من جميع ما تقدم نرى أن مرجع الشريعة الإسلامية إلى أصليين شريفيين فالقرآن أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم ومعجزة النبى الكبرى وآيته الباقية على وجه الدهر.

والسنة بيان القرآن وشرح لأحكامه و بسط لأصوله وتمام لتشريعاته والسنة متى ثبتت عن المعصوم صلوات الله عليه فهى تشريع وهداية وواجبة الاتباع ولا محالة. وذلك أن بعضها بوحي جلى عن طريق أمين الوحي جبريل، وبعضها بالإلهام والقذف كما بينها من قبل، وبعضها بالاجتهاد فمتى اجتهد النبى ﷺ وسكت الوحي عن اجتهاده اعتبر هذا إقراراً من الله سبحانه واكتسب صفة ما أوحى إليه به وبهذا المعنى يعتبر كل ما صدر



عن النبي وحياً وصدق الله حيث يقول ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

كما عنيت الأمة بتبليغ هذين الأصلين عناية فائقة لم تعهد في أمة من الأمم نحو ما أثر عن أنبيائها وعظمائها فقد حفظ الصحابة القرآن وبلغوه إلى من جاء بعدهم من التابعين. والتابعون نقلوه إلى من بعدهم حتى وصل إلينا لا تحريف ولا تبديل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ سورة الحجر. آية: ٩. وكذلك عني الصحابة بالسنة المحمدية حفظاً وفهماً وفقها يروونها بلفظها وهو الغالب والأصل، وتتابع الحرص عليها جيلاً بعد جيل حيث بدأ التدوين للحديث واقتربت حركته بالنقد والتعديل والتحرى عن الحق وكانت تلك الكتب القيمة التي أصبحت العمدة للاحتجاج أو التقوية والاستشهاد وقد منيت من قديم بأعداء لا ينامون، فإذا لم يتمكنوا من الظهور لجأوا إلى الدس والخديعة، أو حاولوا أن يشككوا المسلمين في الأصل الثاني وهو السنة المطهرة بعد أن قاموا بذلك في الأصل الأول بالتشكيك في إعجازه وسلامته من الاختلاف فباءوا بالفشل. وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. فقد كتب الله لدينه الخلود ولمصدره من ينافع عنهما ويرد كيد الكائدين لهما ولن يخلو بفضل الله عصر من العصور من عالم ينفي عنهما تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

### الإيمان باليوم الآخر

ولما كان الإيمان باليوم الآخر وما يجري فيه جزءاً من عقيدة المسلم لا يصح إيمانه إلا إذا اعتقد صدقه وتمكن الإيمان به من قلبه، فقد اهتم الأصل الأول والثاني بالحديث عنه وأولاه

العلماء من سلف هذه الأمة وخلفها بالغ عنايتهم لما يترتب عليه من أثر بالغ من صياغة الحياة المثلى في الأمة الإسلامية وبناء المجتمع السوي والإنسان الصالح الذي يمثل اللبنة القوية التي تحمي مقدراتها وتعلو من شأنها.

والمسلم متى آمن بأن الحياة الحقبة بعد مغادرة هذه الحياة بالموت حيث يحصد المرء فيها ما قدمه في دنياه، فإنه لاشك سيعمل جاهداً على أن يصلح ما بينه وبين خالقه وما بينه وبين الناس، بل ومع الحياة نفسها بجميع ما فيها، ويذكر قوله تعالى ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ البقرة: آية ٢٨١. وسيذكر حياة البرزخ وسؤال الملكين وما يستقبله بعد موته وقول النبي الكريم والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. سيذكر يوماً قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً الإسراء: الآيات ١٣، ١٤.

وهل سيؤتي كتابه بيمينه وينقلب إلى أهله مسروراً أو سيعطاه بشماله، وثم يقول ياليتني لم أوت كتابيه ويدعو ثوراً ويصلي سعيماً.

هناك حديث الحساب والميزان والصراف ثم الجنة أو النار. إن الإيمان بالغيب هو مفرق الطرق في ارتقاء الإنسان من عالم المادة الذي يدركه وعيه بحواسه في عمره القصير المحدود دون نظر إلى ما وراء هذا الكون ظاهره وخافيه، وأن وراءه حقيقة أكبر من هذا الكون هي التي صدر عنها واستمد وجوده من وجودها. إنها حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول. كما أنه محاولة إدراك ما وراء الواقع المحسوس بالعقل المحدود بحدود الطاقة المحدودة



بحدود هذه الأرض والحياة عليها دون سند من الذات الإلهية التي استمد منها وجوده لن ييؤ منها إلا بالفشل وأن واجبه أن يكل الغيب والعلم بشأنه إلى العليم الخبير الذي يحيط بالظاهر والباطن والغيب والشهادة. كما أنه تبديد لطاقة العقل القاصر دون جدوى وأن عليه أن يكل الغيب إلى طاقة أخرى غير العقل. كما أن عدم إدراكه بحواسه ما غاب عنها لا ينفي وجوده في ضمير الغيب المكنون.

إن المسلم بهذا يعطى الإنسان حقه من التكريم لأعظم نعمة أوتيها وهي العقل. ولكن جماعة الماديين في هذا الزمان كنظرائهم في كل زمان يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقري إلى عالم المادة الذي لا وجود فيه لغير المحسوس باسم التقديمية وهي النكسة التي وقى الله المسلمين إياها فجعل صفتهم المميزة صفة الذين يؤمنون بالغيب في قوله تعالى **﴿هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾** البقرة: الآيتان ٢، ٣.

وثم فإن اليقين في الآخرة هو الحد الفاصل بين من يعيش حبيس جدران الجسد المغلقة ومن يعيش في الوجود المديد الرهيب، بين من يشعر بأن حياته على الأرض هي كل ما له في هذا الوجود كمن قال الله فيهم **﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾** المؤمنون: آية ٣٧. ومن يشعر بأن حياته على الأرض ابتلاء يمهّد للجزاء وأن الحياة الحقيقية إنما هي هنالك وراء هذا الحيز الصغير المحدود. هذه الحياة التي يشير إليها سبحانه في قوله: **﴿يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول ياليتنى قدمت لحياتي﴾** الفجر: الآيتان ٢٣، ٢٤. وقوله: **﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾** العنكبوت: آية ٦٤، فإنه لاشك سيتخذ العدة لهذه الحياة بالعمل الصالح الذي يتخذه سفينة النجاة،

ومن منطلق الإيمان باليوم الآخر والإيمان بجميع ما ورد بشأنه في كتاب الله وسنة رسوله، فإن مقتضى الإيمان بالتصديق بجميع ما ورد عن هذا اليوم وأنه حق لا مزية فيه، وفي أول ما يجب الإيمان به أنه سبحانه وحده مالك الملك والأمر إليه سبحانه في أحداث هذا اليوم خصوصاً الشفاعة. قال سبحانه: **﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾** الانقطار: آية ١٩. في هذا اليوم العصيب حيث لا جن ولا إنس ولا ملك ولا نبي إلا وقد عنت وجوههم جميعاً له سبحانه، يقول سبحانه وقد تفرد بالجلال والعظمة والكبرياء **﴿لمن الملك اليوم﴾** ثم يقول حيث لا سلطان إلا له سبحانه **﴿الله الواحد القهار﴾** غافر: آية ١٦. وفي ذلك يقول سبحانه لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه - **﴿وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون﴾** الأنعام: آية ٥١. وقوله **﴿ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع﴾** أى حال كونهم متخليين من ولي أو شفيع.

### لا شفاعة في مشرك

وقوله تعالى **﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾** قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾ الزمر: الآيتان ٤٣، ٤٤. وهذه الآية كقوله سبحانه: **﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾** يونس: آية ١٨. فقد بين سبحانه في هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف وممتنع وأن اتخاذهم شفعاء شرك يتنزه الرب سبحانه وتعالى عنه، وقد قال تعالى: **﴿فلولا**



نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون»  
الأحقاف: آية ٢٨.

فبين أن دعوهم بأنهم يشفعون لهم بتأليهم إفك وافتراء وقوله تعالى: ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ أى هو مالكها فليس لمن تطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه. وقوله تعالى: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه، فاندرج في ذلك ملك الشفاعة فإذا كان هو مالكها بطل أن تطلب ممن لا يملكها.

وقوله تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾ البقرة: آية ٢٥٥ فيه تنبيه إلى أن الشفاعة التى نفاها القرآن هى التى تطلب من غير الله. وفى هذه الآية بيان أن الشفاعة إنما تقع فى الدار الآخرة بإذنه كما قال تعالى ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا﴾ طه: آية ١٠٩. فبين أنها لا تقع لأحد إلا بشرطين إذن الرب تعالى للشافع أن يشفع ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه. وهو لا يرضى عن الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أريد به وجهه سبحانه ولقى العبد به ربه مخلصا غير شاك ولا مرتاب. وقوله تعالى: ﴿وكم من ملك فى السموات لا تنفى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ النجم: آية ٢٦. كقوله: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾ وقوله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ فإذا كان هذا حال الملائكة المقربين فكيف ترجون شفاعة هؤلاء الأنداد عند الله وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل لقد نهى عنها على السنة جميع رسله وأنزل النهى عن ذلك فى جميع كتبه. وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون

مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ سبأ: الآيتان ٢٢ ، ٢٣.

قال ابن القيم فى الكلام على هذه الآيات قد قطع الله الأسباب التى يتعلق بها المشركون جميعا فالشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع. إما مالك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفعيا عنده. فنفى الله المراتب الأربع نفيا مرتبا من الأعلى إلى الأدنى. فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التى يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا تصيب فيها لمشرك وهى الشفاعة بإذنه. ولقد أخبر النبى ﷺ بأنه يأتى فيسجد لربه ويحمده. ثم يقال له ارفع رأسك «وقل يسمع وسل تعطى واشفع تشفع» وقال له أبو هريرة رضى الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال ﷺ «من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه» رواه البخارى ومسلم والنسائى، ورواه أحمد وصححه ابن حبان وفيه: «وشفاعتى لمن قال لا إله إلا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه» وشاهده فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل فى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا».

#### الشفاعة أنواع

وذكر ابن القيم أن الشفاعة ستة أنواع كما ذكرها الشيخ الدردير فى شرح الخريدة البهية قال: النوع الأول: شفاعته ﷺ فى فصل القضاء لإراحة الخلق من طول الوقوف ومشقته وهى



صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبّرات من أهل الكتاب (أى بقايا)، ثم يؤتى بجهنم تقرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيزاً ابن الله، فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولدا فما تريدون؟ قالوا نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون فى جهنم. ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ قالوا نريد أن تسقينا فيقال لهم اشربوا فيتساقطون فى جهنم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر. فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادى ليحرق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما نتنظر ربنا قال فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى راوه فيها أول مرة فيقول : أنا ريكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون: «الساق» وقيل تأتى بمعنى النفس. وقال أبو موسى الأشعري الساق النور أو ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف الإلهية كما قاله ابن فوزك أو رحمة للمؤمنين نعمة لغيرهم كما قال المهلب أه قسطلانى.

فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً. ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يارسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة مذلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مُفلطحة لها شوكة عقيقاء. (مُفلطحة فيها عرض واتساع أو واسعة الأعلى دقيقة الأسفل)، (عقيقاء) أى معوجة تكون بنجد يقال له السعدان يمر المؤمن عليها كالطرق، وكالبرق

مختصة به ﷺ. **الثانى:** شفاعته فى إدخال قوم الجنة بغير حساب قال النووى وهى مختصة به ﷺ. **الثالث:** الشفاعة فى من استحق دخول النار ألا يدخلها وقد ذكر حديثها مسلم السابق «لكل نبى دعوة مستجابة.. الخ» **الرابع:** الشفاعة فى إخراج قوم من النار ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة وصالحو المؤمنين . **الخامس:** الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة وجوز النووى اختصاصها به - عليه الصلاة والسلام - **السادس:** الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار. كما فى حق أبى طالب، وفى الحديث «أنا أول شافع وأول مشفع» وأنه لما ذكر عنده عمه أبو طالب قال «لعله تنفعه شفاعتى فيجمل فى ضحضاح من نار» أخرجه مسلم.

### من أحاديث الشفاعة فى صحيح البخارى

وبعد أن ذكرنا رأى العلماء من السلف والخلف فى السنة المطهرة وأنواعها وما قررروه بشأن ما ورد فى القرآن الكريم خاصا بها من حيث كونها حقيقة ثابتة أو غير ثابتة وما انتهوا إليه من أنها ثابتة بشروط ذكرناها، فإننا قد يهمنى أن نعرض لما جاء فى كتب السنة الصحاح خاصة ما جاء فى صحيح البخارى ومسلم، ومدى موافقة ما جاء فى السنة لما جاء به القرآن الكريم من عدمه، وفى صدر ما نستشهد به ما جاء فى الكتب الستة مكتفين بدليل واحد من كل منها ما أمكن.

فقد روى البخارى بسنده المتصل عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قلنا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا». قلنا لا قال: «فإنكم لا تضارون فى رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون فى رؤيتهم» ثم قال ينادى مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع



لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء. لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة، وقد نهى عنها ولكن ائتوا نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه. بغير علم. ولكن ائتوا خليل الرحمن قال فيأتون إبراهيم فيقول إني لست هناكم، ويذكر ثلاث كلمات كذبهن، ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمدا فأستأذن على ربي في داره (جنته التي اتخذها دارا لأولياؤه) فيؤذن لى عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى فيقول ارفع محمدا وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطى فأرفع رأسى فأثنى على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم إلى الجنة، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لى عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقول ارفع محمدا وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطى قال فأرفع رأسى فأثنى على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم قال أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم إلى الجنة.. ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لى عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقول ارفع محمدا وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطى قال فأرفع رأسى فأثنى على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم قال أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم إلى الجنة. وقال قتادة في الثلاث فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه

وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب. فجاج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى نار جهنم (مكدوس مصروع) حتى يمر آخرهم يسحب سحباً فما أنتم بأشد لى مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا من إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا فيقول الله تعالى: «اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب فى النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعمدون فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعمدون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا».

قال أبو سعيد فإن لم تصدقوا فاقروا أن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتى فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون فى نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون فى حافتيه كما تنبت الحبة فى حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل فى رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه».

حديث آخر: عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهملوا بذلك أى يحزنوا من الحبس، فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته، وأسجد



الخلود. قال ثم تلى هذه الآية: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وهذا المقام الذى وعده نبيكم ﷺ، وفى رواية أخرى فأقول ياربى ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله فيقول «وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله أى مخلصاً من قلبه». ورواه مسلم فى صحيحه برحاء فى آخره.

ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لهم عندى أفضل من هذا، فيقولون ياربنا أى شئ من هذا فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

### ومن أحاديث الشفاعة فى مسلم

ما روى عن أبى هريرة أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ «هل تضارون أو هل تضامون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله فقال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك». يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعة فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتىهم الله تبارك وتعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتىهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتى أول من نجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفى جهنم كالاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان نجد أنه

لا يعلم ما قد عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن يقى بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أقر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه من يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار ويعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أى رب اصرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسألنى غيره فيقول لا أسألك غيره، ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار. فإذا أقبل على الجنة، ورآها مكث ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب قدمنى إلى باب الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسألنى غير الذى أعطيتك ويلك يابن آدم ما أعذرك فيقول أى رب ويدعو الله حتى يقول له فهل عسيت أن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره فيقول لا وعزتك فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا أقام على باب الجنة انفتحت (انفتحت واتسعت) له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب أدخلنى الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسأل غير ما أعطيت وملك يابن آدم ما أعذرك فيقول أى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو



الله حتى يضحك الله عز وجل منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة قال الله له تَمَنَّهُ، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى ذلك لك ومثله معه».

وفى رواية قال أبو سعيد أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ قوله «**ذلك لك وعشرة أمثاله**» قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة.

### ومن سنن النسائي في الشفاعة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار. قال يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار قال: فيقول اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم قال فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا قد أخرجنا من أمرتنا قال: ويقول أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان. ثم قال من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه وزن ذرة قال أبو سعيد فمن لم يصدق فليقرأ هذه الآية: «**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما**». النساء آية ٤٨.

### من أحاديث الشفاعة في صحيح الترمذي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع فأكله وكانت تعجبه فتبس منها نهسة ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون لِمَ ذاك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في سعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفدهم البصر

وتدنو الشمس منهم. فبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون. فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول الناس لبعضهم البعض عليكم بآدم فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد نهانى عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي نفسي فاذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم ما قاله آدم، ويعتذر بأنه قد دعا على قومه. ثم يقول لهم اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فيعتذر قائلًا إني كذبت ثلاث كذبات. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى موسى فيقول قالتهم ويعتذر قائلًا قتلت نفسا لم أوامر بقتلها.. اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيقول مثل ما قالوا ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون محمدا فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنتلق فأتى تحت العرش فأمر ساجدا لربي ثم يفتح الله على من محامده، وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح الله على أحد قبلي ثم يقال يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يارب أمتي ثلاثا فيقول يامحمد ادخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي



نفسى بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحميز وكما بين مكة وبصرى... قال الترمذى حديث حسن صحيح.

### من سنن أبي داود فى الشفاعة

وروى أبو داود بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى».

### حديث الشفاعة من سنن ابن ماجه

عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا خلّص الله المؤمنين من النار وأمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه فى الحق يكون له فى الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين لربهم فى إخوانهم الذين أدخلوا النار قال يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار فيقول اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا قد أخرجنا من قد أمرتنا ثم يقول أخرجوا من كان فى قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان فى قلبه وزن نصف دينار، ثم من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل.

قال أبو سعيد قمن لم يصدق هذا فليقرأ «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما» النساء: آية ٤٠.. الأحاديث القدسية ج ٢.

### الخاتمة

وبعد أن عرضنا لنماذج من أحاديث الشفاعة فى الكتب الستة نود الإحاطة بأن الإسلام الذى ندين الله عليه قد مئى منذ بزغ فجره على الوجود بقوى البغى تناوئه وتكيد له وتقف فى سبيله «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على

الدين كله ولو كره المشركون» الصف: الآيات ٨ ، ٩.

وفى هذا العصر الذى امتد فيه سلطان العقل وطلفت فيه سيطرة المادة وصار الإسلام بمصادره الطاقة التى تذوب فى بوتقتها كل العوائق التى تعترض سبيله، وكذا بالمؤمنين به المخلصين له خط الدفاع الحصين الذى يحميه ويزود عنه، عمدوا إلى مصادره التى هى مشاعل النور التى تضىء لهم الطريق، فأما الكتاب فقد كفل الله له الحفظ وأيده فى كل عصر بما يمكن له ويدحض حجج خصومه.

وأما السنة وهى الأصل الثانى أو المصدر الثانى فلم يعرف التاريخ عملا يراد له البقاء ما نالته السنة من الرعاية والعناية بعد أن بين الحق سبحانه أنها البيان لهذا التزيل على عين منزله القائل لنبيه «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» النحل: آية ٤٤. والقائل «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم» المائدة: آية ٤٨.

وهانحن اليوم نقدم هذه العجالة وقد قلنا الله الأمانة وناط بنا حفظها والدفاع عنها، نقدمها لنوضح بها جهود السابقين ونستحث بها هم المعاصرين ونقلد هذه الأمانة أعناق اللاحقين، ولندراً بها زيف الآراء، وغثاء الأدعياء، وافتراء الأعداء، سائلين الله أن يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا والآخرة، «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» آل عمران: آية ٨ ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.



## شرط الإمام النسائي في كتابه

تشدد الإمام النسائي في نقد الرجال، وعرف بشدة التحري والدقة حتى قيل كما سبق: إن له شرطا في الرجال أشد من شرط مسلم والبخاري.

وذكر ابن الصلاح في مقدمته عن ابن منده أنه سمع محمد ابن سعد البارودي يقول: كان من مذهب ابن عبد الرحمن النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه، ثم قال: فمراده - والله أعلم - صنيعة في السنن الكبرى.

ويرجع اختلاف العلماء في بيان الشروط إلى اختلاف أنظارهم في الجرح والتعديل، والاختلاف في شروط التضعيف قوة ولينا.

### د/ أحمد عمر هاشم

سمعت أبا عبد الرحمن بن شعيب النسائي يقول: لما عزمتم على جمع كتاب السنن استخرت الله تعالى في الرواية عن شيوخ كان في القلب منهم بعض الشيء فوقعت الخيرة على تركهم فنزلت في جملة من الحديث كنت أعلو فيه عنهم.

هذا، وقد سبق الكلام في شرط البخاري عن الحافظ أبي بكر الحازمي أن الطبقة الأولى هم شرط البخاري، وأن مسلما يخرج أحاديث الطبقة الأولى والثانية والثالثة ما يعتمد من غير استيعاب.

وأن أبا داود والنسائي يخرجان من أحاديث الطبقة الأولى والثانية والثالثة ولا يتجاوزانها إلى الرابعة في الأصول بخلاف المتابعات والشواهد (٢).

ومعلوم أن الطبقة الثالثة التي يخرج النسائي أحاديثها لم يسلم أصحابها من غوائل الجرح

والقائلون بأن له شرطا في الرجال أشد من شروط صاحبي الصحيحين إنما مرجع قولهم هذا إلى المبالغة في تحري النسائي فقط، وليس قولنا مسلما به، بل وليس بالصحيح الذي يثبت أمام النقد والتحقيق، فإننا إذا نظرنا إلى بعض رجاله وجدنا أن فيه رجالا مجهولين إما عينا أو حالا وفيهم المجروح وفيه أحاديث ضعيفة، قال العلامة ابن كثير: «وقول الحافظ أبي علي بن السكن وكذا الخطيب البغدادي في كتاب السنن للنسائي إنه صحيح فيه نظر وأن له شرطا في الرجال أشد من شرط مسلم غير مسلم فإن فيه رجالا مجهولين إما عينا أو حالا وفيهم المجروح وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة (١) فشرطه إذاً ليس أعلى من شرط البخاري ومسلم، وإنما كان شديد التحري والدقة. وقال أحمد بن محبوب الرملي:



## مثال لما رواه النسائي وطعن فيه والدفاع عنه

قال الرسول ﷺ «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» حكم ابن الجوزي على هذا الحديث بالوضع لتفرد محمد بن حمير به وهو في نظره ليس بالقوى.

وقال السيوطي: كلا(٥)، بل قوى ثقة من رجال البخاري، والحديث صحيح على شرطه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن السني في عمل يوم وليلة وصححه الضياء المقدسي في المختارة. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث المشكاة: غفل ابن الجوزي فأورد هذا الحديث في الموضوعات وهو أصح ما وقع له، وقال الحافظ شرف الدين الدمياطي في جزء جمعه في تقوية هذا الحديث: محمد بن حميد القضاي السايحي الحمصي كنيته أبو عبد الحميد احتج به البخاري في صحيحه. وكذلك محمد بن زياد الألهاني أبي سفيان الحمصي احتج به البخاري أيضا وقد تابع أبا أمامة على بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وجابر وأنس فرووه عن النبي ﷺ وأورد حديث علي من الطريقتين السابقين وحديث ابن عمر والمغيرة وجابر وأنس من الطريق التي ما نريدها ثم قال: وإذا ضمت هذه الأحاديث بعضها إلى بعض أخذت قوة. وقال الذهبي في تاريخه نقلت من خط السيف أحمد ابن أبي المجد الحافظ قال: صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات فأصاب في ذكره أحاديث مخالفة للنقل والعقل، ومما لم يصب فيه إطلاقه الوضع على أحاديث بكلام بعض الناس

فهم بين الرد والقبول كمعاوية بن يحيى الصدفي، واسحاق بن يحيى الكلبى، والمثنى بن الصباح، وإذا تبين ذلك كله فلا يمكن أن يسلم ما ادعاه القائلون بأن شرطه أشد من شرط البخاري ومسلم. وأما الحافظ أبو الفضل بن طاهر فقال(٣): كتاب أبي داود والنسائي ينقسم ثلاثة أقسام:

١ - القسم الأول: الصحيح المخرج في الصحيحين.

٢ - القسم الثاني: صحيح على شرطهما، حكى أبو عبد الله بن منده أن شرط أبي داود والنسائي إخراج أحاديث أقوام لم يجمع على تركهم إذا صح الحديث باتصال الإسناد ومن غير قطع ولا إرسال فيكون هذا القسم من الصحيح إلا أنه طريق دون طريق ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

٣ - القسم الثالث: أحاديث أخرجاها من غير قطع منهما بصحتها، وربما أبانا علتها بما يفهمه أهل المعرفة، وإنما أودعا هذا القسم في كتابيهما، لأنه رواية قوم لها واحتجاجهم بها، فأورداها وبيننا سقمها لتزول الشبهة، وذلك إذا لم يجد له طريقا غيره، لأنه أقوى عندهما من رأى الرجال.

ويرى العراقي أن مذهب النسائي بهذه الصورة فيه متسع، ولكن المتبادر إلى الذهن غير الواقع، لأن النسائي تجنب إخراج حديث أقوام أخرج لهم أبو داود والترمذي، بل وتجنب إخراج حديث جماعة من رجال الصحيحين(٤).

ونخلص مما سبق أن تحرى الإمام النسائي ودقته في الشروط إنما كان خاصا بالسنن الصغرى وهي المعتمدة عند المحدثين، وأما السنن الكبرى فكان من شرطه فيها أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه.



**الأول:** ما يراه الدارقطني وابن منده وابن السكن وأبو على النيسابوري وأبو أحمد بن عدى أن كل مافى السنن صحيح، ووافقوا فى ذلك النسائي.

**الثانى:** ما يراه بعض العلماء كابن كثير أن فيه رجالا مجهولين إما عينا أو حالا وفيهم المجروح، وفيه أحاديث ضعيفة ومعللة ومنكرة.

وأرى أن ابن الجوزى يقصد السنن الصغرى، وعلى فرض ما قيل فيه، فهو لا ينقص من قيمة هذا الكتاب النفيس، ولا يفيض من درجته العلمية، وخاصة أن النسائي كان يذكر حكمه على درجة الحديث إذا كان منكرا وهكذا.

## مثال من سنن النسائي مما حكم عليه بأنه منكر

أخرج النسائي من رواية أبى بكير يحيى بن محمد بن قيس عن هشام بن عمرو عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا البلح بالتمر، فإن ابن آدم إذا أكله غضب الشيطان».

الحديث، قال النسائي هذا حديث منكر، قال ابن الصلاح (٧) تفرد به أبو زكير وهو شيخ صالح أخرج عنه مسلم فى كتابه، غير أنه لم يبلغ مبلغ من يحتمل تفرد «أ. هـ»، وإنما أخرج له مسلم فى المتابعات.

## الهوامش

- ١ - الباعث الحث لابن كثير ص ٣١.
- ٢ - الحديث والمحدثون ص ٤١٠ الدكتور محمد أبو زهو.
- ٣ - شروط الأئمة الستة ص ١٢.
- ٤ - زهر الربا على المجتبى ج ٢ ص ٢.
- ٥ - الآلء المصنوعة ج ١ ص ١١٩.
- ٦ - مقدمة ابن الصلاح ص ٣٠.
- ٧ - مقدمة ابن الصلاح ص ٣٠.

فى أحد روايتها كقوله: فلان ضعيف أو ليس بالقوى، وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه، ولا فيه مخالفة ولا معارضة كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا حجة بأنه موضوع سوى كلام ذاك الرجل فى راويه، فتبين أن السبب فى إيراد ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات هو قول يعقوب بن سفيان فى رواية محمد بن حميد: ليس بالقوى، ومحمد هذا روى له البخارى فى صحيحه ووثقه أحمد وابن معين أ. هـ. ولم يخرج له فى الاحتجاج وقد ضعفه كثير من الأئمة فقال يحيى بن معين عنه: ضعيف وقال أبو حاتم بن حبان: لا يحتج به، وقال العقيلي لا يتابع على حديثه وأورد له عدى أربعة أحاديث مناكير، وأما قول ابن الصلاح عنه: وهو شيخ صالح (٦)، فإنما أخذه من كلام أبى يعلى الخليلي، ثم إنه لا يلزم من صلاحه الاحتجاج بما يرويه.

## درجة أحاديث السنن

صنف الإمام النسائي السنن الصغرى بعد السنن الكبرى ولخصه منه، وتحرى فيه الدقة البالغة ولا يكاد يوجد فى هذا الكتاب حديث موضوعى فقد سار فى تأليفه بمنتهى الحيطة، وتجنب الرواية عن كل من تكلم فيه، حتى قيل عنه: إن درجة السنن الصغرى بعد الصحيحين، لأنه أقل السنن بعدهما ضعفا، وإن قال أبو الفرج ابن الجوزى: إن فيها عشرة أحاديث موضوعة فقد نازعه فى ذلك السيوطى فى كتابه «التعقبات على الموضوعات» «ولو سلمنا برأى ابن الجوزى فهذا عدد يسير بالنسبة إلى مثل هذا الكتاب العظيم الذى يعد من دواوين السنة المعتمدة ولا ينقص من عظمتها ما ذكر فيه: وهناك رأيان فى صحة ما فى الكتاب:



## سيدة الأمهات أمينة بنت وهب

هذه الكلمات المتواضعة التي لم  
تف أمانة (الأم) حقها ولم تصور حب  
وتقدير ولدها الحبيب محمد بن  
عبد الله ﷺ لأمهاته وعلى رأسهم  
أمانة بكل معانيها الرائعة التي عودنا  
عليها في سيرته العطرة.

قال الرسول ﷺ: «إنما أنا ابن امرأة  
من قريش تأكل القديد لم يزل الله  
ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى  
الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً، لا  
تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

### محمد عباس حلمي

من أبيها «وهب» وتم ذلك بعد أن أنقذه الله من  
الذبح وفدائه بمائة من الإبل. فقد كان الرسول ﷺ  
يقول: «أنا ابن الذبيحين» وهم جده إسماعيل وأبوه  
عبد الله. وتم الزواج وبعد فترة وجيزة سافر  
عبد الله في قافلة إلى الشام وترك عروسه مع  
جارتها «بركة أم أيمن» ومرت الأيام ورأت فيما  
يرى النائم كان أتيا قد جاءها فوقف منها غير  
بعيد وحاولت أن تتبين شخصه فلم تستطع  
وحاولت أن تحقق صوته فلم تستطع. وما كانت  
تدرى أكان رجلاً أم امرأة، وما كانت تدري أكان  
شيخاً أو شاباً، وإنما كانت تعلم أنه كان شبهاً  
مؤنساً عذب الصوت. دنا منها حتى إذا كان يمسها  
تحدث إليها في رفق كأنه يناجيها ويسر إليها سرا،

من أسرة عريقة أصيلة لها مكانتها وصلتها  
القوية لبنى عبد مناف بن قصي جاءت أمينة بنت  
وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.  
أبوها «وهب» سيد بني زهرة، وجدها عبد مناف  
ابن زهرة. وجدتها لأبيها «عاتكة بنت الأوقص بن  
مرة بن هلال السلمية» وهي واحدة ممن يقول  
فيهن الرسول ﷺ: «أنا ابن العواتك من سليم».  
وأُمها «بره بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار  
ابن قصي. من هذا النسب كانت أمينة أفضل فتاة  
في قريش نسباً وموضعاً التي خفق لها قلب فتى  
قريش وأحب أبناء سيد بني هاشم عبد المطلب إلى  
نفسه.

ذهب عبد الله مع أبيه عبد المطلب لخطبة أمينة



فقال: أتعلمين أنك ستصبحين أما؟ قالت: ماذا تقول؟ لم أفهم عنك. قال: أتعلمين أنك حامل؟ قالت لا! قال: فاعلمي إذا أنك ستكونين أما لخير من حملت الأرض من الناس<sup>(١)</sup> وعادت القافلة من الشام وتخلف عبدالله في المدينة لمرضه عند أخواله وباتت آمنة تدعو لعبدالله بالشفاء لتجده بجانبها عندما تتحقق أجمل بشرى. ومربها الحمل..

وحينما حملت بالمصطفى وضعت يد المشيئة عنها كلفة الوحَم<sup>(٢)</sup> وعاد الحارث بن عبدالمطلب بمفرده من المدينة لينمي أخاه الشاب إلى أبيه وزوجه وأهل مكة. كلما خلت آمنة إلى نفسها وتذكرت زوجها إلّاتعت وتملكها الحزن ولكن البشرى التي تحملها بين أحشائها تصرف عنها الحزن وتملاً نفسها صبرا وشوقا لرؤياه.

جاء أبرهة الحبشى لهدم الكعبة فلم تترك آمنة مكة ولا بيت عبدالله فقد أرسل الله على أصحاب الفيل طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول.

وجاءها المخاض في أوان السحر من ليلة الإثنين فأحست بالخوف الذي ما لبث أن زال بنور يغمر دنياها ووضعت وليدها ولم تعد آمنة وحدها إلى جانبها وليدها نورا وجمالا وطلعة بهية.

وُلِدَ الْهُدَى فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءٌ وَالرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَأَتْكَ حَوْلَهُ

لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهَا بُشْرَاءُ

وَالْعَرْشُ يَزْهُو وَالْحَظِيرَةُ تَزْدْهِى

وَالْمُنْتَهَى وَالسُّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ<sup>(٣)</sup>

ويحدثنا البوصيري في برده عن آيات مولده فيقول:

أَبَان مَوْلَدَهُ عَنْ طَيْبِ عُنْصَرِهِ

يَا طَيْبُ مَبْتَدَأُ مِنْهُ وَمَخْتَمُ

يَوْمُ تَفَرَّسَ<sup>(٤)</sup> فِيهِ الْفَرَسُ أَنَّهُمْ

قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنُّقَمِ

وَبَاتَ إِيوَانُ<sup>(٥)</sup> كَسْرَى وَهُوَ مَنْصَدَعُ<sup>(٦)</sup>

كَشَمَلِ أَصْحَابِ كَسْرَى، غَيْرِ مَلْتَمِ

وَالنَّارِ<sup>(٧)</sup> خَامِدَةُ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفَافِ

عَلَيْهِ، وَالنَّهْرُ<sup>(٨)</sup> سَاهَى<sup>(٩)</sup> الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ<sup>(١٠)</sup>

وَسَاءَ سَلْوَةٍ<sup>(١١)</sup> أَنْ غَاضَتْ بِحَيْرَتِهَا

وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْفَيْظِ حِينَ ظَمَى

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ

حُزْنَا، وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ

(الضرم: شدة الحر، أو الاشتعال)

وَأُرْسِلَتْ آمَنَةُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبَشِّرُهُ بِمَوْلَدِ صَغِيرِهِ

فَأَقْبَلَ مَسْرَعًا وَحَمَلَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَطُوفُ بِهَا رِيْعُودِ

صَغِيرِهِ وَيَقُولُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي

هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأُرْدَانِ

قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغُلَمَانِ

أَعْيَدَهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ



حتى يكون بُلَّغه الفتیان

حتى أراه بالغ البنیان

أُعِيْذه من كل ذی شَنَّان

من حاسِدٍ مُضْطَرِب العنان

ذی هَمَّةٍ لیس له عینان

حتى أراه رافع اللسان

أنت الذی سُمِّیت فی الفرقان

أحمد مکتوب علی اللسان (أو البنیان)

فی کتب ثابتة المثنائی

ثم رده إلى أمه بعد أن سماه محمدا وعاد  
ليذبح الذبائح فرحا مستبشرا بحفيده العزيز  
لطلوع بدره المنير بنور الحق الذي سحق الكفر  
والشرك بالله.

أخذت أمنة ترضع طفلها إلى أن تحضر  
المراضع من البادية لأخذه مع رضاء قريش بعيدا  
عن مكة لينشأوا في جو البادية النقي. وفدت  
المراضع من بني سعد يتسابقن للحاق بأبناء نساء  
أغنياء قريش وزهدن في محمد بن عبدالله ليتمه  
وماله القليل الذي لا يتناسب مع نسبه العريق إلى  
البيت الهاشمي القرشي، ولم يبق طفلا من أبناء  
الأغنياء فقدمت نفسها إلى أم اليتيم «حليمة بنت  
أبي ذؤيب السعدي زوج الحارث بن عبد العزى من  
بني سعد بن بكر بن هوازن» كان لهما من الولد  
عبدالله وأخيه والشيما ويقال الشماء التي كانت  
تحتضن الرضيع المبارك مع أمها.

ويقول البوصيري في برده:

وأرضعته - ولم تياس - حليمة من

قول المراضع: إن البؤس في اليتيم<sup>(١٢)</sup>

ففاض<sup>(١٣)</sup> بالدر ثدياها، وقد غنيت

لياليا، وهي لم تطعم ولم تتم

فيممت<sup>(١٤)</sup> أهلها مملوءة فرحا

بما أتيج لها من أوفر النعم

وقال الحارث لحليمة: تعلمي والله يا حليمة

لقد أخذت نسمة مباركة! فقالت حليمة: والله إنني  
لأرجو ذلك.

وتقول حليمة: قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد  
فكانت غنمي تروح على شباعا لبنا فتحلب ونشرب  
وما يحلب غيرنا من بني سعد قطرة لبن ولا  
يجدها في ضرع. «فلم نزل نتعرف من الله الزيادة  
والخير حتى مضت سنتاه وفصلته»<sup>(١٥)</sup>.

وجاءت حليمة إلى مكة فلم تكد أمه تراه حتى  
أخذت تعانقه وتحتضنه في لهفة وحنان وهي  
تحمد الله على ما بدا عليه من الصحة والنمو.  
وتشجعت حليمة وقالت لأمنة: «لو تركت بني عندي  
حتى يغلظ فإنني أخشى عليه وباء مكة»<sup>(١٦)</sup>.  
وانطلقت حليمة به فرحة إذ كانت وقومها «شديدة  
الحرص على مكثه فيهم، لما رأوه من بركته»<sup>(١٧)</sup>.  
وبعد بضعة أشهر عادت حليمة بالصبي إلى أمه  
وهي في قلق عليه وأخبرت حليمة أمنة بما أخبر  
به رسول الله بعد ذلك ضمن حديثه عن نفسه  
(قصة الرجلين) فقد سأله أصحابه وقالوا له:  
أخبرنا عن نفسك. قال:

«نعم أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى،  
عليهما السلام - ورأت أمي حين حملت بي أنه



خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا فيهم أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجا، فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجوا قلبي وشقوا، فأخرجوا منه علقة سوداء فألقياها، ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج، حتى إذا أنقياها رداها كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته. فوزنتني بعشرة فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته. فوزنتني بمائة فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته. فوزنتني بألف فوزنتهم، فقال: دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنتهم<sup>(١٨)</sup> وبعد أن قصت حليلة على أمنة قصة الرجلين. قالت أمنة: إن لبني لشأنا «فو الله ما رأيت من حمل قط كان أخف من حملة ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وأنه لواضع يديه على الأرض رافع رأسه إلى السماء. كان رسول الله ﷺ، مع أمه أمنة بنت وهب في كلاءة الله وحفظه، ينبته الله نباتا حسنا<sup>(١٩)</sup>، وعندما بلغ محمد بن عبد الله السادسة من عمره حدثته أمه عن رحلة يقوم بها معا إلى «يثرب» كي يزورا قبر الحبيب هناك ويتعرف على أخوال أبيه بيثرب وكانوا أصحاب شرف وجاه. وفي قافلة إلى الشمال أخذت ولدها وركبت راحلتها تصحبها جاريتها «بركة أم أيمن» وبعد شهر آن لها أن تعود بولدها إلى أم القرى وفي الطريق شعرت أمنة بالمرض، وأحسست أنه الأجل المحتوم واحتضنت طفلها وانهمرت الدموع من عينيها وأخذت من جاء رحمة للعالمين وبالمؤمنين رؤوف رحيم رهبة الموقف. وتموت الأم وأصبح الطفل كما أراد الله له أن يكون يتيما. ودفنت أمنة بقرية الأبواء، وعاد الصبي الحزين بصحبة جاريتها أم أيمن إلى جده عبد المطلب بمكة. ولم ينس يوم

أن فقد أمه ولا قبرها قط. فعن عبد الله بن مسعود أنه قال: «خرج النبي ﷺ يوما وخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر، فأمرنا فجلسنا، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر أمنة فجلس إليه فناجاه طويلا، ثم ارتفع صوته ينتحب باكيا فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ. ثم إن رسول الله ﷺ أقبل إلينا فلتقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله. فقد أبكنا وأفزعنا؟ فأخذ بيد عمر ثم أومأ إلينا فأتيناه فقال: أفزعكم بكائي فقلنا: نعم يا رسول الله. فقال ذلك مرتين أو ثلاثا ثم قال: إن القبر الذي رأيتموني أناجيه قبر أمني أمنة بنت وهب، وإني استأذنت في زيارتها فأذن لي» وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي».

بقى طيف أمه يصعبه وذكرها تراوحه في كل مكان وزمان فهو الذي أوصى بالأم ثلاثا وبالأب الرابعة. كذلك لم ينس أمهاته بالرضاعة فمرضعته الأولى «ثويبه» مولاة أبي لهب فطلب من زوجها خديجة أن تسعى عند أبي لهب في أن تشتري منه هذه الأمة لتعتقها، فبدأ أبو لهب. فكان ﷺ يصلها وهو بمكة فلما هاجر إلى المدينة ظل يبعث إليها بصلة وكسوة إلى أن جاء خبر وفاتها عند مرجعه من خيبر فلما دخل مكة ظافرا لم ينس وهو في غمرة الفتح العظيم أن يسأل: ما فعل ابنها مروح؟ ففعل له: مات قبلها، ولم يبق من قرابتها أحد.

وكذلك فعل مع أم أيمن حاضنته الحبشية فأعتقها ورد لها حقها الكامل في الحياة. ويتحدث عنها لأصحابه وكل كلمة يملؤها البر والوفاء «هي



أمى بعد أمى»، «إنها بقية أهل بيتى»! ويقول عنها لأصحابه «من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن».

«روى البيهقى، عن ثابت، وأبى عمران الجوفى، وهشام بن حسان - رضى الله تعالى عنهم - قالوا: هاجرت أم أيمن إلى المدينة، وليس معها زاد، فلما كانت عند الروحاء عطشت عطشا شديدا قالت: فتسمعت حفيفا شديدا فوق رأسى، فرفعت فإذا هو دلو ممد لى من السماء برشاء أبيض، فتناولته بيدي حتى استمسكت به، فشربت منه حتى رويت، قالت فلقد أصوم بعد تلك الشربة فى اليوم الحار الشديد، ثم لأطوف فى الشمس كى أظمأ، فما ظمئت بعد تلك الشربة» (٢٠).

وكان بره بحليمة السعدية تكريماً للأئمة فى أجمل صورها تطلب منه أن يعينها على أثقال الحياة فيكلم خديجة فتمنحها بعيرا وأربعين شاة وتعود إليه مرة أخرى فعندما رآها قال «أمى أمى»! ثم بسط رداءه فأجلسها عليه!

عند قسمة غنائم حنين كان عدد سبى هوازن ستة آلاف إنسان فيهم الشيماء أخت النبى - عليه الصلاة والسلام - من الرضاعة وهى بنت الحارث ابن عبد العزى من بنى سعد بن بكر بن هوازن بنت حليمة السعدية، فأكرمها رسول الله ﷺ وأعطاهها، ورجعت إلى بلادها مسرورة بدينها وبما أفاء الله عليها (٢١).

«ولما ماتت فاطمة أم على بن أبى طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها فى قبرها فقال له أصحابه: ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بها. فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبر بى منها. إني إنما ألبستها قميصى لتكسى حلل

الجنة واضطجعت معها فى قبرها ليهون عليها» (٢٢) ومن رحمة ربه عليه وعلى البشر أن فرق بين الكفر ومعاملة الوالدين ولم يحرمه حبه لها وتكريمه لأمه ولو بعد مماتها. قاله تعالى يقول له: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» سورة الأنبياء: آية ١٠٧. ومن أسمائه ﷺ: (نبى الرحمة)، (رسول الرحمة)، وهو (الرحمة المهداة).

قال سبحانه وتعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ \* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» سورة لقمان: الآيات ١٤، ١٥.

### الهوامش

- ١ - على هامش السيرة: طه حسين.
- ٢ - من قصيدة كشف الغمة فى مدح سيد الأمة: محمود سامى البارودى - الكلفة - بضم فسكون -: ما تتكلفه على مشقة - وحثم الجبلى - بكسر الحاء -: اشتئت شيئا على حبلها.
- ٣ - نهج البردة: أحمد شوقى. ٤ - تفرس فى الشئ: نظر فيه وثبت.
- ٥ - الإيوان: مجلس كبير على هيئة صفة واسعة، لها سقف محمول من الأمام على عقد، يجلس فيها كبار القوم.
- ٦ - انصداع الإيوان: انشقاقه.
- ٧ - النار: هى نار الفرس التى كانوا يعبدونها، انطفأت حين ولد المصطفى بعد أن ظلت مشتعلة ألف عام.
- ٨ - النهر: نهر الفرات.
- ٩ - ساهى العين: ساكن عن الجريان.
- ١٠ - من سدم: من حزم وهم.
- ١١ - ساوه: من مدن الفرس تضم بحيرة مقدسة عندهم.
- ١٢ - اليتيم - بفتحيتين -: الحاجة.
- ١٣ - فاض الإناء: امتلأ حتى طفق، الدر - بفتح الدال - : اللبن، غنى - بفتح فكسر - : استغنى.
- ١٤ - يمم: قصد.
- ١٥ - سيرة ابن هشام.
- ١٦ - ١٧ - سيرة ابن هشام.
- ١٨ - سيرة ابن هشام.
- ١٩ - ابن اسحاق.
- ٢٠ - الروحاء: موضع قريب من المدينة.
- ٢١ - دلائل النبوة للبيهقى ١٢٥/٦ وأخرجه ابن سعد وابن السكن قاله الحافظ ابن حجر فى ترجمتها فى الإصابة ٤/٢٢٢. سبل الهدى والرشاد - تحقيق وتعليق - عبد المعز عبد الحميد الجزار.
- ٢١ - الدرر: ابن عبد البر - تحقيق د. شوقى ضيف/ ٢٤٥، ٢٢ - ابن سعد وابن حكيم والاصبهانى عن ابن عباس.



# وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

● الرسول ﷺ يبني مجتمع المدينة

● طبت حيا وميتا ياسيدي يا رسول الله

● أتقى الناس لله ﷺ

● محمد ﷺ عند علماء الغرب

● خالق المسلم قبس من نور النبوة

● حاجة المسلم إلى التأسي بالنبي ﷺ



# الرسول صلى الله عليه وسلم يبنى مجتمع المدينة

ما كاد خبر قدوم الرسول صلوات الله عليه يصل أهل المدينة حتى تدافعوا نحوه يمتعون عيونهم برؤيته، وتأنس قلوبهم بالقرب منه والتطلع إلى وجهه الكريم والاستماع إلى حديثه العذب، وكان الرسول ﷺ جالساً تحت ظل نخلة في قباء هو وصاحبه أبو بكر، وكان القادمون للتحية لم يكونوا رأوا النبي ﷺ من قبل، ولذلك لم يكونوا يفرقون بينه وبين أبي بكر، وكانوا يتوجهون بالتحية إلى أبي بكر ظناً منهم أنه الرسول فيعرفهم أبو بكر بالنبي صلوات الله وسلامه عليه.

## د / محمد إبراهيم الجيوشي

زائريه انتقل إلى بيت سعد بن خيثمة، وكان رجلاً عزيزاً لا أهل له، وفي هذا الهدى ما فيه من لطف الحس ومراعاة أدب الضيافة، وإعطاء فرصة لأهل البيت للأخذ في قضاء حوائجهم من غير حرج ولا تحسب لمقدم الأضياف وخروجهم، وكان منزل سعد بن خيثمة نادى الأعزاب من المهاجرين. وهناك روايتان بالنسبة للمدة التي أقامها النبي في قباء:

إحداهما تقول: إنه أقام أربعة أيام وانتقل في الخامس إلى موضع مسجده الآن.

والثانية تقول: إنه ظل هناك أسبوعين أسس في خلالهما مسجد قباء، وهو المسجد الذي قال فيه القرآن: إنه أسس على التقوى في الآية الكريمة: «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين» سورة التوبة: آية ١٠٨. وقيل: إن المقصود بمسجد

ولما انقشع ظل النخلة وقف أبو بكر يظل النبي بردائه فزال ذلك اللبس وأدرك القادمون الجدد من هو النبي ومن صاحبه.

وانتشر خبر قدوم النبي ﷺ بسرعة مذهلة فأقبل رجال المدينة في خمسمائة فارس يرحبون بمقدمه ويقدمون له الولاء والعهد، وماجت طرقات المدينة بالبهجة والسرور واستشرف النساء على أسطح المنازل يرقبن طلعة النبي ﷺ، وطاف الفتيان والفتيات في شوارع المدينة بالتحية والترحيب مترنمين بهذه القطعة المشهورة.

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع  
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع  
جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع  
وكان النبي ﷺ لما نزل قباء أقام ببيت كلثوم بن هدم أحد بنى عوف بن عمرو وإذا جلس لاستقبال



التقوى هو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، ولا يرى العلماء بأساً من إطلاق مسجد التقوى على كلا المسجدين.

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى المدينة كان يوم الجمعة وأدركته صلاة الجمعة في محلة بني سالم ابن عوف فصلاهما في بطن الوادي هناك، وهي أول جمعة صلاهما بالمدينة، وهذا سبب قول من قال: إن إقامته في منزل كثوم بن هدم لم تزد عن أربعة أيام وإلا كان قد صلى الجمعة هناك، ولم تكن تلك الجمعة هي أول جمعة بالمدينة، وفي هذه الجمعة الأولى خطب النبي خطبة الجمعة، ولما كانت أول خطبة للجمعة تروى عن النبي ﷺ كان حقاً علينا أن نقدم نصها كما جاء في كتب السير والتاريخ، وهذا نصها:

الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والتور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط، وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكراً، وأن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا يتوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يقتدر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رعوف بالعباد.

والذي صدق قوله وأتجر وعده لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل: ﴿ما يبذل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد﴾ فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً.

وإن تقوى الله يوقى مقته ويوقى عقوبته ويوقى سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجوه، ويرضى الرب ويرفع الدرجة، خذوا يحظكم ولا تقربوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فاتحسبوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداء، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله، فآثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم.

وما إن انتهى النبي ﷺ من صلاته حتى ركب ناقته واستعد للسير، فجاء إليه رجال بني عوف ابن سالم يأخذون بزمام ناقته ويدعونه إلى الإقامة عندهم معلتين استعدادهم للتضحية واليذل قائلين: يا رسول الله، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، فقال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، فخلوا سبيلها، وجعل كلما يمر يحي من أحياء الأنصار يخرج إليه رجاله يعرضون عليه الإقامة بينهم معلتين عن استعدادهم ليذل كل ما يطلب بذله في مثل هذه الحالات، وكان من هؤلاء يتو ساعداً، ويتو الحارث حتى مر بدار بني عدي بن التجار - وهم أخواله - فآقبلوا عليه يدعونه للإقامة بينهم كما فعل غيرهم، إلا أنهم ذكروا قرابتهم منه فقالوا: يا رسول الله، هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة، وكان جوابه هو ما أجاب به



سابقهم: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، وتابعت الناقة سيرها وزمامها ملقى على عاتقها لا يوجهها أحد حتى وصلت إلى دار بني مالك بن النجار، فبركت هناك في اللوضع الذي يقع فيه مسجد رسول الله الآن، وكان في ذلك الوقت مكاناً يجمع فيه الحاصليل وتجحف بملكه غلامان يتيمان من بني النجار، ولما بركت الناقة لم ينزل النبي عنها فقامت ثمانية وسارت غير بعيد ثم تلفت خلفها ورجعت إلى مكانها الذي بركت فيه أولاً، وثبتت فيه وألقت بعتقها إلى الأرض علامة على الاستقرار ثم رزمت، فنزل عنها النبي ﷺ، وأسرع أبو أيوب خالد بن زيد فحمل رجل النبي موضعه في بيته، وأخذ الناس يكلمون رسول الله في النزول عليهم، فقال: «المرء مع رحله» ونزل رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب.

وكان اللوضع الذي بركت فيه الناقة لبني النجار وكان فيه نخل وحرث وقبور من قبور الجاهلية، فطلب منهم النبي أن يبيعوه له بثمنه لأنه يريد أن يبني فيه مسجدهم، فكان جوابهم: لا نبتغي به ثمناً «إلا ما عند الله» عند ذلك أمر النبي ﷺ بالنخل فقطع وبالحرث فسوى وبالقبور فنبشت، وتولى بناء المسجد بنفسه هو وأصحابه من المهاجرين والأنصار على ما ستفصله فيما بعد.

وقد روى عن أبي أيوب أنه قال: لما نزل رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفل، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فإظهار أنت وكن في العلو، فننزل نحن وتكون في السفل، فقال: «يا أبا أيوب إن أرفق بنا ومن يغشانا أن نكون في سفل البيت».

ويصور أبو أيوب حرصه على راحة رسول الله أثناء إقامته في منزله وقد امتدت سبعة أو تسعة أشهر على خلاف في الروايات. فيقول: لقد تكسرت جرة كبيرة لنا وبها ماء فكنت أنا وأم أيوب

نشف الماء بقطيفة ما لنا لحاف غيرها خشية أن يقطر الماء على رسول الله ﷺ فيؤذيه، كأنه كان يرى في ذلك شرفاً له لا يدانيه شرف خص به دون بيوت الأنصار جميعاً، وأنه في الحق كذلك، وكان يصنع العشاء لرسول الله ﷺ ويبعث به إليه، فإذا رد الإناء تتبع موضع يد رسول الله ﷺ هو وزوجه ليأكلا منها تيمناً وتبركاً، حتى كان ذات ليلة بعث له بعشائه وكان فيه ثوم وبصل، فلما عاد الإناء لاحظ أبو أيوب أن النبي لم يأكل منه ففرغ لما رأى ذلك وأسرع إلى رسول الله ﷺ قائلاً: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك؟ فكنت إذا رددته علينا تيمنت أنا وأم أيوب موضع يدك للبركة، قال: فإني وجدت فيه ربح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي وأما أنتم فكلوه.

وكانت هدايا الأنصار تتابع على النبي ﷺ كل ليلة فيصيب منها هو وأصحابه.

قال زيد بن ثابت: أول هدية دخلت على رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب هدية دخلت بها إناء قصعة مثرود فيه خبز وسمن ولبن، فقلت: أرسلت بهذه القصعة أُمي، فقال: بارك الله فيك، ودعا أصحابه فأكلوا، فلم أرم الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عباد، ثريد وعراق، وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثة أو الأربعة يحملون الطعام، يتناوبون ذلك حتى تحول رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب.

وهكذا يضرب الأنصار المثل في التعاون والترابط والتسابق إلى الترحيب بالنبي ﷺ وأصحابه الذين هاجروا من قبله إلى المدينة، وأخبار إيثارهم إخوانهم من المهاجرين ومشاركتهم في كل ما يملكون راغبين مختارين تملأ صحائف التاريخ وتتأقلمها الألسن جيلاً بعد جيل إلى يوم الناس هذا حتى استحقوا بهذا العمل النبيل ثناء الله سبحانه عليهم في كتابه الكريم وتسجيل



مآثرهم ومفاخرهم وإيثارهم إخوانهم على أنفسهم عن طواعية واختيار. حين يقول: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ سورة الحشر. آية: ٩.

وكان أبو بكر قد نزل بالسنح على خبيب بن إساف أحد بنى الحارث بن الخزرج.

أما على فإنه أقام بمكة أياماً حتى سلم الودائع التي كانت عند رسول الله ﷺ إلى أصحابها ثم لحق بالرسول في المدينة وأقام معه عند كلثوم بن هدم أربعة أيام. ويقال: إنه لما قدم على رسول الله ﷺ كانت قدماء قد ورمتا من السير، فلما رآه النبي ﷺ اعتنقه وبكى ومسح على رجليه فبرئتا ولم يصبهما أذى حتى استشهد. رحمه الله. في السنة التاسعة والثلاثين من الهجرة.

وهكذا وجد النبي ﷺ نفسه وأصحابه آمنين في منازلهم، فبعد المطاردة والعداوة المستمرة والتربص بالقتل والاضطهاد الدائم يتبدل الحال ويتغير، فما من رجل ولا امرأة إلا يرى عزه وشرفه أن ينزل الرسول عليه ضيفاً أو يأكل له طعاماً أو يسعده بزيارة أو يسند إليه أمراً من الأمور، فأصبحت إشارته أمراً نافذاً وكلمته قانوناً مطاعاً وابتسامته تشرح الصدور وترضى القلوب وتسعد من تلقاها بها، وكان ذلك إيذاناً بميلاد مجتمع جديد وأمة جديدة تعبد الله على طمأنينة وأمن لا تخاف عدواناً ولا بطشاً ولا مصادرة ولا اضطهاداً، وتسعى في حياتها وتبنى أمور معاشها على أسس من المحبة والمودة والتعاون والتعاطف والإيثار الذي لم يعرف له التاريخ مثيلاً من قبل ولا من بعد، وهؤلاء المؤمنون يتكونون من المهاجرين القادمين من مكة والأنصار أهل المدينة، وهم من الأوس

والخزرج، ويساكنهم في المدينة ومن حولها جماعات من أهلها لم يتبعوا الدين الجديد بعد، وبعضهم أعلن الإسلام وأبطن الشرك، فكانوا منافقين، وأخيراً اليهود الذين لهم عقيدة وشريعة مخالفة وكانوا يكونون مجتمعاً مستقلاً له عاداته وتقاليده وعقائده ومنهجه وأهدافه.

وكان لا بد للنبي صلوات الله وسلامه عليه أن يضع الأسس والقواعد التي يسير المجتمع على هداها، وينظم علاقاتهم جميعاً مع الله سبحانه وعلاقاتهم بعضهم ببعض وعلاقة مجتمع المؤمنين بمن يخالطهم من غير المؤمنين يهوداً كانوا أو مشركين أو منافقين.

ولذلك كانت هناك ثلاثة خطوط رئيسية شكلت وجهة المجتمع الجديد وحددت أهدافه ونهجت له السبيل إلى تحقيق هذه الأهداف رامية إلى تنظيم علاقة الفرد بربه، وعلاقة الفرد المسلم بأخيه المسلم باعتبارهم أعضاء في مجتمع واحد، ثم علاقة المجتمع المسلم جميعه بغيره من المجتمعات الأخرى التي تخالطه وتشترك معه في بلد واحد. وكانت هذه الخطوط الرئيسية تتمثل في بناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكتاب موادة اليهود.

وقد نقول: إن هذه الخطوط الثلاثة تشكل المعالم الرئيسية في المجتمع الإسلامي كما أرادها الرسول ﷺ.

فالأول: يوضح أمر العقيدة وأثرها في صلاح الفرد. والثاني: يوضح العلاقات الاجتماعية وما يقوم عليها من التزامات.

والثالث: ينظم العلاقات الخارجية أو علاقة المجتمع الإسلامي بغيره نتناول كل واحد منها على حده ونستخلص منه مدى أهميته للمجتمع وأثره في تقدمه وأمنه ورخائه واستقراره. إن شاء الله تعالى في مقالات تالية.



## طبت حيا وميتا يا سيدي يا رسول الله

كلمة قالها الصديق الوفي والصاحب الكريم (أبو بكر رضي الله عنه) الذي آمن بعد أن بلغت الدعوة على الفور ما تردد: صاحب المآثر العظيمة. واليد الكريمة والمساهمة الصادقة والعمل الإيجابي لتصرة الإسلام. وأنها لشهادة حق وبيان صدق.

عبر بهذه الكلمات عندما فارق الرسول ﷺ دنيانا وانتقل إلى الرفيق الأعلى وهي تشهد عن طيب عنصر الرسول ﷺ وتم عن معرفة عميقة من هذا الصاحب الذي رافق الرسول ﷺ طوال تلك السنين التي عاشها سويا.. إن الوحي الذي يتلقاه النبي من علياء السماء والتوجيه الإلهي والإرشاد النافع فكان حين يبلغ ما يتلقاه في صدق وأمانة وهذا الصاحب يصدق وما يتردد.. وصدق الله العظيم: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾.

### الشيخ منصور الرفاعي عبيد

عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يلتق أبواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كتبت في خيرهما» وقد اتفق النسابون على انتهاء نسب النبي ﷺ إلى عدنان. وعدنان من ولد اسماعيل.. ولقد كان أجداد النبي ﷺ أهل فضل، فهناك كعب بن لؤي أول من عظم يوم الجمعة وسماه يوم العروبة.. ومعنى العروبة «الرحمة» وكانت قريش تجتمع إليه فيه أي يوم العروبة فيخطبهم ويحثهم على فعل الخير وصلة الرحم والإحسان إلى القريب.. ومن خطبه أما بعد: فاعلموا وتعلموا إنما الأرض لله مهاد والجبال أوتاد والسماء بناء والنجوم أعلام. ثم يأمرهم بصلة الرحم، ويبشرهم بالنبي ﷺ ويقول:

لقد كان أبو بكر على علم بأحوال هذا النبي العظيم الذي نشأ في ربوع مكة وترعرع تحت سمع أهلها، فعرفوه بالخلق الكريم والمبادئ العظيمة التي شب عليها منذ ولد في عام الفيل، وكان أبوه عبد الله بن عبد المطلب قد تزوج بآمنة بنت وهب زواجا صحيحا أعلن عنه يومها وخرج عبد الله بعد أن مكث قليلا مع زوجته في رحلة إلى الشام، وفي عودته عرج على أخواله ببثرب (المدينة) واشتد به المرض ومات هناك.. وخرج محمد إلى الدنيا يتيم الأب غنى الأخلاق.. إن نسب النبي ﷺ مصان من السفاح، ففي الحديث الذي أخرجه ابن سعد وابن عساکر عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي ﷺ «خرجت من نكاح غير سفاح» كما أخرج أبو نعيم عن طريق ابن عباس - رضى الله عنهما -



حرمكم يا قوم عظموه فسيكون له شأن عظيم  
ويخرج منه شيء كريم ثم يقول شعرا

على غفلة يأتي النبي محمد

فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

صدوق رأيها تقلب أهلها

لها عقد ما يستحيل مريرها

هذا الجد بينه وبين مبعث النبي ﷺ خمسمائة  
وستون عاما.

إن هذا النبي العظيم حفظه الله في أصلاب  
الآباء وأرحام الأمهات، وصدق الله العظيم «الذي  
يراك حين تقوم ♦ وتقلبك في الساجدين»  
الشعراء: آية ٢١٨ ، ٢١٩ . وفي الحديث الذي رواه  
البيهقي عن الزهري عن أنس أن النبي ﷺ قال:  
«ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في  
خيرهما، وأخرجت من بين أبوين قلم يصيبني  
شيء من عهر الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم  
أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي  
وأمي، فانا خيركم نفسا وخيركم أبا».

لقد طاب عنصر النبي ﷺ في حياته وشهد له  
بذلك ألصق الناس به وأعرفهم بمدخله ومخرجه..  
لهذا نطق الصديق بهذه الكلمة الموجزة التي تنبئ  
عن طهارة الحس والقلب، ويؤيدها ما أخرجه ابن  
مردويه عن أنس قال: قرأ النبي ﷺ: «لقد جاءكم  
رسول من أنفسكم» التوبة: آية ١٢٨ . وقال أنا  
أنفسمكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من  
لدن آدم سفاح.

وإذا كان الله سبحانه قد تولى حفظ نبيه حتى  
خرج طاهرا مطهرا كاملا في الأخلاق التي عاش  
بها بين الناس، وذلك ليتعلم منه البشر ويقتدى به

من ينشد راحة البال وهدوء الحال وراحة النفس..  
وقد عاش حياته الأولى وشب حتى اكتمل في  
رجولته قويا في خلقه عظيما في أخلاقه، صاحب  
عزيمة لا يحب الكسل، ولقد كان في أعلى قمة  
الأخلاق التي ينشدها المصلحون في كل زمان،  
وهم لو اجتمعوا بكل أبحاثهم فإن خلقه سيفوق ما  
كتبوه..

يحدثنا التاريخ أنه كان صادق الكلام لم يكذب  
مرة واحدة في حياته، ولو كان قد كذب مرة واحدة  
في حياته لانتهزها أهل مكة فرصة وعايروه بها  
عند ابلاغ الرسالة، ولكن يلاحظ من سياق  
الأحداث أن الله سبحانه وتعالى عندما قال له  
«فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين»  
الحجر: آية ٩٤ . وقف على جبل الصفا وقال: أيها  
الناس لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير  
عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم.. ما جربنا عليك  
كذبا قط. وهذه شهادة حق.. لقد كانت حياة النبي  
ﷺ مليئة بصدق الكلام، وهذا النوع من الخلق،  
على شبابنا أن يتعودوه وهم أمل الأمة في  
مستقبلها.. كذلك كان وفيا بوعده. فعن أبي يعلى  
عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبي  
ﷺ قبل أن يبعث ببيع فيبقى له شيء فوعده أن  
آتيه في مكانه فذهبت فتسيت ذلك اليوم والغد،  
فآتيته في اليوم الثالث فوجدته في مكانه ذلك،  
فقال لقد شققت على أنا هاهنا منذ ثلاث  
أنتظرك.. وقعت هذه القصة قبل تنزل الرسالة  
عليه، ولنتأمل، لقد كان وفيا بكلمته، والوفاء خلق  
كريم يتحلى به الأتقياء، ومن تحلى به كان محبوبا  
من الناس مرضيا عنه من الله رب العالمين.. لهذا  
رأينا أهل مكة وهم أكبر منه سنا ينزلون على رأيه



ويرضون بحكمه فى الأمر العظيم فكانوا يقولون هذا الصادق الأمين رضينا بحكمه.. أخرج أبو نعيم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وكذلك محمد بن جبير بن مطعم قال: لما وضع رسول الله ﷺ الركن ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبی ﷺ حجرا يشد به الركن فقال العباس ﷺ لا. وناول النبی ﷺ حجرا فشده الركن، فغضب النجدى وقال: وأعجبا لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال عمدوا إلى أصغرهم سنا وأقلهم مالا فرأسوه عليهم فى تكرماتهم وحرزهم. كلهم خدم له. أما والله لا يفوتهم سبقا.. إن الخلق الكريم يرفع صاحبه فى أعين الناس ومع هذا الخلق كان النبی ﷺ يحافظ على جسده بحيث لا يرى الناس منه مكان العورة، بحيث لا تتكشف عورته أمام أى شخص، وهذا من مكارم الأخلاق أيضا لأن هذا من الحياء والحياء شعبة من الإيمان وخلق كريم.. وإذا كان بعض الناس يكشفون عورتهم ويبولون فى الشوارع والطرق وما يجرى على شواطئ البحار فإن هذا خلق لا يليق.. أخرج ابن سعد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال «كان أبو طالب يعالج زمزم وكان النبی ﷺ ينقل الحجارة وهو غلام، فأخذ إزاره واتقى به الحجارة فغشى عليه، فلما أفاق سأل أبو طالب فقال: (أتانى آت عليه ثياب بيض فقال استتر) فكان أول شيء رأى رسول الله ﷺ من النبوة أن قيل له استتر وهو غلام قال فما رؤيت عورته من يوم إذ).

فعلى شبابنا أن يتعلموا من هذا المنهج الذى نهجه رسول الله ﷺ فى ستر عورته.. وهذا أدب السماء يهديه لأنه القدوة والمرشد والمعلم.. وقد حفظ الله النبی ﷺ ليكون لنا أسوة نتعلم من مسلكه وسيرته.. كذلك ضياع الوقت فى اللهو غير المباح من الأمور المنهى عنها وكان من مسلكه أنه ينتفع بالوقت لأنه رصيد العمر ورأس مال الإنسان فى حياته.. روى البيهقى عن على بن أبى طالب أن

النبي ﷺ قال: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من اللهو إلا ليلتين، كلتاها عصمنى الله منهما قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتيان. فقال: بلى. فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالفرابيل والمزامير، فقلت ما هذا؟ فقلت: تزوج فلان فلانة.. فجلست انظر، وضرب الله على أذنى، فو الله ما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئا ثم أخبرته بالذى رأيت.. وحدث هذا مرة أخرى كما جاء فى الرواية بنفس السياق ويقول ﷺ بعدها فو الله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمنى الله بنبوته.

إن توجيه الشباب فى السن المبكر بالرفق واللين من منهج الإسلام. لهذا جاء فى دستوره **«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن»** النحل آية ١٢٥. والإسلام لا يحرم على الإنسانية إلا ما فيه ضرر وخيم على أفرادها، أما ما فيه سعادة البشرية فالإسلام يبيحه مادام قد انتفى منه الضرر، وصدق الله العظيم: **«قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة»** الأعراف: آية ٣٢.

ونرى من سياق الأحداث أن الموسيقى المصحوبة بالخمير وتمايل الأجساد من ساقطات المجتمع يؤدى إلى ضرر وخيم على الفرد الذى هو اللبنة الأولى فى بناء المجتمع، لهذا عصم الله رسوله ﷺ من هذا الجو وتلك الحفلات الصاخبة التى على شبابنا أن يفروا منها ويهربوا من جوها حتى يحفظ الله لهم شبابهم.. كما أنه لا يليق بأصحاب المبادئ الكريمة حضورهم فى مثل تلك الحفلات التى يراق فيها دم الفضيلة وتهدر



الأخلاق الشريفة.. وإنتا نأمل أن يهجر شبابنا تلك الموائد الحمراء التي يغشاها الشباب بحجة المجاملة، أو كما يرددون: ساعة لربك وساعة لقلبك.. فإن الأخلاق فى الإسلام لا تتجزأ وإنما هى واحدة واحدة..

أخرج أبو نعيم عن على بن أبى طالب قال: «قيل للنبي ﷺ هل عبت وثنا قط؟ قال: لا. قالوا: هل شربت خمرا قط؟ قال: لا» ومازلت أعرف أن الذى هم عليه كفر حتى نزل على الوحي فيه ﴿وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ العنكبوت: آية ٤٨. وهذا يبين فطرته ﷺ نقية وأنه كان مستقيما فى طباعه لا يراوغ ولا يمالئ أحدا على حساب أخلاقه ولا يخاف من أحد مادام هو على الحق.. روى ابن سعد عن داود بن حصين قال: «قالوا شب رسول الله ﷺ أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا وأبعدهم عن الفحش والأذى ما رؤى مماريا ولا ملاحيا أحدا حتى سمّاه قومه بالأمين.. لقد كان المثل الكامل فى كل خلق كريم كان ينصر الضعفاء ويقف مع الغريب الضعيف حتى يأخذ حقه مع أنه كان يتحلى بالصبر إلا أنه كان شجاعا يحسن إلى المسء ويعضو عمن أساء إليه ليس بفظ ولا غليظ فى الأقوال أو الأفعال.. ذهب مرة مع غريب ضعيف له مال عند أبى جهل، وأبو جهل كان يماطل فى الحق والناس كانوا يتهيبون من أبى جهل لسفالاته وسوء أدبه، وأبو جهل من أعدى أعداء النبي ﷺ ومع هذا ذهب مع الغريب حتى طرق الباب على أبى جهل وقال: ادفع لهذا حقه فدفع أبو جهل الحق على الفور ما تباطأ.. وهذه مبادئ على شبابنا أن يتعلموها ودروس عليهم أن يستفيدوا منها.. إن أهل مكة لم يقاوموا دعوة الإسلام شكا فى مبلّغها أو نقصا من قيمه وأخلاقه. لا.. إنهم

قاوموها جحودا ونكرانا. وصدق الله العظيم: ﴿فإنهم لا يكتوبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ الأنعام: آية ٢٢.

وإن صاحب الذكرى الذى يحتفل المسلمون بميلاده جدير بهم أن يعودوا إلى ميادته التى نشرها فى الدنيا سيرة وعملا.. صاحب الذكرى ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، ولذا كان يتحرى صيام يوم الاثنين.. ولما سئل عن ذلك قال: «ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت على فيه النبوة.. يقول أحمد شوقي:

نعم اليتيم بدت مخاليل فضله

واليتيم رزق بعضه وذكاء

فى المهد يستسقى الحيا برجائه

ويقصده تستدفع اليأساء

يسوى الأمانة فى الصبا والصدق لم

يعرفه أهل الصدق والأمانة

إن المجتمع الإنسانى لا يجد فيما يقدمه إليه علماء الفسفة ولا رواد علم الاجتماع أحسن مما قدمه النبي ﷺ من مبادئ أخلاقية جاءت وحيا من عند الله الذى هو أعلم ما فيه خير البشرية وسعادتها.

يا أيها الأمى حسيك رتبة

فى العلم ان دانت لك العلماء

الذكر آية ربك الكبرى التى

فيها لباغى المعجزات غناء

نسخت به التوراة وهى وضيفة

وتخلف الاتجيل وهو نكاء

إن الاحتفال بميلاد الهادى البشير هو أن نتخلق بخلقه ونتعلم من سيرته لتسعد فى دنيانا ونفوز فى آخرانا ونردد مع الصديق: سيدي يارسول الله ما أطيبك حيا وما أطيبك ميتا.



# أتقى الناس لله

في ذكرى مولده ﷺ

لقد أتقى المؤمنون ربهم سبحانه وتخلقوا بأخلاق نبيهم - صلوات الله وسلامه عليه - وسارعوا إلى الخير جهدهم، وهم يرونه في كتاب الله تعالى ويجدونّه في حياة نبيهم - صلوات الله وسلامه عليه - بأوقى وأوفر ما تتسع له كلمة الخير من معانٍ.. ومهما أرخينا للقلم العنان ليسجل هدى رسول الله ﷺ في كل مواقفه وأعان على ذلك وتعاون فيه القادرون تقى وعرفانا وبياننا سيمثلون القطرة من البحر، وهذا رسول الله ﷺ يقول فيه ربه الذي يعلم من خلق ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء: آية ١٠٧.

## الشيخ معوض عوض إبراهيم

وقال - صلوات الله وسلامه عليه - : «إنما بعث لأتم مكارم الأخلاق». وهي كلمة تقنى أنه - صلوات الله وسلامه عليه - عارف بمهمته، مستحضر دائماً لما توجبه من كمال في سمته، وجلال في خلقه، وجمال في تصرفه ومسلكه، ويعقّق قال الصديق أبو بكر رضى الله عنه: «يارسول الله، لقد أتيت البلاد والأقطار، وعرفت الناس ألواناً وأجناساً، فلم أر أحداً على مثل خلقك فمن أدبك؟ فقال: «أدبى ربي فأحسن تأديبي»، جزم به ابن الأثير في مقدمة «التهاية» ووصفه ابن حجر بالقرابة (١) وهو صحيح المعنى ومهما قيل في هذا الخبر فإن صدقه تشهد به سورة القلم آية ٤ وآيات ذوات عدد في القرآن الكريم غير مامر بين يديك والله

وكلمة (العالمين) تستوعب كل ما سوى رب العالمين في السموات والأرض وما بينهما منذ الأزل وإلى أيد الأبدن، ويضفى الله تعالى من صفاته الملا على مصطفاه - صلوات الله وسلامه عليه - فيقول ممثلاً به علينا: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ التوبة: آية ١٢٨.

والقرآن الكريم ينطق بمكارم المرسلين وفضائلهم - صلوات الله عليهم - لكنه يشهد بأن ما تفرق في المرسلين جميعاً من ذلك قد جمعه الله في محمد ﷺ في عبارة استوعبت كل ماعرف علماء اللغة من أدوات التوكيد في قول أصدق القائلين: ﴿وانك لعلی خلق عظیم﴾ القلم: آية ٤.



تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. آل عمران: آية ٦٨.

واستحضر قول الله تعالى في خليله ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ النجم: آية ٢٧. وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ شاكرا لأنعمه اجتباؤه وهداه إلى صراط مستقيم ♦ واتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ♦ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ النحل: الآيات ١٢٠ - ١٢٢. وقوله تعالى: ﴿زُرِّيَّةً مِنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ الإسراء: آية ٢.

وكان خلق رسول الله ﷺ القرآن.. كما قالت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - يحل حلاله ويحرم حرامه، ويأتمر بأوامره، وينتهى عن زواجه.

وكان ﷺ أندى عاطفة من قطر السماء، وحسب المؤمن التقى وهو يود أن يزداد إيمانه وتنمو معه مشاعر تقوى الله وآثارها وانفعالاتها أن يقرأ مثل قوله الله تعالى لمصطفاه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: آية ١٥٩. فيدرك منها ما قرره الحسن وهو يقول: «هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به»، والآية تلتقى في سياق الامتتان على النبي ﷺ والامتتان به بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: آية ١٢٨.

ونضّر الله وجهه صاحب الظلال فهو يقول: «نجد حقيقة الرحمة الإلهية المتمثلة في أخلاق النبي ﷺ، وطبيعته الخيرة الرحيمة الهيئة اللينة، المدة لأن تتجمع عليها القلوب وتتألف حولها النفوس، ونجد أصل النظام الذي تقوم عليه الحياة الجماعية الإسلامية يؤمر به في الموضع الذي كان للشورى في ظاهر الأمر نتائج مريرة، ونجد مبدأ الشورى مبدأ الحزم، والمضى - بعد الشورى - في مضاء وحسم، ونجد حقيقة التوكل على الله.

فهو رحمة الله التي نالته ونالتهم، وجعلته ﷺ رحيما بهم ليثما معهم، ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر، فالتناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يُعَيِّنُهُمْ أكثر بهمه، ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة!!

وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ، وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئا من أغراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملك يده، في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه، نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيمة.. أ. هـ.



ورضى الله عن عبدالله بن عمرو بن العاص  
فلقد قال: «إني أرى صفة رسول الله ﷺ في  
الكتب المقدسة، أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا  
صخاب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة،  
ولكن يعفو ويصفح».

ألم يقل له موله «خذ العفو وأمر بالعرف  
وأعرض عن الجاهلين» وإما ينزغك من  
الشیطان نزغ فاستعد بالله إنه سميع عليم»  
الأعراف: الآيات ١٩٩ - ٢٠٠. وهو سيد المؤمنين  
الذين افتتح الله بصفاتهم سورة «المؤمنون».

وكان ﷺ أجل مما قال عند بن أبي هالة ابن أم  
المؤمنين خديجة وخال الحسن والحسين رضى  
عنهم أجمعين: كان رسول الله ﷺ لا يغضب للدين  
ولا ما كان لها، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه  
شيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر  
لها». وأقرأ كتب «الشمال» للترمذي وكلام ابن  
القيم في عدد من كتبه التي عطرها عرضت  
فضائله - صلوات الله وسلامه عليه -.

وهذه قطوف من قول أبي الحسن على بن أبي  
طالب رضي الله عنه في الرسول ﷺ: وما رأيته منتصرا من  
مظلمة ظلمها قط، مالم ينتهك من محارم الله  
تعالى شيء، الذين يلونه من الناس خيارهم  
وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده  
منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة وقد وسع الناس  
بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في  
الحق سواء... وزيد بن سعدة رضي الله عنه كان يهوديا قرأ  
في كتب قومه أن نبي آخر الزمان يسبق حلمه  
غضبه، ولا يزداد على كثرة الاعتداء عليه إلا

حلمًا، فأراد زيد أن يتعرف على هذه الصفات في  
رسول الله ﷺ فعقد صفقة بينه وبين النبي ﷺ  
عليه تسلم فيها بُرا وتأخر إلى أجل معلوم ثمناها  
لزيد، ووجد الرجل الفرصة سانحة للاختبار،  
فجاء النبي في اليوم التالي وهو يجلس بين  
صحابته ونادى بأعلى صوته: «أد إلى حقي عندك  
يا محمد، إنكم يا بني عبدالمطلب قوم مُطل» وهال  
الصحابه ما سمعوا وعجبوا لتהל وجه رسول الله  
وانبساط أساريره بعد أن سمع ما سمعوا، وأخرج  
عمر رضي الله عنه سيفه من غمده، واستأذن الرسول  
في أن يضرب عنق اليهودي، وعندها بدأ وجه  
الرسول يظهر فيه الغضب من صنيع عمر، وقال:  
لا يا عمر كنت أنا وهو أولى منك بغير هذا.  
تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن الاقتضاء  
ولكن قم فاد إليه برّه وزده عشرين صاعا لقاء ما  
روّعته، وهنا شهد زيد شهادة التوحيد وأسلم خير  
إسلام، وطالع الرسول وصحبه بجلية أمره ﷺ.

ولقد صح أن صحبه سألوه أن يقسم بينهم  
غنائم هوازن، وألحوا عليه حتى الجأوه إلى سمرّة،  
فتشبكت بردائه فتزعته عن ظهره فقال: ردوا على  
ردائي، فوالذي نفسى بيده لو أفاء الله عليكم مثل  
سمرّ تهامة نعمًا لقسمته فيكم ثم لا تجدوني  
بخيلا ولا جبانًا ولا كذابًا.

صلى الله وسلم وبارك على معلم الناس الخير  
وأنتاهم لله سيدنا محمد رسول الله.

الهوامش

١ - وأقرأ كلام ابن كثير في تفسيره الآية ج٤  
٤٠٢ - ط - الحلبي.



## سنة الرسول ﷺ في بناء القادة

في أقل من مائة عام بعد عهد النبوة امتدت فتوحات الإسلام من حدود الصين شرقاً إلى شاطئ الأطلسي غرباً، وقد بلغ عدد قادة تلك الفتوحات ٢٥٦ قائداً منهم ٢١٦ من الصحابة، وأربعون من التابعين إليهم بإحسان - رضى الله عنهم أجمعين -.

وقد بدأت تلك الفتوحات منذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضي الله عنه وفي مواجهة «أعظم قوتين عالميتين» في ذلك الوقت هما فارس في الشرق والروم البيزنطيين في الشمال والغرب بجيوشهما المنظمة، وبكل ما وراءهما من تاريخ حربي طويل وخبرة عميقة بفنون الحرب والقتال.

### لواء / محمد جمال الدين محفوظ

كما عني - عليه الصلاة والسلام - بتدريب المسلمين على ركوب الخيل والحرب بها وكان يجري بينهم المسابقات ويكافئ المتمازين.

وكان - عليه الصلاة والسلام - يحذر المسلمين من الانقطاع عن التدريب ومن ذلك أنه قال: «من ترك الرمي بعدما علمه فإنما هي نعمة جعدها» رواه أبو داود وغيره. وقال أيضاً: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصي» رواه مسلم عن عتبة بن عامر.

### ثانياً: المشاركة في التخطيط للمعارك

وذلك في نطاق مبدأ الشورى الذي طبقه ﷺ خير تطبيق حتى قال عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه من

### بناء القادة

والباحث المدقق في إدارة الرسول القائد ﷺ للصراع ضد أعدائه يجد أن سنته ﷺ في بناء القادة قد اشتملت على الأسس التالية:

### أولاً: اكتساب القائد لمهارات القتال

فلا يقود المقاتلين في المعارك إلا مقاتل، فقد حرص - عليه الصلاة والسلام - على تدريب أصحابه على السلاح والرمية بالقوس والنضال بالسهم والطعن بالرمح والحرية والضرب بالسيف والتمرس بأعمال القتال حتى لقد سمح باتخاذ المسجد ميداناً للتدريب، وقد بلغ من تقدير المسلمين للتدريب أن بعضهم كان يتدرب حتى في يوم العيد.



رسول الله ﷺ» رواه أحمد والشافعي. وهذه المشاركة في التخطيط من أهم ما يفيد في إعداد قادة المستقبل حيث يتدربون على فن التفكير واستخدام العقل والتعبير عن الرأي وصنع القرارات وكلها من أهم خصائص القيادة الناجحة.

### ثالثاً: ممارسة القتال والقيادة عملياً في الغزوات

فقد قاد الرسول ﷺ ثمانين وعشرين غزوة احتوت على «شты صور» وأشكال العمليات العسكرية مثل الإغارات والمعارك الدفاعية والهجومية والمطاردة والحصار والقتال في المدن وذلك خلال سبع سنين مع ملاحظة ما يلي:

حرص - عليه الصلاة والسلام - على مباشرة القيادة بنفسه طوال سنوات الصراع، وفي كل سنة دون استثناء.

قاد - عليه الصلاة والسلام - في السنة الأولى (أى في بداية الصراع) أكبر عدد من الغزوات وهو ثمانين غزوة وقد أتاح هذا «التركيز» فرصة عظيمة لإعداد قادة المستقبل حيث يرون أسلوب «القائد المعلم» في القيادة وإدارة المعارك مع اكتساب خبرة القتال في الوقت نفسه.

### رابعاً: تولي مركز القائد الثاني في المعركة

كان الرسول ﷺ حريصاً على أن يعين مع القائد الذي يختاره قائداً ثانياً بل وثالثاً في بعض الأحيان ومن ذلك - على سبيل المثال - أنه في غزوة بدر عين عمير بن هشام قائداً ثانياً مع على ابن أبي طالب في قيادة كتيبة المهاجرين وحمل

رايتها، وفي غزوة مؤتة عين جعفر بن أبي طالب قائداً ثانياً ووليه عبدالله بن رواحة مع زيد بن حارثة الكلبى القائد الأصلي.. وهذا الأسلوب يمنح الفرصة لتولى القيادة إذا أصيب القائد الأصلي أو استشهد أو غاب عن المعركة لأى سبب.

### خامساً: تولي قيادة السرايا

بعث الرسول ﷺ أصحابه في عدد من السرايا يقترب من الخمسين خلال تسع سنوات ابتداء من سرية حمزة بن عبدالمطلب ﷺ التى بعثها إلى العيص في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة، وانتهاء بسرية على بن أبي طالب كرم الله وجهه التى بعثها إلى بلاد مَدَجَج في اليمن في رمضان من السنة العاشرة للهجرة.

وتعتبر السرايا «عمليات مستقلة» حيث أنها تدور بعيداً عن مركز القيادة العليا في المدينة مما «يضع القائد وحده» في مواجهة مواقف المعركة ويحمله المسؤولية الكاملة عن إدارتها وعن نتائجها، وتلك فرصة عظيمة لإعداد القادة.

### سادساً: تولي قيادة المعارك الكبيرة

في غزوة مؤتة عين الرسول ﷺ زيد بن حارثة الكلبى قائداً لجيش المسلمين الذى كان يتألف من ثلاثة آلاف مقاتل، وقد كانت تلك المهمة تتطوى على كثير من الظروف الصعبة من وجهة نظر فن الحرب:

١ - فهي تتطلب سيرا طويلاً من المدينة إلى حدود الشام يزيد عن ١٠٠٠ كيلو متر.



٢ - وسوف تدور المعركة بعيدا عن مركز القيادة العليا.

٣ - لن يواجه جيش المسلمين في هذه المعركة القبائل العربية فحسب بل إنه سوف يواجه جيش الروم البيزنطيين إذا كان من أهداف الغزوة إظهار قوة المسلمين لهم وهي مواجهة تحدث لأول مرة في تاريخ الصراع وفي «مواجهة الجيوش المنظمة».

### سابعاً: رعاية الموهوبين

وكان رسول الله ﷺ حريصاً على الإشادة بمن يثبتون كفاءتهم، وبمن تظهر مواهبهم في القيادة الحربية بحيث تبشر بمستقبل باهر لهم، ومن أمثلة هؤلاء خالد بن الوليد الذي شارك في غزوة مؤتة التي استشهد فيها القادة الثلاثة الذين عينهم الرسول ﷺ، فاختره المسلمون للقيادة بالإجماع فاستطاع ببراعة فائقة أن يخلص الجيش من الفناء عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان حتى أخذ الزاية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» رواه البخاري.

ومما يستحق التأمل أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أشاد بخالد بأنه سماه «سيف الله» وهو عائد على رأس جيش المسلمين منسحباً من مؤتة، وكان المسلمون يتلقون العائدين بالنكير والتشهير، ويحثون في وجوههم التراب ويصيحون بهم أينما وجدوهم: يا فرار، يا فرار، فررت من سبيل الله!

إن الرسول ﷺ قد قدم بذلك صورة رفيعة لتصرف القائد الذي يحرص على ألا يدع مثل ذلك الموقف «يقضى على المستقبل العسكري» لقائد لديه من الملكات والقدرات والمواهب ما يجعله كفواً لتولى القيادة الحربية على أعلى المستويات.

إنه - عليه الصلاة والسلام - لم يواجه ذلك الموقف الذي ساد فيه الاتجاه العام «بالإدانة» بالأساليب التي ترضى الشعور العام مثل المحاكمة أو التبرير، لكنه واجه الموقف بمالم يكن في حساب أحد، وبما لا يمكنه أن يصل إليه فكر أعظم القادة.

ووجه المبقرية فيما فعل الرسول ﷺ بإطلاق اسم سيف الله على خالد يكمن في أنه أطلق ذلك الاسم عليه «مبكراً» إثر أول معركة يشترك فيها بعد إسلامه بشهرين أو ثلاثة، وقبل أن يقوم بأعماله الحربية البارزة في التاريخ.

ولقد شهد التاريخ العسكري لخالد بن الوليد بالمبقرية العسكرية ووضعت أعماله الرائعة في فتوحات الإسلام في عداد القادة العظماء في التاريخ، يقول مونجمري في كتابه «الحرب عبر التاريخ»: وفي عام ٦٣٦م حشد الامبراطور البيزنطي جيشاً مكوناً من خمسين ألفاً ليقا تل به العرب، وكان جيشهم نصف عدد الجيش البيزنطي وبقيادة خالد بن الوليد، والتقى الجيشان عند اليرموك، وقد أسفرت المعركة عن هزيمة الجيش البيزنطي وتشتت صفوفه ولاقوا حتفهم على أيدي أهل الصحراء وأدى ذلك إلى تقلص جبهة البيزنطيين حتى وصلت جبال طوروس.



## • مختارات من الحمديات •

# محمد ﷺ.. عند علماء الغرب

## فتحي الإبياري

●● إلى من أطلّ من غياهب الجاهلية،

فأطلت معه دنيا أظلمها بلواء مجيد كتب عليه بأحرف من

نور «لا إله إلا الله.. الله أكبر».

إلى من حرّر الأمة العربية من قياصرة الروم، وأكاسرة الفرس فإذا بها.. خير أمة

أخرجت للناس.

إلى من يهتف باسمه مئات الملايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها كل يوم.

إلى من بنى للأمة العربية مجدا، وجعل لها مكانا عاليا تحت الشمس في تاريخ الإنسانية.

إلى من هو الفرد الأكمل في النبوات، والقبس المتلألئ في مجموعة الرسل.. محمد بن

عبدالله ﷺ.. رسول السلام إلى سكان هذا الكوكب الأرضي.. إليه ﷺ تستمد من

سيرته العطرة العبرة والعظة..

يا رسول الله. يا شفيعنا يوم القيامة والفرقان.

«إن في نفس محمد شيئا عجبا، رائعا، يحمل الإنسان على الإعجاب والتقدير، ولعمري أن الرجل وقف وحده يدعو إلى الله، ويتحمل الأذى في سبيل هذه الدعوات سنوات عديدة، وأمامه الجموع المشركة، تعمل جاهدة لمعاكسته وقتل فكرته.

إنه إذن يستحق كل تقدير وتمجيد، ثم إنك لتراه محببا للأطفال الذين لا يمر بهم إلا تلتطف معهم ووقف بينهم باسم متواضعا.



فكيف كانت صورة الرسول الكريم محمد ﷺ في عيون المستشرقين عبر العصور.. وماهى آراؤهم في النبی محمد - عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وهناك الكثيرون من المستشرقين الذين تعرضوا لحياة النبی ﷺ ومن هؤلاء «فرانسوا فولتير» الذي ولد في باريس ١٦٩٤ وتوفي ١٧٧٨، وهو زعيم الحركة المادية، ورجل الثورة على رجال السلطة الدينية والمدنية، وهو من رجال القلم، وناطقة زمانه، وله مؤلفات كثيرة منها كتابه المعروف «محمد» قال فيه:



ويقول السير وليام سوير الإنجليزى فى كتابه «سيرة محمد»: امتاز محمد بوضوح كلامه، وببسر دينه، وأنه أتم من الأعمال ما أدهش الألباب، لم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق الحسنة، ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير. كما فعل محمد . عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام..



ويقول العلامة الكبير «جوستاف لوبون» الفرنسى الذى ولد عام (١٨٤١) وتوفى (١٩٣١) وهو من كبار فلاسفة علم الاجتماع، يقول فى كتاب «الحياة...» عند حديثه عن «العرب فى الشرق» إن محمدا رغم ما يشاع عنه على وجه عام، فلقد ظهر بمظهر الحكيم العظيم، والرحابة الفسيحة إزاء أهل النمة، وحرر بلادا واسعة من الروم والفرس، وترك أهلها فى طليعة الأمم. فرسول كهذا جدير باتباع رسالته والمبادرة إلى اعتناق دعوته، إذ أنها دعوة شريفة قوامها معرفة الخالق، والحض على الخير والردع عن المنكر، بل كل ما جاء فيها يرمى إلى الصلاح والإصلاح.. والصلاح أنشودة المؤمن.



●● ويقول «ألفونس دى لامارتين» الذى ولد فى بلدة ديوردو، (١٧٩٠) وتوفى (١٨٦٩م) وهو من مشاهير الشعراء الفرنسيين. يقول فى كتابه «السفر إلى الشرق»: «إن محمدا فوق البشر ودون الإله، فهو رسول بحكم العقل، ودلالات المعجزات تقصد ذلك. وإن اللغز الذى حلّه محمد فى دعوته، فكشف فيها عن القيم الروحية، ثم قدمها لأمة العرب دينا سماويا،

وسرعان ما اعتنقوه.. هو ما رسمه الخالق لنبي البشر.



●● ويقول الدكتور هارون ماركوس (الأمريكى) الحاصل على الدكتوراه فى الفلسفة.. والذى ولد (١٨١٢) وتوفى (١٨٨٧م)، فى كتابه.. حياة محمد نبي الإسلام الحنيف، ونبية العظيم محمد.. ولنجعل موضوعنا اليوم (الحكومة الإسلامية) فى صدر الإسلام. ولنستعرض تنظيماتها فى عهد سيدها وزعيمها وقائدها، ذلك الرسول الكريم، لنبين أن الصحابة والخلفاء وقادة المسلمين، كانوا يقومون بواجباتهم بكل أمانة، ودقة، وفقا للشريعة الغراء التى جاء بها محمد ﷺ.

لم يكن فى فجر الإسلام شيع ولا أحزاب، بل على العكس من ذلك كانت الحكومة الإسلامية تمثل جميع المسلمين تمثيلا صحيحا، وهى عبارة عن هيئة مشتركة تنطق بحق، بلسان كافة المسلمين، كل مسلم يشد أزر أخيه المسلم، ويشعر بأن الحق والواجب عليه أن يتوجع لوجعه، وكان عدل محمد منتشرا بين المسلمين.

فقد كان محمد ﷺ زعيما، وقائدا سياسيا، ربما فى أسمى معانى الزعامة السياسية من معنى وسيادة، هذه كانت تتجلى فى أروع المظاهر التى عرفها بنو الإنسان.

●● ويقول الفيلسوف والروائى العالمى «ليو تولستوى» الذى (ولد عام ١٨٢٨) وتوفى (١٩١٠م) فى كتابه «الإنسان والحياة»: لقد صدقت عائلة محمد برسالاته، وكذلك على بن أبى طالب، وزيد، وانضم إليهما أبو بكر، وخديجة بنت خويلد زوجة الرسول، وهى أولى من أسلمت من النساء.



إن محمدا نبي الإسلام الذي آمن به أكثر من مائتي مليون نفس (الآن مليار و ٢٠٠ مليون مسلم) قد قام بعمل عظيم جدا فقد هدى الوشيين الذين قضوا على حياتهم بالحروب الأهلية، وسفك الدماء، وأثار أبصارهم بنور الإيمان، وأعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله سبحانه والحق الذي لا مراء، أن محمدا قام بعمل عظيم وانقلاب كبير في العالم.

وقال تولستوى في كتابه «حكم محمد» من أراد أن يتحقق من فاعلية الدين الإسلامي في التساهل، عليه أن يطالع القرآن الكريم بإمعان، ذلك الكتاب الذي جاء به محمد بوحي من الله، وقد جاءت فيه آيات كريمة تدل على روح الإسلام السامية فمنها الآية الكريمة: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحت بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين لكم آياته لعلكم تهتدون» آل عمران: آية ١٠٣.

●● ويقول الكاتب العالمي برنارد شو (الذي ولد ١٨١٧م وتوفي ١٩٠٢م) في كتاب «محمد» الذي صادرت السلطات البريطانية:

«إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائما موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدينيات، خالدا خلود الأبد، وإنى أرى كثيرا من بنى قومه دخلوا في هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في قارة أوروبا. ويقول برنارد شو أيضا: إذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين السلام والتعاون،

والعدالة في ظل شريعة متمدينة محكمة، لم تَسُن أمرا من أمور الدنيا إلا أسمته، ووزنته بميزان لا يخطئ أبدا، وقد ألقت كتابا في «محمد» ولكنه صودر لخروجه عن تقاليد الإنجليز.

●● وقال المستشرق الهولندي المسيو راينهايت دوزي (ولد ١٨٢٠ وتوفي ١٨٨٤م) وكان يعمل مدرسا للغة العربية، وعمل في الأندلس والمغرب، وله عدة مؤلفات منها «عرب أسبانيا» قال فيه: كان يوجد على عهد محمد في بلاد العرب ثلاث ديانات.. الموسية، والميسوية، والوشية.

وتناول كل منها بالتحليل.. إلى أن قال:

في عهد هذه الأحوال الحالكة، ولد محمد بن عبد الله. من هذا نرى أن العالم الإنساني كان بحاجة إلى حادث جلل، يوقظ الناس مما كانوا فيه من غفلة، ويدفعهم إلى النظر والتفكير في أمر الخروج من المأزق الذي تورطوا فيه. ولله في خلقه شئون. إلى أن قال: لقد جاء محمد بتعاليم رفعت مستوى البيئة إلى عالم الكمال.

●● قال المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) الذي ولد في همبورج (١٨٢٦ وتوفي ١٩٢٠م) وهو من مشاهير المستشرقين الألمان، وله مؤلفات كثيرة منها «تاريخ القرآن» قال فيه:

«نزل القرآن الكريم على محمد نبي المسلمين، بل نبي العالم، لأنه جاء بدين عظيم إلى العالم، وبشريعة كلها آداب وتعاليم، وحرى بنا أن نتصف محمدا في الحديث عنه، لأننا لم نقرأ عنه إلا كل صفات الكمال، فكان جديرا بالتكريم».

●● وقال الكاتب الفرنسي الشهير والمؤرخ الكبير «هيليارد بلوك» والذي (ولد عام ١٨٢٥ وتوفي ١٨٩٥م)، وله دراسات في أديان الشرق، ومؤلفات



كثيرة منها «محمد والقرآن الكريم» قال: «إنى أقول إن معجزة كهذه من حيث خطرها وبعدها أثرها، وعظيم نتائجها، كانت مسوقة بقوة لا يستطيع تفسيرها، وإن كان مالدينا من المصادر والوثائق يساعدنا على تفهم الأسباب التي جعلتها أمرا واقعا متطورا».

كانت الحركة دينية مافى ذلك شك، فلم يخرج العرب من جزيرتهم للحرب فقط، وإنما خرجوا لنشر الدين الجديد الذى جاء به محمد، والتبشير بالمثل العليا التى نادى بها محمد، والصفات الجليلة التى دعا إليها محمد.

●● ومما قاله السير وليام سوير الإنجليزى فى كتابه «محمد»:

«ومن صفات محمد الجليلة الجديرة بالذكر، والرقّة، والاحترام، اللتان كان يعامل بهما أصحابه حتى أقلهم شأنًا، فالسماحة والتواضع، والرفقة، والرقّة، تغلغلّت فى نفسه، ورسخت محبته عند كل من حوله. وكان يكره أن يقول لا، فإن لم يمكنه أن يجيب الطالب عن سؤاله، فضّل السكوت على الجواب».

ويقول وليام أيضا: ولقد كان أشد حياء من العذراء فى خدرها. وقالت عائشة - رضى الله عنها - وكان إذا ساءه شيء تبينّا ذلك فى أسارير وجهه.

وقال السر وليام سوير فى كتابه أيضا.. ولم يمس محمد أحدا بسوء إلا فى سبيل الله. ويؤثر عنه أمة كان لا يتمتع عن إجابة الدعوة من أحد مهما كان شأنه.

ولا يرفض محمد هدية مهداة إليه مهما كانت

صغيرة، وإذا جلس مع أحد أيا كان شأنه لم يرفع نحوه ركبته شامخا ومتكبرا. وكان يحب الأطفال.. إذا مر بطائفة منهم يلعبون: أن يقرأهم تحية السلام.

وعامل حتى ألد أعدائه بكل كرم وسخاء حتى مع أهل مكة، وهم الذين ناصبوه العداء سنين طويلة، وامتنعوا عن الدخول فى طاعته. كما ظهر حلمه وصفحه حتى فى حالتى الظفر والانتصار. وقد دانت لطاعته القبائل التى كانت من قبل أكثر مناوأة وعداء له.

●● وقال الكاتب الألمانى الشهير (دريتر سى) الذى ولد فى برلين (١٨٢١ وتوفى ١٨٨٨م) وهو مستشرق ألمانى، وله كتب مختلفة قال:

«إن علوم الطبيعة والفلك، والفلسفة، والرياضيات التى أنعشت أوروبا فى القرن العاشر للميلاد، مقتبسة من القرآن المنزل على محمد، بل إن أوروبا مدينة للإسلام الذى جاء به محمد...».

●●● إن الرسول الكريم محمدا ﷺ.. تسلمت بذور مبادئه إلى قلوب علماء الغرب، وفلاسفته، وما أكثرهم بعد أن عرفوا قدره، وكانت تلك بعض أقوال هؤلاء العلماء.. وهناك الكثير من الأقوال والآراء.. والدراسات التى تؤكد أن نور النبى محمد ﷺ مازال يشع على ظلام هذه الدنيا التى نحياها.

إليك يا حبيب الرحمن، وشفيعنا يوم القيامة والفرقان، يا محمد.. عليك أفضل الصلوات، وأزكى السلام، وصدق من قال «وانك لعلى خلق عظيم».

«ولكم فى رسول الله أسوة حسنة».





### لماذا نحب رسول الله ﷺ؟

إن حياة الرسول ﷺ كلها قدوة. سلوكه. أفعاله. نومه. استيقاظه. صلاته. حركاته.. سواء قبل البعثة أو بعدها وواقعيات حياته وسلوكه تفصح لنا أنه ﷺ هو القدوة في كل شيء، ولناخذ مثالا على ذلك.. فكان عليه الصلاة والسلام.. رؤوفاً رحيماً مع أعدائه.. والدليل على ذلك أن أعداءه أسرفوا في الاعتداء عليه.. ومع هذا نجده يدعو لهم فيقول مناجياً ربه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» ولذلك نحب.

### سعيد عبد العظيم السيد

إلى استرجاع صفة الرحمة في ذكرى مولده حتى يتراحموا فيما بينهم ويتحركوا لمساندة إخوانهم المضطهدين في أماكن كثيرة.

وإذا نظرنا إلى وصية الرسول ﷺ لقائد جيشه وهو متوجه لقتال اليهود - لعنة الله عليهم - فأوصاه بقوله: «لا تقطع شجرة ولا تحرق بيتاً، ولا تقتل عجزاً أو طفلاً أو شيخاً، وإنك ستجد أقواماً اعتزلوا القتال للعبادة فلا تعرض لهم بأذى» وأوصاه أيضاً بأن يرحم الجريح والضعيف فهذا هو دستور الرحمة في دولة ناشئة من المفترض بمنطق السياسة أن ترهب من حولها حتى تضمن بقاءها وهذه الوصية كأنها ليست لقائد حرب.. وإنما لداعية سلام وأمان.. ولذلك نحب.

كما أن من مبادئ الحرب عند الرسول ﷺ وخلفائه الرحمة بالأسرى وعدم التفريق بين أم

ولكن حينما نحتفل بذكرى ميلاده ﷺ يجب أن نضع في اعتبارنا نموذج «الرحمة».. لأنه به ﷺ تراحم الناس فيما بينهم، والله - عز وجل - قال في حقه: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» آل عمران: آية ١٥٩. وقال ﷺ عن نفسه «إنما أنا رحمة مهداة». ولذلك نحب.

فما أحوجنا في عصرنا المليء بالمشاحنات والمجادلات إلا أن نتذكر «الرحمة».. فلو ساد هذا الخلق لما رأينا المآسى التي تعم أرجاء الدنيا. كما أن ما يحدث للمسلمين في الهند والفلبين وفلسطين وكشمير وكوسوفا.. سببه الرئيسى أن الرحمة انتزعت من قلب المجتمع الدولي، فلم يعد يهتز لاغتيال أطفال أبرياء أو لاعتداء حيوانى خسيس على النساء.. وما أحوج المجتمع الإسلامى



وطفلها وابنة وأمها وأخت وأختها.. بل كانت معاملته للأسرى لا تختلف عن معاملة المسلم لأخيه المسلم.. ولذلك نحبه.

ومن مبادئه أيضا عدم الغدر في الحرب إطلاقا ولا أن يفاجئهم بالحرب وإنما فرض الله على رسوله أن يبعث إلى القوم الذين يريد قتالهم ليخبرهم حتى يستعدوا تنفيذا لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ الأنفال: ٥٨. ولذلك نحبه.

إن الغاية الإنسانية السامية أنه بنى شريعته على أساس المساواة بين الناس. جاء في الصحيحين: أن أسامة بن زيد لما شفع في شأن المخزومية التي سرقت، وكان قد أهم قريشا أمرها، فقال له - عليه الصلاة والسلام - : «يا أسامة: اتشفع في حد من حدود الله؟ إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.. والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت محمد يدها». وروى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «ساببت رجلا فغيرته بأمه فقال لي رسول الله: «يا أبا ذر. أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية». ولذلك نحبه.

دخل أعرابي على النبي ﷺ وجذبه من طوقه جذبة عنيفة حتى أثر في رقبة النبي، وقال: يا محمد معي جملان فاحمل لي عليهما من مال الله الذي عندك فإنك لا تعطيني من مالك ولا من

مال أبيك. فسكت النبي ثم قال: المال مال الله وأنا عبده، ويقاد لي منك - أي تعاقب، قال الأعرابي: لا قال الرسول: فلماذا؟ قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة على السيئة: فضحك النبي ﷺ وأمر بأن يحمل على أحد الجميلين شعيرا، وعلى الآخر تمرا «عن أنس» الشفاء.. ولذلك نحبه.

وحين امتدح الله نبيه ﷺ لم يمتدحه بعلو النسب أو عظم الجاه أو غير ذلك مما جرت عادة الناس أن يمتدحوا به ولكن امتدحه بحسن الخلق، فقال له مزيكا: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ القلم: آية ٤. وتعتبر صفة الكرم من أعظم الصفات التي تجمع شمل الأمة وتقوى الروابط بينها وتقيم دعائم المجتمع على هدى ونور وحب بعد أن أوشكت أن يفقدها الناس لأن المادة زحفت بثقلها وران زيفها على القلوب فأعمهاها، فلم تعد تدرك في دنياها إلا الحرص الزائد والأنانية والاستغلال واقتناص المغنم من أي مكان وبأية وسيلة، وضاع في طريق ذلك كثير من المبادئ والقيم التي أسسها الإسلام ودعا إليها رسوله الكريم ﷺ. كان النبي ﷺ كريما مضيافا، وكان في كرمه كالريح المرسلة، وكان يحض على إكرام الضيف وكان هو قدوة طيبة في ذلك واعتبر إكرام الضيف من علامات الإيمان.. فقال في الحديث المشهور: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». ولا يقف كرمه عند حد إكرام الضيف، ولكن كان يدعو إلى العطاء ومحاربة شح النفس ما وسعه إلى ذلك سبيل.. ولذلك نحبه.



يؤنبهم.. فوجد أن الأساس الذي يجب أن يشيد عليه صرح الدولة الإسلامية إنما هو «الأخلاق» ولذلك نحبه.

إن حب الله - عز وجل - مرتبط باتباع الرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ آل عمران: آية ٣١.

ولذلك فإن أهم ما يستفاد من الاحتفال بذكرى ميلاده ﷺ هو حب رسول الله ﷺ واتباع سنته.

## ماء زمزم

● ماء زمزم.. يأتي من بئر عميقة، من باطن الأرض منذ آلاف السنين، ويرجع تاريخه إلى اليوم الذي جاء فيه سيدنا إبراهيم من الشام، حيث ترك زوجته هاجر وابنه اسماعيل عند البيت الحرام، وقد نفذ ما عندها من ماء فأخذت تجري بين جبلين متقابلين، هما الصفا والمروة.. وعندما عادت إلى طفلها وجدت الماء يتدفق تحت قدميه.. فحوت هذا الماء وهي تقول له زم.. زم، أي لا تتبدد ولا تضيع، ومن يومها أخذت البئر هذا الاسم.

وفي مسلم.. يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.. فيقول: بعض الناس ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؛ فيقول بعض الناس اثبتوا آدم إلى أن قال: فيقال ارفع رأسك واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول: يارب أمتى أمتى فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.. هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء وهي المراد بقوله ﷺ: لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإنى اختبأت دعوتي شفاعة لأمتى.. ولذلك نحبه.

إذن ونحن نحتفل بميلاد المصطفى ﷺ يجب أن نتذكر سنته لتبناها ونسير على هداها.. ولنجعل سلوكه وأقواله نبراساً لحياتنا.. وأهم ما يجب أن نتحلى به هو «خلق» الذي يقول الله تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ والرسول ﷺ يقول عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». ويقول: «أدبنى ربي فأحسن تأديبي».

ومن هنا يجب أن نعلم أن مكارم الأخلاق هي أساس بعثة الرسول ﷺ، وخلق المسلم ما هو إلا قبس من نور النبوة. فقد جاء النبي ﷺ إلى مجتمع جاهلي تمكنت الوحشية من قلوب أفرادها فلا أحد يردعهم ولا دين يمنعهم ولا ضمير



# حاجة المسلم

## في حياته

### إلى التأسى

### بالنبي ﷺ

بقلم : مصطفى محمد البسيوني

ولك أن تستعرض هذه السيرة الرائدة، والمسيرة الغنية بالتجارب البشرية، والخبرات الإنسانية العملية في تأمل عميق، وتدبر دقيق، لتعرف أن محمداً ﷺ كانت حياته كلها - على هذه الأرض - دروساً جديدة بالاعتداء، وخطوات حرة بالاعتفاء. فما نظن أن هناك تجربة ميدانية يمكن أن تعرض لإنسان ما في الحياة لم تتضمنها حياة محمد ﷺ. ومن ثم فإنه يصبح على أتباع هذا القائد القدوة، والراشد الأسوة - ماداموا قد صدقوه وآمنوا برسالته ووقر هذا الإيمان في قلوبهم - أن تتسق أعمالهم مع هذا

إن من الإحياءات

المضيئة، والإيماءات الوضيئة التي

تشع بها السيرة المحمدية العاطرة الزاخرة،

والتي تطمئن إليها نفس المؤمن المتأمل، أن النبي

الخاتم ﷺ قد أراد الله تعالى له أن تكون السنوات

التي أمضاها - فيما بين مولده الشريف وبين انتقاله

إلى الرفيق الأعلى - كلها عقداً درياً منتظم الحبات،

وسلسلة مترابطة متسقة الحلقات من المواقف

الإنسانية المتعددة والمتنوعة، والتي كانت بحق نماذج

عملية لكل ما يمكن أن يعرض لأي امرئ في حياته

من أمور... وقد عبرت السيرة النبوية الطاهرة بجلاء

عن مواجهة النبي ﷺ لكل موقف من هذه

المواقف بالفكر الرشيد والفعل السديد

الذي لا ينطق عن الهوى.

الإيمان.

على أن يحيط تأسى المؤمنين بالنبي بجوانب

السلوك اليومي.. ذلك السلوك النبوي الذي يمثل

الخطوات العملية للتربية الشخصية للمؤمنين.

وليس شك في أن السلوك العملي لا يتسق مع

الإيمان القلبي إلا إذا اتفق سلوك التابع وسلوك المتبوع

بحيث تصبح أفعال التابع المصدق استمراراً وامتداداً

لأفعال المتبوع المصدق.

وإن هذا ليببدو في وضوح وجلاء في الدين

الإسلامي الحنيف - بوجه خاص - حيث لا ينقطع دور

الرسالة بوفاء الرسول ﷺ وإنما هي رسالة ممتدة،

ومتتملة في أتباعه، وأتباع أتباعه من المسلمين



الصادقين إلى ما شاء الله رب العالمين طالما كان هناك قرآن ينظم مسيرة هذه الرسالة الحققة، وهو القرآن المجيد الذي تكفل الحق سبحانه وتعالى بحفظه: **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر: ٩**

ذلك لأن كل مسلم - في أي زمان ومكان - مكلف بتبليغ دعوة النبي ﷺ بيقين دينه، ويسلك - ما استطاع - مسلكه في اقتداء قويم، واهتداء سليم.

وعلى هذا، فقد ألقى الرسول ﷺ بالمسئولية العملية على كل فرد من أفراد أمته جيلا بعد جيل، حين قال: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن وعيته»**.

ولعل هذا هو ما هيأ الأمة الإسلامية لأن تكون خير أمة أخرجت للناس. لأن كل فرد فيها مكلف بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من منطلق الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وهذا التكليف هو استمرار لرسالة النبي ﷺ ولقد قرر هذا القرآن الكريم في بعض آياته المحكمات التي يشرح بعضها بعضا في ترابط متين، واتصال مكين، كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠.

فيذا استشعر المسلم الحق في أعماقه هذه المسئولية، وهذا التكليف، فما أحراه أن يتحرى السلوك النبوي، الذي صدر عن صاحب هذه الرسالة المتواصلة طوال ثلاثة وستين عاما من الزمان، لا تمثل عمر إنسان، ولكنها تعتبر ينبوع المتدفق الذي يفيض - دون أن يغيب - على البشرية جمعا طولا وعرضا، بما يصلح أولها وآخرها، كما أنها المورد النقي الذي يرد كل من طلب الطريق السوي، وقصد الصراط المستقيم.

ولقد أراد الله سبحانه وتعالى باتباع محمد ﷺ اليسر، ولم يرد بهم العسر، عندما بعث فيهم رسولا من أنفسهم هو في كل خطوة قدوة، وفي كل مجال مثال، فأجرى الله عز وجل على يديه الشريفتين

الأسلوب الصحيح لمواجهة كل ما يمكن أن يعرض ليشتر من أحداث، وهذه إلى القول الفصل، والمسلك العدل في كل ذلك، حتى يتيسر لنا النظر في الحلول، عندما تعرض لنا المشكلات، تأسيساً بمواقف النبي ﷺ في كل أمر من الأمور ولو دق.

وهذا فضل من الله ونعمة، حيث يتجه المسلم كلما حزه موقف إلى السلوك النبوي، ليعرف ماذا فعل رسول الله ﷺ عندما واجهه مثل هذا الموقف وعندها يجد ضالته في السيرة النبوية الحصبة فيهدأ باله، وتطمئن نفسه، ويحاول أن يقتدى بالسلوك الحمدي، مستمدا شعاع الهدى من القبس النبوي الوضاء، وكيف لا؟ ألا يكفي المسلم أن يقتدى بنبي كان خلقه القرآن؟

ولعله من نافلة القول أن نذكر أن اقتداء السابقين في صدر الإسلام بالسلوك الحمدي، هو الذي جعل من كل واحد منهم طاقة هائلة من الإيمان المتين، الذي لا تعصف به الأهواء، ولا تزعزعه الأنواء.

وهؤلاء هم الذين كانوا اللبنة القوية الراسخة، التي قام عليها المجتمع الإسلامي المتماسك المتين.

ولما كانت الأحداث البشرية والمواقف الإنسانية لا تكاد تحصى كما وكيفا، لذلك كانت حياة النبي ﷺ حافلة بالنماذج الحية لهذه الأحداث والمواقف، وبالأمثلة التعليمية النابضة التي تبصر الناس بالتصرف النبوي الحكيم حيالها، والأسلوب الحمدي السليم في معالجتها.

وحسبنا أن نتذكر بعضا منها في عصرنا هذا الذي ماجت بالناس فيه السبل، وتقطعت بهم الأسباب، واختلطت عليهم الأمور، فأصبحوا يتخبطون في ظلمة تفتقد الدليل الهادي، وتفتقر إلى المرشد الأمين.

وعلى سبيل المثال مانعلمه مما يحدث اليوم من خلاف بين الزوج وزوجته لأمر أو لآخر، وكيف يستفحل هذا دون مبرر، حتى يهدد كيان الأسرة، ويطيح بمصير



أبنائها.. فتعال معي إلى الموقف المحمدي العظيم في مثل هذا الأمر. تروي كتب السيرة، أنه كان هناك بين عائشة والنبي كلام فسألها: هل ترضين أن يكون بيني وبينك؟ أترضين بأبي عبيدة بن الجراح؟ قالت: لا، ذلك رجل هين لين يقضى لك، قال أترضين بابيك؟ قالت: نعم

فلما جاء أبو بكر قال رسول الله، أقصصني. فقالت: بل أقصص أنت.

فأخذ رسول الله في إعادة ماجرى بينهما من كلام، وبدت من عائشة كلمة لاتعنيها فقالت: أقصد: فرغ أبو بكر يده فلطمها وانتهرها مغضبا: تقولين يا ابنة أم رومان أقصد!! من يقصد إذا لم يقصد رسول الله؟ وجعل الدم يسيل من أنفها ورسول الله يحجز بينهما، ويقول لصديقه: إنا لم نرد هذا. حتى انصرف برضى من رسول الله.

فأين الزوج الذي نعرفه اليوم من الزوج محمد ﷺ الذي يرسم بسلوكه النبوي الرحيم كيف تعالج الأمور بين الزوجين دون عنف حتى لو كان هذا العنف من حبيبه الصديق رضي الله عنه دفاعا عن خلق رسول الله؟

وكلمة (اقصد) هنا تعني (اعتدل) كما جاء في القرآن الكريم على لسان لقمان لابنه «واقصد في مشيك».

ثم أما علمت نبأ فاطمة بنت محمد، وقد دخلت على أبيها ﷺ باكية تشكو إليه أن زوجها علياً سيتزوج من بنت أبي لهب! إنه لموقف معقد الشعاب ففاطمة هي من هي في عمق القلب المحمدي الطاهر، وإن عليا هو من هو في مواقفه النادرة في الإسلام سبقا، وفداء، وبطولة.

هذه هي الابنة الحبيبة، وهذا هو ابن العم الحبيب، فماذا يصنع الأب الذي لا يقيم أسرة وإنما يشيد أمة؟ إن الأب المعاصر قد تأخذه سورة الغضب فيتخلى عنه

رشده وحكمته، وقد يحتجز، ابنته عن بيت زوجها ثم قد يتصاعد الأمر فينتهي إلى مالاتحمد عقباه. ولكن عندما يكون الأب هو الأسوة الحسنة، فإنه لا بد آت بالتصرف الحكيم، الذي يريد من الناس أن ينهجوا نهجه، وينسجوا نسجه، إن عرض لهم مثله في مختلف الأزمان.

عندها خطب الرسول ﷺ في الناس وبينهم على يعرض الأمر، ثم يواجه الموقف في حكمة فذة، وأدب جم، بأنه لا يقبل أن تعيش ابنة رسول ﷺ وبنت عدو الله في بيت واحد، فإذا بعلى يحس بخطورة الأمر إن وقع، فيعود إلى زوجه الزهراء في اعتذار ورجاء.. وقر العاصفة مر النسيم.

ولعل في مخيلتنا دائما موقف محمد ﷺ وهو يواجه فراق ولده الحبيب إبراهيم، ويضع حنو الأبوة الرقيقة الدامعة في إطار من الجأش المتين، وكأنه يقول للأجيال المقبلة من الآباء إن هكذا يواجه مثل هذا الموقف، وإن هذه هي الحدود التي ينبغي التزامها في مثل هذا الحدث الفاجع الرهيب.. حزن بالقلب ينطق بدمعة من العين، لأن هذه هي مشيئة الله التي اقتضت أن يمتحن محمد الأسوة هكذا ليقدّم لنا على مر الزمان درسا من دروس الإيمان.. وبالحق من دروس.

ومن الأمور التي توحى بأن حياة النبي ﷺ كانت من أولها إلى آخرها رسالة محددة المعالم، أنه ﷺ لم يحج إلا مرة واحدة، وهي الحجة التي خطب فيها خطبة الوداع ليأخذ الناس عنه مناسكهم، ولينتقل بعد ذلك إلى جوار ربه، حيث أتم ماكلف به علما وعملا.

فما أحوج المسلمين - بل ما أحوج البشر جميعا - اليوم إلى أن يتعمقوا مواطن الأسوة النبوية الهادية، فيما يعن لهم في حياتهم اليومية، في هذا العصر من مواقف ومشكلات.



# الإمام الحسين بن علي كرم الله وجهه



عرض الدكتور/ محمد بهي الدين سالم

تأليف الأستاذ/ حسن كامل الملطاوي

## □□ عزيزي القارئ:

رحلة روحية نعيشها معاً في رحاب سيرة فرع  
من الشجرة المباركة التي نقلت الإنسانية من  
الضلال إلى الهدى، من التنافر إلى الحب، من  
الكفر إلى الإيمان... إنها شجرة النبي الخاتم  
محمد - ﷺ - الذي يقول: «حسين مني، وأنا من  
حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط  
من الأسباط».

□ والمعروف عن الأستاذ الملطاوي - صاحب  
الكتاب - أنه محب من أحباب الله ورسوله وآل بيته  
الكريم، يشعر كل حرف من حروف كتابه أنه  
صوفي حتى النخاع، يذوب عشقاً في بسط معارفه  
الكثيرة عن نسب الإمام الحسين وعلمه، ومكانته  
من جده النبي - ﷺ - ومن أبيه علي بن أبي طالب -  
رضي الله عنه.

ثم جهاده في الإسلام، ورأيه في كثير من أمور  
الأمة المحمدية، وأخيراً استشهاد مقتولاً، وما  
خلفه من آثار ظلت باقية إلى اليوم.

□ لم يقسم الكاتب كتابه إلى أبواب أو فصول أو

مباحث، وإنما ترك لقلمه العنان يقدم العديد من  
المواقف والأحداث التي صبغها بالصبغة التاريخية  
الموثقة، وهو عمل طيب مفيد يضعك عزيزي  
القارئ على أول طريق معرفة أخبار سيد شهداء  
الأرض ابن الإمام علي وسيدة النساء الفضليات  
«فاطمة الزهراء» بنت رسول الله - ﷺ -.

ولن ترى في العلا أماً كفاطمة

ولن ترى كعلي في الفخار أباً

□ ولذا الحسين - علي الأصح - لخمس خلون من  
شعبان سنة أربع من الهجرة، وذلك بالمدينة المنورة.  
وكان الحسين يحاكي جده النبي - ﷺ - في  
الصورة التي انطبعت في نفسه عنه، فكان يتشبه  
به - ﷺ - حين شب وكبر. وكان الحسين عالماً  
وقوراً، عرف عنه الجود والكرم، وحسن معاملة  
مواليه.

أما شجاعة الإمام الحسين فحدث ولا حرج.  
ومما يميز الحسين عن أقرانه أدبه وبلاغته،  
فقد تعلم منذ الصبا فنون العلم والأدب، كما آتاه  
الله ملكة الخطابة، وطلاقة اللسان وحسن البيان،



ويقين قوى يزين كلامه بنور الموقنين، كما كان يقرض الشعر، ومن شعره في الحكمة قوله:

اغن عن المخلوق بالخالق

تغن عن الكاذب والصادق

واسترزق الرحمن من فضله

فليس غير الله من رازق

من ظن أن الناس يغنونه

فليس بالرحمن بالوائق

□ كان الإمام الحسين يلزم جده - عليه السلام - في البيت، وفي المسجد... فلا غرو أن يكون فاضلاً، كثير الصوم والصلاة والحج والصدقة، وأفعال الخير جميعها، حج خمساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه.

تزوج الإمام الحسين عدة زوجات، كان له منهن الأبناء والبنات:

١. الرباب بنت امرئ القيس الكلبية، وهي أم ابنه عبد الله الذي قتل معه، وأم ابنته سكيئة.

٢. ليلي بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي وهي أم ابنه علي.

٣. أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله، وهي أم فاطمة، وكانت أم إسحاق زوجة لأخيه الإمام الحسن قبل وفاته.

٤. شهربانو بنت كرى يزدرج، واسمها جان شاه. أي ملكة العالم. وولدت له الإمام علي زين العابدين.

□ بعد هذه البسطة الأسرية من حياة الإمام الحسين، ينتقل بنا المؤلف إلى جانب هام وهو جهاده في سبيل رفعة كلمة الله، ونشر الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق.

• ففي فتح الشمال الأفريقي كان الحسين في الجيش الذي أرسله سيدنا عثمان بن عفان - عليه السلام -

في سنة ٢٦ للهجرة مدداً لعبد الله بن أبي السرح. واليه على مصر بعد أن عزل عمرو بن العاص. وقد خرج ذلك المدد من المدينة المنورة، وفيه الحسن والحسين وتقابل مع عقبة بن نافع ومن معه من المسلمين «ببرقة»، ثم ساروا إلى «طرابلس» ثم إلى الشمال الأفريقي حيث تم لهم النصر.

• وفي فتح طبرستان، روى ابن جرير الطبري أنه في سنة ثلاثين للهجرة استعمل الخليفة عثمان سعيد بن العاص على الكوفة، وفي هذه السنة غزا سعيد طبرستان، وكان مع سعيد ناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم الحسن والحسين - رضی الله عنهما.

□ وفي الدفاع عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان كان السبطان الكريمان أول المدافعين عن سيدنا عثمان حين حضره الثوار وقتلوه، وهو يتلو القرآن الكريم.

• وعندما غزا المسلمون القسطنطينية بقيادة يزيد بن معاوية مرتين في خلافة أبيه معاوية: المرة الأولى سنة ٤٩ والثانية سنة ٥١ للهجرة شارك في المرتين سيدنا الحسين - عليه السلام -

وهكذا حارب الإمام الحسين جهاداً في سبيل نصرة دين الله، وهو رد عملي وإقعى على من ادعى أن الإمام على ضن بابنه أن يشترك في حرب المشركين وفي اتساع رقعة الدعوة الإسلامية.

وهو أيضاً دفاع صادق على براءة ما اتهم به الإمام على زوراً وبهتاناً من الاشتراك في دم سيدنا عثمان - عليه السلام - لما للحسن والحسين من مواقف تدحض هذا الافتراء الذي يخلو من تلوين الوقائع بالأهواء السياسية لخصوم أمير المؤمنين ولولديه.



□ وينقلنا المؤلف إلى جانب آخر من جوانب حياة الحسين، وهو علاقته بأهل العراق، وموقفهم منه.

رأت شيعة العراق أن الفرصة قد واثمت لإحياء الخلافة العلوية وإرجاع الخلافة إلى الكوفة فاجتمعوا في منزل زعيمهم سليمان بن صرد، واتفقوا على أن يكتبوا للإمام الحسين يسألونه القدوم عليهم ليسلموا الأمر إليه ويطردوا النعمان ابن بشر الوالي الأموي.

ولما جاءت رسل الشيعة ورسائلهم إلى الإمام الحسين بمكة عزم على الخروج إلى الكوفة، وخرج بالفعل في ٨ من ذي الحجة سنة ٦٠ هجرية وحاول كثير من أهله وأحابيه أن يثبوه عن عزمه، ويذكروه بما كان من خذلان أهل الكوفة لأبيه، ولكنه رحل متوكلاً على الله فيما عزم.

وعندما بلغ القادسية علم بمقتل ابن عمه مسلم ابن عقيل فآثر أن يعود ولكن أخوة مسلم أصروا على المضى للأخذ بثأره، وكان الحسين في تسعين نفساً من أهله وأنصاره ما بين رجل وامرأة وطفل. ووقع القتال في كربلاء، وكانت عدة جيش ابن زياد أربعة آلاف ما بين فارس وراجل.

وقضى الله أن يستشهد الإمام الحسين استشهاده أم به من سبقوه أو لحقوه من الشهداء المقاتلين، وكان في قتله مدافعاً عن نفسه وعن ذويه، فلم يشأ أن يكون بادئاً بقتال أو فاتكاً بخصمه.

ويعبر الإمام الحسين عن مكنون نفسه عندما سمع بمقتل مسلم وهو في آخر الطريق يقول:

لئن كانت الدنيا تغد نفيسة

فدار ثواب الله أعلا وأنبل

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت

فقتل امرئ في الله بالسيف أجمل

وإن تكن الأموال للترك جمعها

فما بال متروك به المرء ييخل

ولم تنقض ست سنوات على مقتل الحسين حتى حاق الجزاء الإلهي بكل رجل أصابه في موقعة كربلاء.

وكانت وقعة كربلاء الشيعة في العاشر من المحرم سنة ٦١ للهجرة، واتفقت الأقوال في مدفن جسد الإمام الحسين، أما رأسه الشريف فتعددت الأقوال فيه، فمنها أن الرأس قد أعيد بعد فترة إلى كربلاء فدفن مع الجسد فيها، ومنها أنه أرسل إلى عمرو بن سعيد بن العاص والي يزيد على المدينة فدفنه في البقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء.

وقد قال الإمام الشعراني في الطبقات: إن الوزير الصالح طلائع بن رزيك خرج هو وعسكره حفاة إلى «مدينة الصالحية» فتلقى الرأس الشريف ووضعه في كيس من الحرير الأخضر على كرسى من الأبنوس وفرش تحته المسك والعنبر والطيب ودفن في المشهد الحسيني قريباً من خان الخليلى في القبر المعروف، وجاء في بعض الأقوال أن الجسد الشريف بمسجد الرقة في الفرات.

وأياً كان الأمر فأنسب الأقوال ما قاله الأستاذ العقاد - رحمه الله -: وأياً كان الموضع الذي دفن به ذلك الرأس الشريف، فهو في كل موضع أهل للتعظيم والتشريف.

□ ولعل الإمام الحسين كان يؤمن إيماناً لا يساوره الشك أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له، وكان دائم الاتعاظ بالموت.

روى ابن كثير في البداية والنهاية عن إسحاق ابن إبراهيم فقال: بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال:



ناديت سكان القبور فاسكتوا

فأجابني عن صمتهم ترب الحشا

قالت: أتدري ما صنعت بساكني

مزقت لحمهم وخرقت الكسا

وحشوت أعينهم تراباً بعدما

كانت تأذى بالقليل من القذى

أما العظام فإنني مزقتها

حتى تباينت المفاصل والشوى

قطعت ذا من ذا ومن هذا هكذا

فتركتها مما يطول بها البلى

□ وعن آثار مقتل الإمام الحسين - عليه السلام - يقول المؤلف:

إن مقتل الإمام الحسين زلزل مجرى التاريخ  
فغيره وأسقط دولة بسلطانها وأقام دولاً ذات  
سلطين في الشرق والغرب.

كما أن مقتل الإمام الحسين مكن للمختار بن  
عبيد الله من حكم العراق في خلافة ابن الزبير  
حتى قتله مصعب بن الزبير.

كذلك تعلل بمقتل الحسين ناس من الأيوبيين  
والعثمانيين، واستظل بحب آل البيت بسبب ذلك  
المقتل الملوك والأمراء من العرب والفرس والهنود،  
وقام كذلك مذهب الشيعة في كثير من البلاد  
الإسلامية.

يقول الأستاذ العقاد في كتابه «أبو الشهداء»: «إن  
الحسين انهزم في كربلاء، ولكنه باء بالفخر الذي  
لا فخر مثله في تاريخ بني الإنسان».

• وفي الحق أن مقتل الإمام الحسين على  
الصورة التي وقع بها مصاب أليم يحزن القلب،  
ويدمع العين، ولكن الإيمان يدعو إلى الصبر  
الجميل، وخير ما يقال عند ذكر تلك المصيبة أو  
أمثالها ما رواه الإمام الحسين بن علي عن جده

رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه قال: «ما من مسلم يصاب  
بمصيبة فيتذكرها، وإن تقادم عهدها، فيحدث لها  
استرجاعاً إلا أتاه الله الأجر مثل يوم أصيب بها».  
(رواه ابن ماجة - والاسترجاع أن يقول المؤمن: إنا  
لله وإنا إليه راجعون).

□ وبعد عزيزي القارئ:

لقد نفذ استشهاد الإمام الحسين - عليه السلام - في  
وجدان المؤمنين في كل جيل، فجاشت عواطف  
الشعراء منهم بالمرثي الحسان التي تترجم عن  
حبهم لآل البيت وتتألم لما أصابهم.

وأخيراً وليس آخراً: لقد غادر الإمام الحسين  
أهل الأرض كسيد للشهداء فأضاء لهم بنور  
الشهداء - وهو في السماء - سبيل الحق للأعين  
البصيرة، وأسمع صوته للأذان الواعية، وصوت  
الإمام الحسين هو صوت الحق الذي وهبه دمه  
الزكي فملاً بنعمته القدسية أسمع أهل الفضيلة،  
أهل البصائر والنور في جميع العصور.

ويرحم الله ابن العربي إذ يقول:

أرى حب أهل البيت عندي فريضة

على رغم أهل البعد يورثي القربا

فما اختار خير الخلق منا جزاءه

على هديه إلا المودة في القربى

□ ولعلك أخي القارئ العزيز ترى في كتاب

الأستاذ حسن كامل المطلأوى موجزاً نافعاً لتاريخ  
الإمام الحسين طيب الله ثراه الذي شرف بموقفه  
العظيم البشرية عامة والمسلمين خاصة الذين  
أعزهم الله بالإسلام ذلك الدين القيم، ولكن أكثر  
الناس لا يعلمون. وصدق الحق جل في علاه إذ  
يقول في سورة الشورى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
أَجْراً إِلَّا المودة في القربى﴾.

صدق الله العظيم.



عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت. وأتبع السيئة الحسنة تمحها. وخالق الناس بخلق حسن»  
رواه الترمذي وحسنه.

تمهيد

ذات يوم.. قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه:  
.. اعقل يا أبا ذر.. ما أقول لك بعد (١).  
وكررها ﷺ ستة أيام كاملة.. فلما كان  
اليوم السابع أوصاه..  
ذلك بأن مهمة الداعية لا تنتهي بانتهاء  
النصيحة يلقيها.. بل لابد له قبل ذلك من  
تهيئة المدعو لتلقيها..  
تماما كالبذرة: لا تلقها إلا في تربة قد  
أعدتها للإنبات.. وإلا كان عملك عبثا.

### د. محمود محمد عمار

#### خطوة إلى الوراثة:

وهذه المنزلة التي اختص بها الرسول ﷺ أبا ذر رضي الله عنه تتقاضانا أن نعود على بدء.. لتتعرف على  
الرجل منذ خطأ نحو الإسلام خطوته الأولى..  
والبداية دائما.. تشير إلى النهاية كما يقولون:  
قبل إسلامه.. قال أبو ذر لأخيه:  
اركب:

أ - فاعلم لي علم هذا الرجل.  
ب - واسمع من قوله..  
وهي وصية تعنى: السؤال المستوعب.. بحثا عن  
كل دقيق وجليل يتعلق بالرسول ﷺ.. حتى «يعلم»  
علما صحيحا بالرسالة الجديدة.  
ثم لا يكتفى بذلك.. بل لابد أن يسمع مباشرة  
منه.. ولا يكتفى بالسماع.. عنه.

## رجال من الدرسة النبوية

لاحظ كيف ينبه الرسول أبا ذر.. وعلى مدى  
أسبوع.. إلى أنه سيلقى عليه قولا ثقيلا.. إلى  
الحد الذي يطرح فيه أبو ذر من عقله وقلبه كل  
شاغل من مال وأهل وولد.. ليفرغ كل مداركه حتى  
تستقبل هذا الأمر الخطير.. الذي سوف يوافيه  
في ميقات يوم معلوم.. ليتمكن في قلبه وعقله..  
ولا ينساه أبدا..

لقد كان لأبي ذر رضي الله عنه منزلة رفيعة لدى رسول  
الله ﷺ: فكان يبتدئ أبا ذر بالحديث.. ويتفقد  
إذا غاب (٢).

وإذن.. فلم يكن غريبا أن يتعهد بهذه العناية  
التي اختصه الرسول بها. وبالطريقة التي تبلغ  
بالمدعو إلى ما نرجوه له من كمال.. ليكون الموقف  
في النهاية درسا للمربين وللدعاة..



## التقرير

ونفذ الأخ خطة أخيه حرفيا.. ثم قدم إليه التقرير التالي:

أ - إنه يأمر بمكارم الأخلاق.  
ب - وكلامه.. ماهو بشعر.  
ج - وأنه أشبه الناس بك يا أبا ذر!  
ليس الخبر كالعيان  
ولم يشف التقرير غليل أبي ذر.. فقرر أن يذهب بنفسه إليه ﷺ.  
فلما رأى الرسول ﷺ حياة بتحية الإسلام.. صادرا عن فطرة سوية نقية.. فلما أعلن إسلامه. وصاه ﷺ أن يعود إلى قومه ويدعوهم إلى الإسلام.. حتى يظهر أمر الإسلام.  
ولكنه غادر مجلس الرسول.. ثم صرخ بالشهادتين.. فضربه الطغاة كثيرا.

## بداية الرحلة إلى الله:

سمع أبو ذر ﷺ من رسول الله ﷺ قوله: «إن أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئته يوم تركته فيها».

ولقد صمم أبو ذر أن تظل حياته كما هي.. لا تتغير.. فوضع الدنيا في كفة.. والقرب من مجلس الرسول في كفة.. ثم لم يتردد في إثارة القرب منه ﷺ.

## مسارح الوصول:

لكن الوصول إلى هذا المجلس العظيم لن يتم إلا بأسباب في مقدمتها الزهد.. والتواضع.. والسخاء.

عرض عليه عثمان ﷺ أن يرسل إليه من إبل الصدقة ليشرب من لبنها.. وليتخذها ركوبا.. فاعتذر قائلا: تكفيني غنيماتي.

ومن زهده في المناصب ما روى من أنه: أرسل رسولا إلى صديق له تولى إمارة في العراق وقال له: أبلغه السلام. وقال له: إن أبا ذر يقول لك: إنا نأكل التمر ونشرب الماء ونعيش كما تعيش! فيكي

صديقه بكاء شديدا.

## وأما عن تواضعه:

فقد كان له مملوك.. فلم يطلق أن يظل «عبدا» فحرره.. ليصير فقط خادما.. لقد أبى له إحساسه بكرامة الإنسان أن يراه عبدا.. وفضل أن يكون مثله إنسانا. وإذ يستمد غيره من طلاب الدنيا أبهتهم من إذلال الآخرين.. فإنه كمسلم حر.. متعته أن يعيش مع الأحرار.. لتكون الحياة أجمل مذاقا.

## وأما عن سخائه:

فقد كان راتبه أربعة آلاف في العام.. فكان يعطى الخادم راتب العام في أوله.. ثم يتصدق بالباقي.  
لقد أدار ظهره للدنيا ثم استقبل الآخرة بهذه الخلال.. وفي خياله من مشاهد الآخرة.. صحبته للرسول ﷺ هناك.. في جنات عدن.  
وبهذه الخلال استطاع التأثير في قومه.. حتى أسلم نصفهم على يديه.

ولهذا أيضا.. اختصه الرسول بمزيد من الحب والتقدير.. كان أحق به.. وكان أهله!

## من دروس الموقف:

إن بعض الدعاة اليوم.. يتسرعون في عرض قضاياهم.. والنتيجة:

أنها لا تنضج لا في ذهن المتلقى.. ولا في قلبه.. ومن ثم لا تكون صالحة للهضم.. ويخسر الجسم عصارتها الحية التي كان من الممكن الإفادة منها لو أنها تخلقت فكانت كائنا سويا..

## ومن هؤلاء:

من يدعون غيرهم.. خروجا من المسئولية.. أو طلبا لجزيل الثواب. ومنهم الذين يعرضون القضية عرضا فقها مجردا لا يشعر فيه المدعو أن الداعي يبتغي مصلحته.

وقد يعرض آخرون بضاعتهم استعلاء.. صادرا عن شعور بأنهم في الموقف الأفضل.



المتقى خلية نحل ينفق من جيبه .. ومن قلبه .. فى السراء والضراء ..

من أجل ذلك كانت يقطتهم دائمة .. حتى لا يخرجوا من دائرة التقوى .. فى حركة دائبة يتحسسون بها موقعهم منها: جاء رجل إلى حذيفة رضي الله عنه خائفاً أن يكون منافقاً .. فقال له حذيفة - وهو المختص بمعرفة الألفام المنبثة فى طريق الإسلام - قال له:

تصلى إذا خلوت؟ وتستغفر إذا تبت؟ قال: نعم .. فقال له: اذهب فما جعلك الله منافقاً.

### اتساع معنى التقوى :

ويمكن للمسلم أن يكون متقياً .. فى أى موقع: فالمهندس .. سبحته زاويته ..

والفلاح .. سبحته فأسه ..

وقائد السيارة .. سبحته .. عجلة القيادة ..

والعالم .. سبحته قلمه ..

وإذا كانوا يقولون: إن التاج جميل .. وهو على رأس الملك أجمل .. فإننا نقول: إن معنى التقوى جميل ولكنها من القادرين الأغنياء أجمل .. وأكمل .. وذلك لما يترتب على التزام الصفة من آثار عظام، ولك أن تتصور ما يمكن أن يحدث عندما يكون رائد القوم متقياً يخاف الله ..

لقد رفض أحد القياديين مصافحة امرأة سيئة السمعة! ورفض آخر مداعبة تاجر مشبوه! ورفض الأول ترشيح وكيل وزارته إلى رتبة أعلى .. لأنه ألبسه المعطف يوماً .. بدلاً من الحاجب!!

لقد كانت خشية الله تعالى تملأ كيانه .. فكان وقافاً عند الحق .. متقياً الشبهات .. استبرأ لدينه وعرضه .. وإذ يسول الشيطان لبعض القادرين أن يفتروا، فإن الواقع الصارم يقول لهم: اتقوا الله: وإذا زين لكم الفرور أنكم تستطيعون تحريك العالم «برافعة» هى وظيفتكم .. فاعلموا أنه لا بد لهذه الرافعة من أرض صلبة ترتكز عليها .. وهى: التقوى!! وإذا كان العالم أحوج الناس إلى العلم - كما قال

ولكن موقف الداعية أهم من ذلك .. كما يفهم من موقفه رضي الله عنه من أبى ذر رضي الله عنه: ويتمثل ذلك فى محاولة تغيير المدعو من الداخل .. على أن يكون الزمن جزءاً من العلاج.

وفى تاريخنا المعاصر تجربة تؤكد أن المؤسسة التربوية قبل المؤسسات العسكرية والاقتصادية .. لأنها صاحبة النفس الطويل فى تغيير المفاهيم والمشاعر .. وعندما ضربت «هيروشيما» بالقنبلة الذرية .. لم تلجأ اليابان إلى تغيير اللافتات .. لكنها عادت إلى الجذور .. إلى سياسة النفس الطويل .. فقررت إعادة النظر فى مناهج التعليم وطرق التربية .. وصولاً إلى دم جديد .. يجرى فى شرايين الأمة طاقة بانية .. وقد كان.

### مراحل الطريق :

يحدد الحديث الشريف مراحل الطريق الواصل بالمسلم إلى التقوى:

**أولاً:** تقوى الله تعالى والتى تأخذ مركز الصدارة فى سلم الأولويات.

**وثانياً:** حق النفس .. والذى يبدو فى ضرورة الإسراع إلى ما يصلح الفساد الحادث بالمعصية .. وذلك بالتوبة النصوح. فليس المتقى ملاكاً يمشى على الأرض .. وإنما هو بشر: يخطئ ويصيب .. وكل بنى آدم خطاء .. ولكن كيف نفصل بالتوبة خطايانا؟

**وثالثاً:** حق المجتمع الإسلامى فى التعامل معه بقانون الإسلام الأخلاقى.

### أهمية التقوى :

كانت التقوى قضية سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - وكان الاهتمام بها صادراً عن فهم عميق بطبيعتها:

أ - فمن نسيجها: الإيمان بالغيب.

والإيمان بالغيب يعنى الإيمان بأخطر العقائد فى الإسلام: بالجنة .. والنار .. والثواب والعقاب ..

ب - ثم هى حركة اجتماعية بانية .. تجعل من



ابن عيينة - لأن الخطأ منه أقيح..

إن أحوج الناس إلى التقوى هم أصحاب الجاه..  
على قدر ما يملكون من سلطة يملكون بها التحكم  
في مسيرة الحياة.. وما يترتب على ذلك من الآثار  
سلبا وإيجابا.

### أهمية الإسراع إلى التوبة :

والإسراع إلى التوبة واجب المذنب حيال  
نفسه... وهو المستفيد الأول بهذه العودة التي  
يصلح بها ما أفسد..

وإذ يقول ﷺ لأبي ذر في وصية أخرى: «وإذا  
أسأت فأحسن..». فإن وصية اليوم تضيف إلى  
ذلك: أهمية الاتباع.. أعني: الإسراع: ذلك بأنك  
قد تخطئ.. ثم تسكت أو تسكن إلى الخطأ..  
فينتهزها الشيطان فرصة للوسوسة التي سوف  
تترك آثارها لديك.. وأنت في أضعف أحوالك.

فإذا كان الخطأ مع صديق.. أو زوج.. فسارع  
بالحسنة جنديا ترسله لدنك ليمحو آثار ذلك قبل  
أن يتدخل نمام.. فيوسع الخرق.. على الراقع!  
وكذلك فعل أبو بكر رضي الله عنه:

لقد وجه إلى رجل كلمة أغضبته.. وعلى  
الفور.. طالب الصديق ذلك الرجل أن يرد عليه  
بمثالها.. وفي نفس الموقف. وإذا رفض الرجل ذلك  
الاقتراح لكن يبقى الدرس في أهمية العود  
القريب.. إلى الحق.

إن الله تعالى يقول للعاصي: لا تفعل.. ولكن  
الشيطان دعاه.. فأطاعه.. فأخذه الشيطان من الله  
سبحانه.. لا عجزا منه تعالى.. وإنما لضعف  
فيه.. فهو المسئول.. وخروجا من هذه المسئولية  
لا بد من الإسراع إلى التوبة، لقد هجم الشيطان  
عليه بجنده.. أغار عليه.. وهو مطالب بأن يرد  
الهجوم بجند من عزيمته.. من توبته وإحسانه..  
ليكسب الجولة من جديد.

فجرد حسامك من غمده..

فليس له اليوم أن يغمد.

### أهمية الأخلاق :

فقد قلت للغنى المزهو بماله الذي ينفقه كيف  
يشاء: إنك لو ملكت ملء هذا الوادي ذهباً.. فلن  
ترضى أحدا.. سيفض صاحب الألف.. لأنك أعطيت  
غيره ألفين.. وسيسئد غضب من لم تعطه بالمرة.

### وقد جعل لك ربك مخرجا :

أن تسع الناس بخلقك.. خلقك الذي تتعامل به  
مع كل الناس.. ولن يحقد عليك أحد: فخالق  
الناس.. خالقهم.. عاملهم.. لا يكن خلقك كامنا  
في قرارك لا يرى النور.. حاول أن تفتح البرعم..  
ليصبح زهرة يانعة.. أن تشق الزهرة عن  
عطرها.. ليشيع في كل اتجاه.

### الحياة في غيبة الأخلاق :

تأمل هذا.. وأمعن النظر فيما يحدث اليوم  
عندما تغيب الأخلاق..

عندما تتراجع الإنسانية.. وتتقدم الهمجية: إن  
الزلازل قد تضرب شعبا ما.. وعندئذ تسرع الأمم  
إلى إنقاذها.. حتى العدو يسارع إلى نجدة عدوه.

ذلك ما يحدث في الزلازل الكونية.. أما عن  
الزلازل البشرية الإنسانية.. فماذا يحدث؟

إن الأرض تضطرب من تحت أقدام أقلية  
إسلامية في دول باغية.. ويحدث الزلزال  
الأعظم.. ولكن.. لا حس.. ولا خبر.. وكأن ما  
يحدث بعض أمانهم!!

ولا بأس..

فإذا عرف السبب بطل العجب:

إنه الإنسان المادي:

يصنع الحضارة بفكره.. بعقله، وفي نفس  
الوقت.. بسلوكه.. بوجدانه.. لا يكون متحضرا!!

### الهوامش

١ - مسند الإمام أحمد ١٨١/٥.

٢ - رواه الطبراني عن أبي الدرداء.



## مصطلحات ومفاهيم

## مفهوم

## العدل

## في

## الإسلام

## العدل - في المصطلح

الإسلامي: هو الضد والمقابل للجور

والظلم .. لا بالمعنى السلبي فقط - أي نفي

الجور والظلم وغيبتهما - وإنما بالمعنى الإيجابي المتمثل في

سيادة «الوسطية الإسلامية الجامعة»، التي لا تتعاز إلى

قطب واحد من قطبي الظاهرة، وكذلك لا تتعزل عنهما معاً

ولا تغايرهما كل المغايرة، وإنما تجمع عناصر العدل والحق

فيهما، مكونة الموقف العادل بين ظلمين الحق بين باطلين

المعتدل بين تطرفين .. فالعدل: هو التوسط .. والوسطية

الجامعة لعناصر الحق من أقطاب الظواهر

موضوع الدرس ومحل النزاع ..

## دكتور / محمد عمارة

جعلها اسماً من أسمائه الحسنى!..

فرضها على رسوله، ﷺ، وأمره بها..

«فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع

أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من

كتاب، وأمرت لأعدل بينكم» سورة الشورى

آية: ١٥.

وفرضها على أولياء الأمور، من الولاة والحكام،

تجاه الرعية والمتحاكمين.. «إن الله يأمركم أن

تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين

الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً

يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً»

سورة النساء - آية: ٥٨.

وهذا المعنى - للعدل - في المصطلح الإسلامي -

هو الذي يشير إليه حديث رسول الله ﷺ، الذي

يقول: «الوسط: العدل .. جعلناكم أمة

وسطاً» - رواه الترمذى والإمام أحمد..

والعدل - في شرعة الإسلام - فريضة واجبة،

وضرورة من الضرورات الاجتماعية والإنسانية،

وليس مجرد «حق» من الحقوق، التي لصاحبها أن

يتنازل عنها إن هو أراد ذلك، أو أن يفرط فيها،

بالإهمال، دون وزر وتأثيم!..

إنه فريضة واجبة، فرضها الله، سبحانه

وتعالى، على الكافة دون استثناء - بل لقد فرضها

على ذاته، سبحانه، بالمعنى اللاتق بذاته، حتى لقد



بل لقد أنبأنا الله، سبحانه وتعالى، أن هذه «الأمانة» التي فرض على الإنسان حملها وأداءها، كانت هي المعيار الذي تميز به الإنسان وامتاز عن غيره من المخلوقات غير المختارة.. «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا» سورة الأحزاب - آية: ٧٢.. ومن المفسرين من قالوا: إنها أمانات الأموال والعدل بين الناس فيها..

وفرضها معيارا للعلاقة بين الرعية وبين أولى الأمر - الدولة والسلطان - يشير إليه حديث رسول الله ﷺ، الذي يحدث الولاة عن تكافؤ «العقيدة» بينهم وبين رعيته، محذراً إياهم من التفريط بما عليهم تجاه الرعية، في سياق حديثه إلى الرعية عن علاقتهم بالولاة والأئمة: «إن لهم - (الأئمة) - عليكم حقاً، ولكم عليهم حقاً مثل ذلك: ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين..» - رواه الإمام أحمد..

وهو - العدل - فريضة في مجتمع الأسرة - الذي هو لبنة بناء مجتمع الأمة .. يشير إليها حديث رسول الله، ﷺ، الذي يقول فيه: «اعدلوا بين أبنائكم» - رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والإمام أحمد.. وتعنيه الآية القرآنية التي تقرر ما للمرأة وما عليها «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف» سورة البقرة - آية ٢٢٨.. وتلك التي تعلق التعدد في الزوجات على تحقق

العدل بينهن «فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة..» سورة النساء - آية: ٣.

إنها فريضة شاملة لكل ميادين الحياة.. عدل الولاة في الرعية .. وعدل القضاة في المتحاكمين.. وعدل الإنسان في أهل بيته.. ولهذا الشمول كانت إشارة حديث رسول الله، ﷺ، الذي يقول فيه: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» ١.. رواه مسلم والنسائي والإمام أحمد..

ويستوى، في وجوب العدل، أن يكون تجاه الخير أو حيال النفس.. بل إن تحريم الإسلام ظلم الإنسان لنفسه لمن أكبر الأدلة على أن العدل ضرورة وفريضة وليس مجرد «حق» من الحقوق.. وإلا لجاز للإنسان أن يتنازل عن «حقه» فيه فيظلم نفسه! «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا: فيم كنتم قالوا: كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا» سورة النساء - آيات ٩٧ - ٩٩..

وحتى هؤلاء المستضعفين فرض الله على



القادرين الجهاد لتحريرهم من الاستضعاف..  
﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله  
والمستضعفين من الرجال والنساء  
والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من  
هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من  
لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾  
سورة النساء - آية: ٧٥..

وتؤكد هذا المعنى - تأثيم ظلم الإنسان لنفسه -  
الآية الكريمة ﴿الذين تتوفاهم الملائكة  
ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل  
من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم  
تعملون. فادخلوا أبواب جهنم خالدين  
فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ سورة النحل -  
آية: ٢٨، ٢٩..

كذلك يستوى في وجوب العدل أن يكون تجاه  
«العدو» كما هو واجب تجاه «الولى».. فالعدل شيء  
و «الموالة» - أى النصرة - شيء آخر.. وإذا كان  
الإسلام ينهى المسلمين عن موالة - أى نصرة -  
أعدائهم، الذين يقاتلونهم فى الدين أو يخرجونهم  
من الديار، أو يظاهرون على إخراجهم منها.. فإنه  
يوجب عليهم العدل حتى مع الأعداء! ومع من  
يكرهون!.. ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا  
قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم  
شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب  
للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما  
تعملون﴾ سورة المائدة - آية: ٨.. ﴿يا أيها  
الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط

شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين  
والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى  
بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا  
أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون  
خبيرا﴾ سورة النساء - آية: ١٢٥..

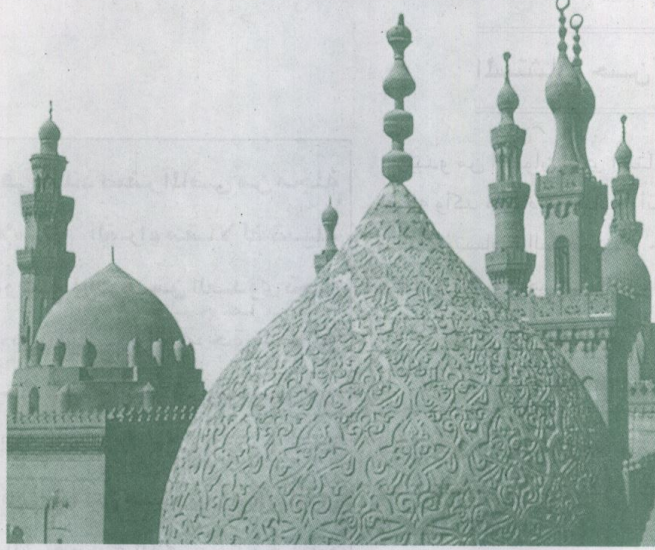
وإذا كان العدل فريضة واجبة، وضرورة  
اجتماعية، للإنسان وعليه تجاه نفسه.. وتجاه  
الآخرين.. موالين ومحبوبين كان هؤلاء الآخرون أم  
معادين مكروهين.. فإنه كذلك، فريضة وضرورة،  
فى مختلف الميادين.. فى القانون وأمامه.. وفى  
الشئون الأدبية والمعنوية.. وفى أمور المال والثروة  
والاقتصاد والمعاش - أى التكافل الاجتماعى -  
(انظر مادة «التكافل»)..

ولقد حدثنا رسول الله، ﷺ، عن علاقة التفاضل  
بين «العدل» و «الجور».. فوجود الواحد منهما  
يعنى نفي الآخر وانتفاءه.. فقال: «لا يلبث الجور  
بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور  
شئ ذهب من العدل مثله، حتى يولد فى الجور  
من لا يعرف غيره!.. ثم يأتى الله، تبارك وتعالى،  
بالعدل، فكلما جاء من العدل شئ ذهب من الجور  
مثله، حتى يولد فى العدل من لا يعرف غيره!..»  
رواه الإمام أحمد..

فهو - العدل - واحد من فرائض الله.. وواحد  
من قوانينه وسنته فى الاجتماع الإنسانى.. له  
معلمه.. وله آلياته فى الحضور وفى الغياب!



## الدعوة والدعاة



- حول حق الزوجة فى الخلع
- من التـراث الإسلامى
- أسد الغابة لابن الأثير
- القـرار المكين
- بطولات إسلامية.. عبد الله بن رواحة
- كشمير ماضيها وحاضرها



## حول حق الزوجة في الخلع

المستشار/ حسن حسن منصور

يبدو من العنوان الذى اختاره فضيلة الدكتور لمقاله وأكد معناه فى شأياه، أنه يقصد إلى وضع معادلة متساوية الطرفين فى حل رابطة الزوجية، فكما أن للزوج الحق فى ذلك بالطلاق، فإن للزوجة ذات الحق بالخلع، فيقول: «ومن أجل إقامة العدل والتوازن فى محيط الأسرة بين الحقوق التى للزوج والحقوق التى للزوجة فقد أعطى الإسلام الحق للمرأة فى أن تخلع زوجها وتقتدى نفسها منه...»، وهذا القول فى ميزان شرع الله ليس على إطلاقه للأسباب الآتية:

أ - شتان بين حق مطلق وآخر مقيد: فحق الزوج فى الطلاق منحة من الله تعالى، لا يرد عليه قيد أو شرط ولا يتوقف على إرادة الغير ولو كانت الزوجة، وذلك لاعتبارات منامية قصدها الشارع الحكيم وهى معلومة للكافة، ولكن حق الزوجة فى حل رابطة الزوجية بالخلع مقيد بأكثر من قيد وشرط، بل هو متوقف على إرادة الغير وهو الزوج، باعتباره عقدا رضائيا بين الزوجين، لأن أركان الخلع التى قال بها الفقهاء هى: القابل أى الملتزم بالعوض سواء كانت الزوجة أو غيرها، والموجب وهو الزوج أو من ينوب عنه، والعوض أى المال المبذول من الزوجة، والمعوض وهو البضع، والصيغة وهى الإيجاب والقبول على الخلع(١)، فإذا تخلف

قرأنا فى عدد صفرا الماضى من مجلة «منبر الإسلام» الغراء مقالا لفضيلة الدكتور عبد الرحمن العدوى تحت عنوان: «هذا شرع الله: حق الطلاق للرجل وحق الخلع للمرأة»، ويتبين من سياق المقال أنه جاء تعليقا وتوضيحا لنص المادة (٢٠٠) من مشروع قانون الأحوال الشخصية الذى عرضته وزارة العدل على الأزهر الشريف لأخذ رأى مجمع البحوث الإسلامية فيه:

ومن منطلق معيشتنا لمسائل الأحوال الشخصية من خلال التطبيق العملى فى ساحات القضاء لأعوام عديدة، ولا سيما قضاء إرساء المبادئ فى هذه المسائل من محكمة النقض، فإننا نعرض وقفتنا الموضوعية مع النقاط الآتية:

أولا: بالنسبة لعنوان المقال:



أحد هذه الأركان فلا يتم الخلع ولا يكون للزوجة حق فيه.

ب - الخلع ليس حقا يقف على قدم المساواة مع الطلاق، إذ أن جمهور الفقهاء يعتبره نوعا من الطلاق (٢) وهو لا يصح إلا من زوج مكلف مختار (٣).

ج - الحق في الخلع ليس قاصرا على الزوجة وحدها، بل هو أيضا حق للزوج، يستطيع أن يستعمله مع زوجته، فيكون الخلع من الزوج إذا قال: طلقتك على ألف درهم بشرط أن تقول هي: قبلت، وله أن يرجع قبل القبول (٤).

د - لو كان الخلع في يد المرأة بديلا عن الطلاق في يد الرجل، لم تعد هناك حكمة من جعل الطلاق بيد الرجل، لأن الزوجة تستطيع حل رابطة الزوجية في أي وقت شاءت دون اعتبار لإرادة الزوج لقاء مال تدفعه له.

### ثانياً: سبب الخلع:

يقرر فضيلة الدكتور أنه: «لا يشترط إثبات الضرر الواقع على المرأة من جهة زوجها»، وذلك أمام القاضى، وحجته في ذلك: أن التطلق للضرر هو الذى يحتاج لإثبات لأن المرأة لا تفرم فيه شيئاً إذا ثبت الضرر.

هذا القول يأتى فى مرحلة تالية على رفع الدعوى بالخلع ويكون القاضى فى مجال إثبات الضرر الموجب للخلع من عدمه أما لحظة رفع الدعوى فيجب أن يكون هناك سبب دافع لطلب الخلع، وليس مجرد قول مرسل من الزوجة برغبتها فى الخلع مع زوجها.

والأصل الأصل فى جميع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية أن ذمة الإنسان بريئة من القول والفعل ما لم يقم الدليل على عكس ذلك، وقد روى ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ

قال: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم ولكن البينة على المدعى».

ولا يتصور أن يحكم القاضى بحل رابطة الزوجية على الخلع لمجرد كلمة تقولها الزوجة: أنها تبغض زوجها دون بيان لسبب دافع لقولتها هذه، وفى بعض الأحاديث النبوية التى استند إليها الكاتب ما يفيد قيام السبب الدافع لطلب الخلع كما فى رواية عكرمة عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: أول من خالع فى الإسلام أخت عبدالله بن أبى: أتت النبى ﷺ فقالت: يارسول الله: لا يجتمع رأسى ورأسه أبداً، إنى رفعت جانب الخباء فرأيتُه أقبل فى عدة هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً، فقال: «أتردين عليه حديثه، قالت: نعم..» وهناك روايات أخرى تفصح عن سبب طلب الخلع نذكر منها الآتى:

١ - جاء فى نيل الأوطار للشوكانى ما رواه النسائى عن الربيع بنت معوذ أن ثابت بن قيس بن شماس ضرب امرأته فكسر يدها، وهى جميلة بنت عبدالله بن أبى، فأتى أخوها يشتكيه إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت، فقال له: «خذ الذى لها عليك واخل سبيلها..» فكان سبب الخلع هنا ما حدث من الزوج بكسر ذراع زوجته.

٢ - جاء فى مؤطأ الإمام مالك فى رواية حديث ثابت بن قيس بن شماس أيضاً قول رسول الله ﷺ له: «هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء الله أن تذكر»، فقالت: حبيبة كل ما أعطانى عندي، فقال رسول الله ﷺ: «خذ منها وجلس فى أهلها».

وهذا الحديث يشير إلى أن الزوجة ذكرت للنبي ﷺ سبب طلبها الخلع.

٣ - أورد الإمام ابن كثير فى تفسيره ما رواه



يُضِيرُ الزَّوْجَةَ الْجَادَةَ فِي دَعْوَاهَا إِنْ هِيَ أَفْصَحَتْ عَنْ أَسْبَابِهَا بَلَا غَمُوضٍ؟ وَفِي تَطَلُّبِ ذَلِكَ فِي دَعْوَى الْخَلْعِ سَدَا لِبَعْضِ الذَّرَائِعِ الَّتِي قَدْ تَلَجَّأَ إِلَيْهَا بَعْضُ الزَّوْجَاتِ اللَّاتِي قَدْ لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُ حَقِّ الْخَلْعِ. بِادْعَاءِ الْبَغْضِ وَالْكَرَاهِيَةِ دُونَ إِبْدَاءِ أَسْبَابٍ وَاضِحَةٍ عَلَى ذَلِكَ مِمَّا يَضُرُّ بِالْآخِرِينَ وَأَوَّلَهُمُ الزَّوْجُ وَالْأَوْلَادُ.

### ثالثاً: حضور الزوج أمام القاضي في الخلع:

يقرر الدكتور العدوي أن القاضي يوقع الخلع دون حاجة لحضور الزوج قائلاً: إذا جاءت المرأة أمام القاضي وقالت أخالغ زوجي على رد صداقه وجميع حقوقه المالية على أن أفارقه كان واجبا تحقيق ما طلبته من غير تأجيل ولا مراجعة...».

فهذا القول يصدق لو كان الزوجان تخالعا بالتراضي فيما بينهما فيكون دور القاضي هنا مجرد التوثيق، أما أن ترفع الزوجة دعواها بطلب حل رابطة الزوجية عن طريق الخلع ابتداءً ويقف دور القاضي عند حد توثيق الخلع من جانب واحد لصالح الزوجة دون بحث الدعوى وتحقيق أدلتها، فهذا غير مقبول أمام ساحات المحاكم ومكانه الطبيعي هو جهة إدارية مختصة بذلك هي مصلحة الشهر العقاري والتوثيق، ويخرج عن إطار الخصومة القضائية التي تختص بها المحاكم على الوجه المبين تفصيلاً بالفقه الإسلامي والتشريعات الوضعية الحديثة.

إن فضيلة الدكتور الكاتب استند في رأيه على رواية واحدة للحديث الشريف المعول عليه في تشريع الخلع، رغم أن الروايات الأخرى وهي الأكثر تفيد أن رسول الله ﷺ قد قضى في الخلع في حضور الزوجين، وكان الخطاب منه مباشرة للزوج: «خذ الحديقة وطلقها تطليقة».

ومن الأصول المقررة في نظر الخصومات سواء

ابن حميد عن يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن ثابت عن عبدالله بن رباح عن جميلة بنت أبي بن سلول: أنها كانت تحت ثابت بن قيس، فنشزت عليه، فأرسل إليها النبي ﷺ فقال: يا جميلة، ما كرهت من ثابت؟ قالت: والله ما كرهت منه ديناً ولا خلقاً. إلا إنني كرهت دمامته، فقال: أتردين الحديقة؟ قالت: نعم...».

كما أورد حديث ابن ماجة في رواية: كانت حبيبة بنت سهل تحت ثابت بن قيس بن شماس وكان رجلاً دميماً، فقالت: يا رسول الله: والله لولا مخافة الله إذا دخل عليّ بصقت في وجهه، فقال رسول الله: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم...».

وفي هاتين الروايتين سبب الخلع كان من الوضوح بمكان وهو دمامة الزوج ويقول الإمام مالك رحمه الله: لم أزل أسمع من أهل العلم وهو الأمر المجمع عليه عندنا أن الرجل إذا لم يصل للمرأة ولم يأت إليها ولم تؤت المرأة من قبله وأحبب فراقه فإنه يحل له أن يقبل منها ما افتدت به وقد فعل ذلك النبي ﷺ بإمرأة ثابت بن قيس بن شماس (٥).

وعن عمرو بن الحارث عن ابن شهاب عن الإمام مالك أنه قال: نرى أن من حدود الله أن يكون في العشرة بين المرأة وزوجها: إذا استخفت بحق زوجها فنشزت عليه وأساءت عشرته وأحنث قسمه أو خرجت بغير إذنه أو أذنت في بيته لمن يكره أو أظهرت له البغض، فنرى أن ذلك مما يحل به الخلع (٦).

وعلى هذا فإننا نرى ضرورة أن تذكر الزوجة أمام القاضي وبوضوح السبب الذي دفعها إلى طلب الخلع، ولا تكتفي بقولها: إنها كارهة أو مبغضة له فقط، لأن هذه دعوى بلا دليل لا يتسنى للقاضي الوقوف على حقيقتها. وما الذي



فى الشريعة الفراء أو فى القوانين الوضعية مبدأ المواجهة بين الخصوم أى أن كل خصم يعلم بالدعوى المرفوعة عليه ولو لم يحضر بعد ذلك، وفى بيان ذلك روى أبو داود فى سننه عن الإمام على كرم الله وجهه قال: بعثى رسول الله ﷺ إلى اليمين قاضيا فقلت: يارسول الله ترسلنى وأنا حديث السن ولا علم لى بالقضاء؟ فقال: «إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»، قال: فمازلت قاضيا، أو ما شككت فى قضاء بعد.

وإذا كان فضيلة الدكتور الكاتب يرى أن فى طلب الزوجة الخلع ليس به دعوى على الغير لأنه من قبيل تقرير الواقع فى حال المرأة الذى أفصحت عنه، فإننا نقول: فما المبرر لتدخل القاضى فى مثل هذه الحالة؟ ونرى أن الأمر إذا رفع إلى القاضى فإنه يكون دعوى وهو مكلف بدراسة جوانبها المختلفة والفصل فيها بقضاء حاسم للخصومة القائمة بين الطرفين.

#### رابعاً: الخلع معمول به قبل النص عليه:

لقد أشار الدكتور العدوى فى نهاية مقاله بقوله: «هذا وقد أقر مجمع البحوث الإسلامية نص المادة رقم (٢٠) من مشروع قانون الأحوال الشخصية بعد مناقشات مستفيضة انتهت بالموافقة على تصحيح مسيرتنا التى طال عهدها والعودة إلى ما قرره الله ورسوله من أحكام».

والحق الذى لا مرأى فيه أن تطبيق أحكام الخلع التى قررها الله ورسوله متصل الحلقات منذ تشريع هذه الأحكام من لدن رسول الله ﷺ وإلى الآن، وحتى بعد صدور التقنيات المستمدة من الشريعة الإسلامية مازالت تطبق أحكام الخلع فى

حل رابطة الزوجية أخذاً بأرجح الأقوال فى مذهب الإمام أبى حنيفة. عملاً بالمادة ٢٨٠ من المرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١م. بلائحة ترتيب المحاكم الشرعية المعمول بها الآن أمام محاكم الأحوال الشخصية، ومن ثم فإن وضع نص المادة (٢٠) من مشروع قانون الأحوال الشخصية لا يقرر حكماً جديداً لم يسبق العمل به، بل هو مجرد تخصيص لنص عام سارى العمل به منذ عشرات السنين، ومن قبل كان القاضى يطبق أحكام الشريعة الإسلامية على مسائل الأحوال الشخصية مباشرة دون حاجة إلى تقنين.

إن نص المادة (٢٠) من مشروع قانون الأحوال الشخصية حسب الصيغة التى استقر عليها مجمع البحوث الإسلامية تفرض علينا وقفة تأمل وبحثاً على ضوء أحكام قوانين الأحوال الشخصية الأخرى وقانون المرافعات المدنية والتجارية ولاسيما فيما يتعلق بطرق الطعن فى الأحكام. وهذا ما نسأل الله تعالى أن يوفقنا لبيانته فى مقال آخر إن شاء الله تعالى.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

#### الهوامش

- ١ - بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك للشيخ الصاوى ص ١٤٧ - الفقه على المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٣٥٧.
- ٢ - المرجع السابق ص ٣٥٣.
- ٣ - السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للإمام الشوكانى ج ٢ ص ٣٦٣.
- ٤ - إخلاص النواى فى الفقه الشافعى للإمام شرف الدين أبى بكر المقرئ ج ٣ ص ١٨٤.
- ٥ - المدونة الكبرى للإمام مالك - المجلد الثانى ص ٢٣٤.





## أسد

## الغاية

## لابن الأثير

- ١ -

ثلاثة إخوة كانوا أئمة في العلم،  
عاشوا في عصر الحروب الصليبية، عصر  
الدولة الأيوبية، صاحبة السيادة الكاملة آنذاك  
على مصر والشام؛

١- أبو الحسن علي بن محمد الجزري، الملقب  
بغزالدين بن الأثير (المتوفى عام ٦٣٠هـ - ١٢٢٣م،  
والمدفون بالموصل قبل سقوط بغداد في أيدي  
التتار بستة وعشرين عاما)، وهو صاحب  
كتابنا الذي نتحدث عنه اليوم.

د. محمد عبد المنعم خفاجي

في مجال الحديث النبوي الشريف.

٣- أبو الفتح ضياء الدين نصر الله (٥٥٨ -  
٦٣٧هـ) وكان أديبا ناقدا شاعرا كاتبا، وكتابه «المثل  
السائر في أدب الكاتب والشاعر» مشهور، إلى كتب  
كثيرة له في الأدب والبلاغة والنقد.

- ٢ -

وعن «عز الدين» صاحب كتاب «أسد الغاية»  
يقول ابن حجر (٨٥٢هـ):

في أوائل القرن السابع جمع عز الدين بن  
الأثير كتابا حافلا سماه «أسد الغاية» جمع فيه  
كثيرا من التصانيف المتقدمة. وقد ترجم في هذا

وقد نشأ في أسرة علمية لها جلالها ومجدها،  
ولها الشرف الباذخ في إقليم الموصل، حيث تنتمي  
هذه الأسيرة إلى قرية من قراه، هي جزيرة  
ابن عمر يوسف الثقفي أمير العراقيين في العصر  
الأموي، وعز الدين هو أحد المؤرخين المسلمين  
الأعلام، فهو مؤلف كتاب «الكامل» في التاريخ.

٢- مجد الدين أبو السعادات المبارك (٥٤٤ -  
٦٠٦هـ)، وهو عالم جليل، وإمام في الحديث  
والتفسير والفقه، ومن كتبه «جامع الأصول في  
أحاديث الرسول»، وكتاب «النهاية في غريب  
الحديث والأثر».. وكان محدثا ثقة، طارت شهرته



الكتاب لسبعة آلاف وخمسة وأربعين صحابيا من صحابة رسول الله ﷺ.

ولقد عني العلماء المسلمون الأوائل بالتاريخ لصحابة رسول الله ﷺ عناية كبيرة، وكان من أشهر من ألف في ذلك ابن سعد وهو محمد بن سعد منيع الزهري (١٦٨ - ٢٣٠هـ) صاحب كتاب «الطبقات الكبرى».

وممن عني كذلك بضبط أسماء الصحابة والترجمة لهم:

- خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ).

- الإمام البخاري محمد بن إسماعيل (١٩٤ - ٢٥٦هـ).

- الحافظ أبو بكر عبد الله بن أبي داود (ت ٢١٦هـ)، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٢٣٦ - ٤٣١هـ) وكتابه «حلية الأولياء» مشهور.

- أبو عمر النمرى القرطبي بن عبد البر (٣٦٨) صاحب كتاب «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» ذكر فيه ٤٢٢٥ صحابيا).

- أبو موسى محمد بن عمر الأصبهاني المديني المحدث (٥٠١ - ٥٨١هـ) وقد ألف ذيلًا على كتاب «ابن منده» (٣٠١هـ) في تاريخ الصحابة اشتمل على أسماء كثيرين منهم، رضوان الله عليهم أجمعين.

كما ترجم العلماء للبدرين، ولل عشرة المبشرين بالجنة، ول بعض الأعلام من الصحابة - رضی اللہ عنہم -.

### - ٣ -

وكتاب ابن الأثير «أسد الغابة» من أجمع ما كتب في هذا الباب، وقد نال الذيوع والشهرة العلمية عند العلماء والمحدثين والمؤرخين، ويكاد يكون تهذيبًا لكتاب «الطبقات الكبرى لابن سعد» مع إضافات كبيرة، وهو مطبوع طباعات عدة في

مصر وإيران وغيرهما.

وفي صدر الكتاب يعرف ابن الأثير الصحابي وأنه هو الذي شهد رسول الله، وسمع كلامه، وشاهد أحواله، ونقل ذلك إلى من بعده من الرجال والنساء.

ويقول ابن الأثير في مقدمة الكتاب: إن رواية سنة رسول الله ﷺ لم يضبطوا ولا حفظوا في عصورهم كما فعل بالتابعين وغيرهم، إلى زماننا هذا.

وينوه ابن الأثير في المقدمة بصنيع «ابن منده» وأبي نعيم وابن عبد البر، في هذا الباب.

ويذكر سبب تأليف الكتاب بأنه قرأ ما كتبه ابن منده، وأبو نعيم، وأبو موسى الأصبهاني، وابن عبد البر؛ فعزم على أن يجمع بين كتبهم الأربعة، ولكن الأيام لم تسعفه.. واتفق أن سافرت إلى البيت المقدس - جعله الله دارًا للإسلام أبداً - فاجتمع بي جماعة من أعيان المحدثين حثوا عزمي على جمع كتاب لهم في أسماء الصحابة، أستقصى فيه ما وصل إلى من أسمائهم، فثار العزم الأول، وتجدد ما كنت أحدث به نفسي، وشرعت في جمعه والمبادرة إليه.

ويذكر ابن الأثير أنه رتب كتابه على حروف المعجم.

وابن الأثير يعني بذكر المصادر التي رجع إليها في تخريج الأحاديث التي أوردها في كتابه وأول ترجمة صدر بها ابن الأثير كتابه هي ترجمة رسول الله ﷺ.

ثم يرتب ترجماته على حروف المعجم، فتأتي الترجمة للصحابي الجليل أبي اللحم الغفاري المقتول يوم حنين، ثم تأتي الترجمة للصحابي أبان ابن سعيد بن العاص القرشي الأموي، وهو صحابي تأخر إسلامه، حيث أسلم في أواخر عام ست من الهجرة، وسبب إسلامه - كما يذكر ابن



الأثير - مع ما كان عليه من الشدة على رسول الله ﷺ والمسلمين أنه خرج في تجارة إلى الشام فلقى راهبا، فسأله عن رسول الله ﷺ وقال له: إني رجل من قريش، وإن رجلا منا خرج فينا يزعم أنه رسول الله، أرسله مثل ما أرسل موسى وعيسى؛ فقال له الراهب: وما اسم صاحبكم؟ فقال له أبان: محمد، فرد عليه الراهب واصفا له محمدا رسول الله وسنه ونسبه، فقال أبان: هو كما وصفت، فقال الراهب: والله ليظهرن على العرب ثم ليظهرن على الأرض، فإذا جئت مكة فاقرا عليه مني السلام، فعاد أبان إلى مكة، فلما سار رسول الله ﷺ إلى الحديبية تبعه أبان فأسلم وحسن إسلامه، وبعثه رسول الله ﷺ إلى نجد على رأس سرية من المسلمين، ثم ولاء البحرين بعد العلاء بن الحضرمي، فلما توفي رسول الله عاد أبان إلى المدينة فأراد أبو بكر أن يردّه إلى البحرين فأبى أبان، وقال: لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ، وقتل أبان وأخوه سعيد يوم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر. وقيل: بل قتل يوم أجنادين في جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة من الهجرة في خلافة أبي بكر، وقبل وفاته بقليل، وقيل: بل توفي يوم «مرج الصقر» عند دمشق سنة أربع عشرة من الهجرة، وقيل: بل توفي عام تسعة وعشرين، ويؤيد هذا القول الأخير رواية من روى أنه قد أملى مصحف عثمان على زيد بن ثابت (٤٥هـ) بأمر عثمان خليفة المسلمين..

ويترجم ابن الأثير في حرف الهمزة لإبراهيم ابن رسول الله ﷺ وأمه مارية القبطية التي أهداها المقوقس لرسول الله ﷺ هي وأختها «سيرين» فوهب رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت (٥٨هـ) فولدت له عبدالرحمن بن حسان. وقد ولد إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان للهجرة في

مدينة رسول الله ﷺ في العالية، وكانت قابله هي سلمى مولاة رسول الله، وبشر أبو رافع مولى رسول الله النبي ﷺ بميلاده فوهب له عبدا، وسرّ بهذا الميلاد سرورا كبيرا، ثم دفعه إلى امرأة بالمدينة ترضعه، اسمها «أم سيف» وقال الزبير: إن الأنصار تنافسوا فيمن ترضعه، فجاءت أم بردة من بني النجار، فكلمت رسول الله ﷺ في أن ترضعه، فكانت ترضعه بلبن ابنها في بني مازن بن النجار، وترجع به إلى أمه. وتوفي إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهرا، كما قال الواقدي وقيل: توفي عن ستة عشر شهرا وثمانية أيام، وصلى عليه رسول الله ﷺ، ودفن بالبقيع؛ وكان إبراهيم في حجر أمه يوجد بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره وهو يقول: يا إبراهيم إنا لا نغنى عنك من الله شيئا ثم ذرفت عيناه بالدموع، ثم قال ﷺ: لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزننا عليك حزنا هو أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكى العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب.

ولما توفي إبراهيم اتفق أن الشمس كسفت يوماً، فقال قوم إن الشمس انكسفت لموته، فخطبهم رسول الله ﷺ فقال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة.

#### - ٤ -

وهكذا يستمر ابن الأثير في ترجماته لصحابة رسول الله ﷺ علماً علماً، محققاً ومدققاً، ومحاوراً ومناقشاً لمختلف الروايات، ومرجعاً لما يرى ترجيحه، ومخرجاً للأحاديث ومسنداً لها، وضابطاً للأعلام.

ولا يذكر ابن الأثير من الأعلام إلا من لقي رسول الله، وسمع كلامه، وشاهد أحواله، ويأخذ على من ترجموا للصحابة حين يعدون الأحنف بن



«الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة»، وقال فيهما - صلوات الله وسلامه عليه - : «هما ريحانتاي من الدنيا».

وترجم للحسين بن على سيد الشهداء، ولخالد ابن الوليد القائد البطل وصاحب النصر العظيم فى معركة اليرموك وغيرها من كبريات المعارك فى الإسلام. وتوفى خالد بحمص فى الشام سنة إحدى وعشرين للهجرة فى خلافة عمر.

ويضمّن ابن الأثير آخر كتابه تراجم للصحابيات من النساء، مرتباً لهن كذلك وفق حروف المعجم، صحابية إثر صحابية - رضوان الله عليهن -.

«أسد الغابة» بحق موسوعة كبرى فى تاريخ الإسلام وأعلامه فى عصر رسول الله والخلفاء الراشدين وصدر من عصر بنى أمية، وهو مصدر أصيل فى بابه، يرجع إليه كل باحث ومؤرخ، كما أن ما كتبه عن سيرة رسول الله ﷺ فى صدر الكتاب يعد عملاً كبيراً فى باب السيرة النبوية الشريفة، وترجماته لسير أصحاب رسول الله لا يستغنى عنها أحد.

«أسد الغابة» فى تحقيقاته، وفى تثبت مؤلفه فى الروايات والأخبار، وفى كل ما يورده من حقائق إسلامية وتاريخية مثل يحتذى، وعمل جليل ينتفع به.

وهكذا أضاء ابن الأثير تاريخ صحابة رسول الله ﷺ وسيرهم، وكتابه «الكامل» فى التاريخ الإسلامى إلى عصر الحروب الصليبية وحتى عام ٦١٦هـ عمل تاريخى عظيم. ولقد كان ابن الأثير فى كتابه «الكامل» النذير للمسلمين بما يهدد الإسلام والمسلمين على أيدي التتار من بكبات جسام لا يتصورها انسان.

إن كتابى ابن الأثير: «أسد الغابة» و«الكامل» من أجل المصادر من التراث الإسلامى الخالد.

وإذا كان ابن الأثير قد انتقل إلى جوار الله منذ ثمانية قرون وعشرة أعوام فإن ذكره باقية إلى يوم تقوم الساعة.

قيس معهم، وهو لم يلقَ رسول الله، وكان ظهوره فى خلافة عمر، وإن كان قد عاش فى حياة النبى فإنه لم يره، ودليل أنه شاهد عصر الرسول أنه لقي عمر فى وفد أهل البصرة، وهو رجل من أعيانهم، ويقول ابن الأثير فى صدر كتابه عن الأحنف: ولا أعلم لمّ ذكره وغيره ممن هذه حاله، فإن كانوا ذكروهم لأنهم كانوا موجودين على عهد رسول الله مسلمين فكان ينبغى أن يذكروا كل من أسلم فى حياة الرسول ووصل إليهم اسمه.

وأول علم يذكره ابن الأثير فى حرف الباء هو «باقوم الرومى» وكان نجارا بالمدينة فأسلم، وهو مولى سعيد بن العاص، وهو الذى صنع لرسول الله ﷺ منبره ثلاث درجات.

ويترجم لبلال بن رباح الحبشى، فيذكر أنه شهد بدرا والمشاهد كلها، وأنه كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وممن عذب فى سبيل الله فصبر على العذاب، وكان يؤذن لرسول الله ﷺ فى حياته سقراً وحلاً، وهو أول من أذن فى الإسلام، وأقام فى الشام بعد وفاة رسول الله مجاهداً، ولم يؤذن بعد رسول الله لأحد، فلما دخل عمر الشام أذن له مرة واحدة، ولم ير باكياً أكثر من ذلك اليوم، ومات بلال سنة سبع عشرة أو ثمانية عشرة، وقيل سنة عشرين للهجرة بدمشق. ويذكر ابن الأثير أن بلالاً قدم من الشام لزيارة مسجد رسول الله ﷺ، فأقبل إلى المدينة، فأتى قبر الرسول - صلوات الله عليه - فأقبل الحسن والحسين، فأخذ يقبلهما، ويضمهما إلى صدره، فقالا له: نشتهى أن تؤذن فى السحر، فعلا سطح مسجد رسول الله ﷺ مؤذناً، فارتجت المدينة حين سمعت صوت بلال مؤذن رسول الله ﷺ.

وهكذا يستمر ابن الأثير فى كتابه يترجم فيه للحسن بن على ابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وفيه وفى الحسين قال رسول الله ﷺ:



## القرار المكين

قال تعالى: ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾، وقال تعالى: ﴿الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون﴾ المرسلات: الآيات ٢٠ - ٢٣ وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٣.

ولقد سمى الله تعالى الرحم بالقرار المكين لأنه سبحانه وتعالى هيأه لنمو واستقرار الجنين الذي يتخذ من الرحم فراشا وثيرا له حتى يخرج طفلا كامل الخلقة ﴿خلقنا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ والظلمات الثلاث قيل إنها ظلمة البطن، وظلمة الحوض (حوض المرأة)، وظلمة الرحم.

### أ.د/ عبدالمعبود عمارة السيد

(سقوط الرحم).

وكذلك يساعد في تثبيت الرحم إفراز هرمون الحمل وهو هرمون يسمى هرمون البروجستيرون، وهو يهدئ من انقباضات الرحم ويجعلها بطيئة مطمئنة. ثم إن لعضلات الحوض وعضلات الرحم نفسها دورا كبيرا في منع نزيف الرحم بعد الولادة، حيث إن هذه العضلات تنقبض وتمنع الأوعية الدموية من النزيف الدموي وذلك بالضغط عليها.

ويمتاز حوض المرأة عن حوض الرجل لقيامه بوظيفة هامة إضافية تتطلب منه ضرورات لا يحتاج إليها حوض الرجل.

فنمو الجنين في الحوض وطرق تغذيته وحفظه ثم مروره بتجويف الحوض ومن مخرجه وقت الولادة مما يستلزم بعض التغييرات والتعديلات التي يسهل معها إتمام عملية الولادة بالنسبة للأم والطفل.

وتتصدر كل هذه التغييرات في أن يكون تجويف حوض المرأة أوسع وأقصر، وأن تكون عظامه أرق وأقل خشونة وأبسط تضاريسا.

وإذا رجعنا إلى علوم التشريح نجد أن الرحم موضوع في الحوض الحقيقي لهيكل المرأة وهو حوض عظمي صلب يحمي الرحم من كل عدوان خارجي، ثم نجد أربطة وصفاقات عديدة تمسك بالرحم وتثبته وتسمح له بالحركة في وقت نمو الجنين حتى أننا نجد أن حجم الرحم يتضاعف أكثر من ثلاثة آلاف مرة في نهاية الحمل. كذلك نلاحظ أن الرحم محفوظ في مكانه ومثبت بعضلات الحوض وعضلات العجان العديدة والمتعددة الوظائف والاتجاهات كما يوجد أمام الرحم المثانة البولية ويوجد خلفه المستقيم والقناة الشرجية.

وأعضاء الحوض تساند بعضها بعضا وتتعاون في تثبيت الرحم واستقراره.

وتحاط هذه العضلات بنسيج خلوي ضام يربط أجزاء الرحم بالمثانة وبالمستقيم الشرجي.

ويساعد أيضا في استقرار الرحم وجود زاوية انحناء بين جسم الرحم وعنق الرحم، فيكون الرحم بذلك منحنيا إلى الأمام، ويمنعه ذلك من السقوط



وبذلك يحفظ الحوض العظمى الرحم بداخله بحيث لا يصله شيء من الكدمات والهزات التي تتعرض لها المرأة.

ومع ثبات الرحم واستقراره نجد أنه ينقبض وينبسط عشرات الآلاف من المرات أثناء الحمل.

وقبل الولادة بأسابيع قليلة يأمر الله تعالى الغدة النخامية فتقوم بإفراز هرمون الريلاكسين أو هرمون ارتقاء مفاصل الحوض. وبذلك تتحرك المفاصل على بعضها البعض ويتسع الحوض ويسهل خروج الجنين وذلك يفسر خروج الجنين كبير الحجم من حوض ضيق كمثل حوض المرأة.

فانظر يا من رعاك الله إلى رحمة الله وهي ترعاك وتحرسك في كل طور من أطوار حياتك منذ كنت نطفة فعلة فعضاما، فلحما يكسو العظام. والمشيمة تمدك بالغذاء والدم والهرمونات وأجهزة المناعة والدفاع ومضادات الأجسام حتى أنك تولد ولست في حاجة إلى دم أو ماء فأعطاك الله لبنا غنيا بالبروتينات والماء والسكر والفيتامين حاملا معه آلاف الملايين من جنود حراسة مناعية تغتال أي ميكروب من الميكروبات قد يهاجمك، وجعل اللبن في درجة حرارة الجسم خاليا من الميكروبات معدا في كل وقت بلا ثمن وهيا الله لك طريق الخروج من الرحم.

ما أحراك بالسجود شكرا لله على عظيم مننه وآلائه، وما أحراك أن تطيع ولا تعصى الله وأن تهجر النفس الأمارة بالسوء وتهجر وسوسة الشيطان وأن تأتمر بأمر الله وحده الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك.

والأجهزة التناسلية للمرأة هي المبيضان وقناتا الرحم والرحم، والماء المهيّن المنى يصب في الأرحام ووصفه تعالى بقوله إنه ماء دافق وأنه يخرج من بين الصلب والترائب. وقيل في الترائب إنها عظام الصدر والصلب هو العمود الفقري. وقد يسأل سائل ويقول إنه من المعروف أن الحيوانات المنوية تخرج من الخصى فكيف قال الله تعالى إن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، والجواب أن

الخصيتين إنما تخلقان أولا عند الفقرة القطنية البطنية الثالثة ثم تهاجر وتنزل في مشوار طويل وتأخذ معها الشريان المغذي لها نابعا من الشريان الأورطي البطنى من نفس المكان، وهذا المكان يقع تماما بين الصلب والترائب.

وإذا أصاب الرحم أى علة لم يكتمل الحمل وقد لا يحدث فقد يكون هناك رحم طفيلي أى صغير الحجم أو رحم مشوه أو أن البويضات لا تفرز من المبيض لأسباب كثيرة مرضية أو خلقية أو اختلال في إفراز هرمونات الغدد الصماء. وقد يحدث حمل ولا يكتمل ويحدث إسقاط للحمل نتيجة صدمات للألم أو تعاطى أدوية، ولكن من الذى يصونك داخل هذا الكيس المغلق ويدخل إليه الماء والهواء والغذاء والتكيف، إنه الخالق المدبر الذى جمع فأوعى والذى قدر فهدى، الذى علم فأراد فقدر فخلق فأحسن الخلق **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** سورة الملك: آية ١٤.

### الرحم وصلته الأرحام

والرحم إطلاقا: الإطلاق الأول: العضو المعروف والذي تحدثنا عنه والذي يقوم بهذه المهمة العظيمة في الحفاظ على استمرار الحياة.

والإطلاق الثانى: أن الرحم يطلق على القرابة القريبة ومنه قوله تعالى: **﴿وأولات الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾**.. ومنه حديث.. (خلقت الرحم واشتقت لها اسما من اسمائى من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته..).

وقد أمر الله بصلة الأرحام ووعد من قطعها بالخسران ووصف قاطع رحمه بالفساد، قال تعالى: **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾** صدق الله العظيم.

### المراجع:

- ١ - خلق الإنسان بين الطب والقرآن د. محمد على البار - دار السعودية للتوزيع والنشر «الطبعة الخامسة»
- ٢ - كتب التشريع المصرية والأجنبية.
- ٣ - كتب الفسيولوجيا المصرية والأجنبية.



# عبدالله بن رواحة

بطولات  
إسلامية

من الأبطال المسلمين الشعراء

البطل الشهيد النقيب الشاعر «عبدالله بن رواحة»، القائل:

«يا نفس إلا تقتلى تموتى».

قال تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم

من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» الأحزاب: آية ٢٣.

من هؤلاء الأبطال الذين تربوا في مدرسة النبوة، وقدموا أرواحهم

فداء لدينهم «عبدالله بن رواحة»، الشهيد النقيب.

د / محمد مصطفى سلام

وقد امتلأت نفسه الكبيرة بجلال البيعة وصدق الطاعة وحسن الاتباع.

فقد جاء إلى المسجد يوماً، وكان الرسول الأعظم

ﷺ يتأهب ليخطب المسلمين فما كاد «عبدالله»

يسمع النبي ﷺ يقول للناس: «اجلسوا» حتى جلس

من فوره - وكان ما يزال خارج المسجد - نزولاً مطلقاً

على أمر النبوة، وحرصاً على ألا تقوته كلمة من

الكلمات الخالدة.. حتى إذا ما فرغ الرسول ﷺ من

خطابه كانت المعاني السامية تهز ابن رواحة هذا..

فجعلته ينتفض بين الناس بحرارة الإيمان، وينطلق

لسانه الفصيح بآيات الوفاء والثناء.

وسمع الرسول الكريم بأمر عبدالله فاستدعاه

وقال له: «زادك الله حرصاً على طواعية الله

ورسوله».

وكان «ابن رواحة» يأخذ بخطام ناقة النبي ﷺ

عند دخوله مكة معتمراً.

فعندما كان الرسول ﷺ يجلس مستخفياً من كفار قريش مع الوفد القادم من المدينة هناك عند مشارف مكة يبايع اثني عشر نقيباً من الأنصار بيعة العقبة الأولى، كان «عبدالله بن رواحة» واحداً من هؤلاء النقباء، حملة الإسلام إلى المدينة والذين مهدت بيعتهم هذه للهجرة التي كانت طريقاً رائعاً لدين الله الإسلام.

وعندما كان الرسول ﷺ يبايع في العام التالي ثلاثة وسبعين من الأنصار أهل المدينة بيعة العقبة الثانية كان «ابن رواحة» البطل المجاهد الشاعر واحداً من هؤلاء النقباء المبايعين.

عاد رجال العقبة فهيأوا يثرب لكي تصبح مدينة النور حتى إذا ما كانت الهجرة كانوا هم الذين أووا ونصروا، وآثروا رسول الله ﷺ على أنفسهم وأهليهم.

وازداد عب. الله بن رواحة تعلقاً برسول الله ﷺ



قال ابن اسحاق حدثني عبدالله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ عندما دخل مكة معتمرا دخلها وعبدالله بن رواحة يمسك بخطام ناقته ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير في رسوله

يارب إني مؤمن بقبيله

أعرف حق الله في قبوله

#### ابن رواحة يدافع عن الإسلام بشعره

كان الرسول ﷺ يحب شعره ويستزيده منه .

جلس النبي ﷺ مع أصحابه، وأقبل عبدالله بن رواحة فسأله النبي ﷺ: «كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول؟» فأجاب عبدالله: انظر في ذاك ثم أقول:

يا هاشم الخير إن الله فضلكم

على البرية فضلا ما له غير

إني تفرست فيك الخير أعرفه

فراصة خالفتهم في الذي نظروا

ولو سألت أو استصرت بعضهم

في حل أمرك ما ردوا ولا نصروا

فتبث الله ما آتاك من حسن

تثبت موسى ونصرا كالذي نصروا

فسر رسول الله ﷺ ورضى وقال له: «واياك فتبث الله».

وحين كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت في عمرة القضاء كان ابن رواحة ينشد بين يديه من شعره:

يارب لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا

إذا أرادوا قتلة أبينا

وكان المسلمون يرددون وراءه ما قال.

#### ابن رواحة المجاهد الشهيد

شارك ابن رواحة في غزوات كثيرة منها «بدر، وأحد، والحديبية، وخيبر» وكان شعاره «يانفس إلا

تقتلى تموتى».

#### ابن رواحة يقود الجيش في مؤته ثم يستشهد

بعث رسول الله ﷺ غزوته إلى «مؤتة» وهي موضع بالشام في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة، وأمر عليهم «زيد بن حارثة» وقال: «إن أصيب فجعفر ابن أبي طالب، فإن أصيب فعبدالله ابن رواحة».

- فتجهز الناس ثم تهيأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف، فلما أعدوا للخروج ودع الناس أمراء الرسول ﷺ، وسلموا عليهم، فلما ودع «ابن رواحة» مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ «يكي».

فقالوا: ما يبكيك يا «ابن رواحة» فقال:

أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار، وهي قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا» مريم: آية ٧١. فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟.

فقال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين، فقال عبدالله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة

وضربة ذات فرع تقذف الزيدا

قال ابن اسحاق: ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى «عبدالله بن رواحة» رسول الله ﷺ فودعه ثم قال:

فتبث الله ما آتاك من حسن

تثبت موسى ونصرا كالذي نصروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله

والوجه منه فقد أزرى به القدر

قال ابن اسحاق: ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ يودعهم ثم مضوا حتى نزلوا «معان» من أرض الشام وبلغهم أن «هرقل» قد نزل «مأب» من أرض البلقاء في مائة ألف، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على «معان» ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له. فقام عبدالله بن رواحة وقال: «ياقوم إن التي



**سرير عبدالله بن رواحة إزورارا عن سريري صاحبيه. فقلت عما هذا؟ فقل لي: مضيا، وتردد عبدالله بعض التردد. ثم مضى..**

وجهش الناس بالبكاء على الأمراء الثلاثة.. وارتفعت الأصوات بالثناء لكل منهم على السواء. وصلى المسلمون صلاة المغرب والعشاء خلف رسول الله ﷺ وما يقدر أحد على النظر في وجهه ﷺ لفراط ما يملأه من الحزن العميق.

حتى إذا ما كانت صلاة الغداة من اليوم التالي انقلب غمه إلى رضى وإشراق.. ومن ثم استدار ﷺ إلى الجموع من خلفه وهو يبتسم.. فقال له بعضهم: يا نبي الله بأنفسنا أنت ما يعلم إلا الله ما كان بنا من الوجد منذ رأينا منك الذي رأينا..! فأجابهم ﷺ فقال: «كان الذي رأيتم مني أنه أحزنتني قتل أصحابي.. حتى رأيتمهم في الجنة إخوانا على سرر متقابلين».

وقد رثى حسان بن ثابت «ابن رواحة» فقال:  
يا عين جودى بدمعك المتورر  
واذكرى في الرخاء أهل القبور  
واذكرى «مؤتة» وما كان فيها  
يوم راحوا في وقعة التغوير  
حين راحوا وغادروا ثم زيدا  
مأوى الضريك والمأسور  
حب خير الأنام طرا جميعا  
سيد الناس حبه في الصدور  
ذاكم أحمد الذي لا سواء  
ذاك حزني له معا وسرورى  
ثم جودى للخزرجى بدمع  
سيدا كان ثم غير مزور  
قد أتانا من قتلهم ما كفانا  
فيحزن نبيت غير سرور  
رحم الله الشهيد النقيب الشاعر «عبدالله بن رواحة» ورضى عنه وأنزله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

تكرهون للتي خرجتم من أجلها وهي الشهادة، وما نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة، ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين، الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين، إما ظهور، وإما شهادة».

قال فقال الناس: قد صدق والله «ابن رواحة» فمضى الجند بعد سماع قوله للقاء الروم.

### اللقاء بين الروم والمسلمين

التقى المسلمون والروم فقاتل زيد بن حارثة براهية رسول الله ﷺ، حتى قُتل، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب وقاتل الروم حتى قُتل.

### ابن رواحة يحمل اللواء

حدث الرواة قالوا لما قتل جعفر أخذ عبدالله ابن رواحة الراية، ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستتر لنفسه ويتردد بعض التردد ثم قال:  
يا نفس إلا تقتلى تموتى

هذا حمام الموت قد صليت وما تمنيت فقد لقيت

إن تغلى فعلهما هديت  
يريد صاحبيه زيدا وجعفرا  
ثم رمى بنفسه في وسط الأعداء، فاستقبلته السيوف طعنه في رأسه، فقاتل بيد وحمى رأسه بيد، ولكن ما لبث أن أصيب بضربة قاتلة فسقط شهيدا بين الصفيين.

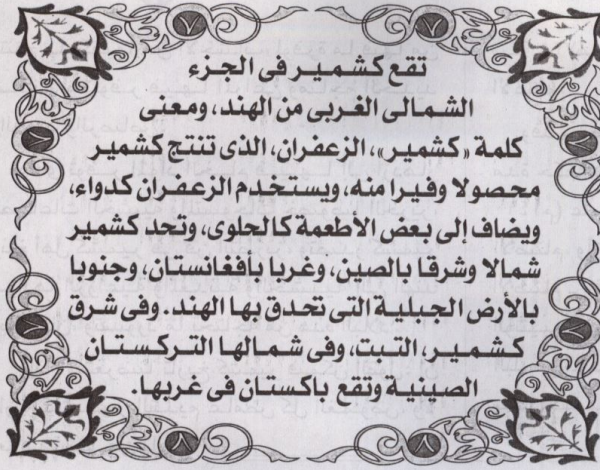
ووقف رسول الله ﷺ بين أصحابه بمسجده بالمدينة يعلن النبا ساعة وقوعه في ساحة المعركة وقال: «أخذ زيد بن حارثة الراية فقاتل بها حتى قُتل شهيدا، ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها حتى قُتل شهيدا». ثم صمت الرسول ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في ابن رواحة بعض ما يكرهون، ولكن لم يطل تساولهم كثيرا، حتى انطلق لسان الرسول الأعظم بعد هنيهة يقول: «ثم أخذها عبدالله بن رواحة» فقاتل بها حتى قُتل شهيدا» ثم صمت الرسول لحظة أخرى والناس في خشوع رهيب، وما لبثت أن قال: «لقد رفعوا إلى الجنة على سرر من ذهب، فرأيت في



# كشمير

## ماضيها

## وحاضرها



تقع كشمير في الجزء

الشمالي الغربي من الهند، ومعنى

كلمة «كشمير»، الزعفران، الذي تنتج كشمير

محصولا وفيرا منه، ويستخدم الزعفران كدواء،

ويضاف إلى بعض الأطعمة كالحلوى، وتحد كشمير

شمالا وشرقا بالصين، وغربا بأفغانستان، وجنوبا

بالأرض الجبلية التي تحدد بها الهند. وفي شرق

كشمير، التبت، وفي شمالها التركستان

الصينية وتقع باكستان في غربها.

د / عصام الدين عبدالرؤف الفقى

العادات والتقاليد .

ويبلغ عدد سكان كشمير ٨,٧ مليون نسمة،  
٨٠٪ منهم مسلمون، والباقي أى ٢٠٪ من السيخ،  
وتلاشت البوذية وعبادة الأصنام والأوثان.

وازدهرت في عاصمة كشمير - سرينجار -  
صناعة السجاد وتطريز المناديل أو الشيلان،  
والصناعات الجلدية والنحاسية، والفضية، وحفر  
الخشب وتطعيمه، ويوجد بكشمير حدائق  
ومساجد وقلاع أثرية.

ومن أهم مدن كشمير بعد العاصمة: بارامولا،  
وسوبور وإسلام آباد - جنوب كشمير - في منطقة  
تزدهر بها البساتين وتكثر بها الأشجار الوارفة  
والمزارع الخصبة. ومدينة كولغام وكوتلى وجمو  
وغوريش ودارس.

وتعتمد أراضى كشمير في زراعتها على مياه  
الأمطار والآبار وتنتج كشمير بوفرة، الحبوب  
والبقول والخضراوات، وبها ثروة حيوانية كبيرة،

وكشمير بلاد جبلية وعرة المسالك، بها أنهار  
وأحواض ماء، كونتها السيول، وقلما تنتشر السهول  
في أرضها الجبلية.

ومن أكثر مناطق كشمير خصوبة وثروة، وادى  
كشمير السعيد، وبه العاصمة سرينجار، والمدن  
الرئيسية في كشمير، وأدت وفرة المياه في هذا  
الإقليم إلى ازدهار الزراعة وال عمران ووفرة  
المراعى، وسهولة الاتصال بالهند وباكستان، وترتب  
على ذلك كثرة السكان.

شعب كشمير خلاصة العناصر التي هاجرت  
إلى هذا الإقليم، وهى عناصر آرية وأفغانية  
ومغولية، وصينية.

وهناك فروق جوهرية بين عناصر السكان في  
كشمير، بسبب تباين التضاريس، واختلاف طبيعة  
الإقليم من منطقة إلى أخرى، وعلى الرغم من أن  
سكان كشمير يتميزون باللون الأبيض وضخامة  
البدن إلا أنهم يختلفون عن بعضهم البعض في



سنة ٧٣٥هـ - ١٢٣٤م ولقب سواتي: الشمس الأعظم.

وقد حرص سكندر شاه - خليفة سواتي - طوال مدة حكمه في هذه البلاد (٧٨٨ - ٨١٢هـ - ١٢٨٦ - ١٤١٠م) على نشر الإسلام في كشمير، وحطم الأصنام، وأزال معابد الشرك حتى لقب - محطم الأصنام - وقد أوجدت هذه السياسة كراهية بين الوثنيين من أهل كشمير وبين المسلمين في هذا البلد، واشتد العداء وقويت الكراهية والبغضاء بين سكان كشمير، وقد فطن إلى العواقب الخيمة التي ستنتج عن اضطهاد عبدة الأصنام، زين العابدين، الذي حكم كشمير (٨٢٢ - ٨٧٢هـ - ١٤١٩م - ١٤٦٧م) فاتبع مع الوثنيين سياسة التسامح والمهادنة، وكفل لهم حرية ممارسة شعائهم الدينية واكتفى بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

ووفد على كشمير جموع غفيرة من الشيعة، ومكنوا «من - جك» زعيمهم من السيطرة على كشمير، وإزالة الأسرة الحاكمة، وولى حكم كشمير، ولقب بادشاه وظهر هذا اللقب على العملة، على أن بادشاه لم يستطع الاستقلال ببلاده عن امبراطورية المغول في الهند.

حرص حيدر ميرزا - بعد أن ولى حكم كشمير - على ضم إقليم كشمير إلى امبراطورية المغول القوية في الهند، فطلب من همايون - ثاني سلاطين امبراطورية المغول في الهند - (١٥٣٠م - ١٥٥٦م) فتح كشمير، ويسر للمغول في الهند

وتنتج ما يكفيها من الأخشاب، لوفرة ما فيها من غابات، وتتوفر فيها المراعى ومناجم الحديد والذهب والرصاص.

وأدى توفر المواد الخام فيها إلى ازدهار الصناعات الخشبية والمنسوجات خصوصاً الحرير، ونىخ أهل كشمير في فن التطريز، وتصدر كشمير موادها الزراعية والمعدنية والخشبية إلى الهند وباكستان، وتستورد ما تحتاجه من هذه البلاد.

وإذا استعرضنا تاريخ كشمير فيمكن القول: إن تاريخ كشمير القديم غامض كل الغموض، ولا

نعرف شيئاً عن تاريخ كشمير قبل سنة ٢٠٠م لأنهم لم يدونوا تاريخهم قبل القرن الثاني الميلادي. ويبدأ تاريخ كشمير في الوضوح منذ سنة ٢٠٠م حيث حكمها الراجا رام تشندر حي، وقد تعاقب الراجات

من بعده على حكم كشمير. (الراجات حكام الهند القدماء وهم في اعتقادهم من نسل الآلهة).

وصل الإسلام إلى كشمير سنة ٦٥٤هـ على يد الفاتح زين الدين حسن - قائد جيش السلطان ناصر الدين بن شمس الدين - وهو من الملوك الماليك - حكم الهند سنة (١٢٤٦م - ١٢٥٦م) ولم تؤد حملة هذا القائد إلى انتشار الإسلام في كشمير بشكل كبير، وفي سنة ٧٠٦هـ - ١٢٠٦م قاد ذو القدر خان جيشاً إلى كشمير، ضربها ودمرها، وفتحت هذه الحملة الطريق لقائد أفغانى كبير، يسمى شاه مير سواتي، للاستيلاء على كشمير، وجلس سواتي على عرش إمارة كشمير وسيطر عليها تماماً، وأقام حكماً إسلامياً في هذا الإقليم

## تعد باكستان سوقاً طبيعية لتصريف منتجات كشمير خصوصاً الفواكه والبسط والسجاد والصوف



## مشكلة كشمير

ولما ضعفت الدولة الإسلامية في الهند، سيطر السيخ على كشمير، حيث غزاها المهراجا رانجيت سنك سنة ١٨٢٠م ولما سيطر الانجليز على الهند، بسطوا سيطرتهم على كشمير، وأبقوا على حكم المهراجا كولاب سنك، نظير مبلغ كبير من المال، يدفعه حاكم كشمير للحكومة البريطانية لمدة مائة عام، ووقعت بذلك معاهدة أمريستار في أواخر القرن التاسع عشر.

ولما استقلت الهند على أساس التقسيم إلى: جمهورية الهند ودولة باكستان، بقيت مشكلة الإمارات المستقلة وفرض الانجليز على حكم هذه الإمارات، أمراء من الأقليات، في هذه الإمارات، لضمان ولائهم للحكم البريطاني، وليكونوا أداة لتنفيذ السياسة الاستعمارية، فحكم كشمير حاكم هندوسي استخدمه الانجليز للضغط على الأغلبية المسلمة، وتقرب هذا الحاكم إلى جمهورية الهند، مما أطمعها في المطالبة بضم كشمير إليها، بدعوى أنها خضعت للهند السيخ في القرن الماضي وخضعت في الوقت الحاضر، للراجا هاري سنغ منذ عام ١٩٢٥م، ورفضت باكستان ادعاءات الهند، وقالت: إن غالبية سكان كشمير من المسلمين وحكمها المسلمون خمسة قرون، وسكان كشمير من المسلمين يبلغ تعدادهم ٨٠٪ من سكان كشمير، فضلا عن أنها من الناحية الجغرافية جزء من أراضي باكستان والحدود بين كشمير والهند جبلية وعرة، لا تخشى الهند منها شيئا، في حين تتصل كشمير بباكستان بسهول فسيحة، تجري فيها ثلاثة روافد لنهر السند، وتعد باكستان سوقا طبيعية لتصريف منتجات كشمير، خصوصا الفواكه والبسط والسجاد والصوف، وتعتمد أراضي باكستان في ريعها وزراعتها على أنهار كشمير، فانضمام كشمير إلى الهند يعرض أراضي باكستان للجفاف في حالة وقوع خلاف بين البلدين.

السيطرة على هذه البلاد. وبذلك انضمت كشمير إلى امبراطورية المغول في الهند سنة ١٥٨٧م، وقضى المغول على كل مقاومة واجهتهم من أهل كشمير.

وقد حرص امبراطور المغول جلال الدين أكبر (١٥٥٦ - ١٦٠٥م) على وضع حد للعنف بين المسلمين والهندوس في كشمير، ومنع القتل والسلب والنهب الذي شهدته هذه البلاد، وتطلع أكبر إلى المحافظة على الأمن والنظام في هذه البلاد، ووقف القلاقل والاضطرابات فيها، ومهما يكن من أمر فقد ضم جلال الدين أكبر ولاية كشمير إلى دولته المغولية الإسلامية، وتحسنت الأوضاع الأمنية في كشمير بعد ضمها إلى امبراطوريته.

وكان يوسف شاه، يحكم كشمير واستنجد بالامبراطور أكبر أهل كشمير، وكان يقيم في لاهور - فأرسل قائديه ميرزا شاه رخ وراجة بهجوان داس إلى كشمير بجيش كبير، فرأى يوسف شاه - حاكم كشمير - أنه لا قبل له بجيش امبراطور الهند فطلب الهدنة، وعقد الصلح فعلا بين حاكم كشمير والقائدين المغوليين، ولكن الامبراطور أكبر، رفض الصلح، ورأى ضرورة التخلص من حاكم كشمير، وبسط سيطرته الكاملة على كشمير، وأرسل جيشا يقوده - قاسم خان - وهزم حاكم كشمير، وأعلن ولاءه لامبراطور المغول، وفشلت كل مقاومة من أهل كشمير ضد الحكم الجديد، وبذلك انضمت كشمير إلى امبراطورية المغول الهندية، واعتبرت إقليما من أقاليم إمارة كابل، وزار أكبر كشمير سنة ١٥٨٩م ونظم إدارتها وعهد إلى رجال من قبله بإدارتها، وأعجب أكبر بجمال إقليم كشمير وبمناظرها الساحرة، وأصبحت كشمير منذ ذلك الوقت جزءا من امبراطورية المغول الهندية.



وهناك مخطط هندوسى يهدف إلى النيل من عقيدة المسلمين فى كشمير، ويقوم هذا المخطط على أساس تغيير مناهج التعليم ونشر الإباحية بين الشباب المسلم، وتشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس، وإباحة الخمر والزنا، ونشر أفلام الجنس فى دور السينما والمسرح.

وقاوم المسلمون هذه السياسة المناهضة للإسلام، بتكثيف الدعوة الإسلامية، ونشر التعليم الدينى فى المساجد والمدارس الخاصة.

ودارت مذابح للمسلمين من قبل الهندوس، قتل فيها الكثير من

المسلمين، ولم تقبل باكستان المسلمة الاعتداءات على جيرانها من المسلمين، ودارت حروب على الحدود بين الهند وباكستان فى ١٥/٥/١٩٩٠م وأمر حاكم كشمير الهندوس بإطلاق الرصاص على مشيعى جنازة الزعيم المسلم محمد فاروق

## سكان كشمير يتميزون باللون الأبيض وضخامة البدن إلا أنهم يختلفون عن بعضهم البعض فى العادات والتقاليد

١٩٩٠/٥/٢١م.

وأنشأ المسلمون جمعيات إسلامية للتصدى للهندوس وتثبيت العقيدة فى نفوس المسلمين.

واندمجت الجمعيات الإسلامية فى هيئة إسلامية موحدة، لمناهضة حكم الهندوس فى كشمير، والمحافظة على وحدة المسلمين فى كشمير، وتفوقهم أمام أعدائهم، والمطالبة بحقوق المسلمين المشروعة، وتتاضل هذه الهيئة من أجل إقامة دولة كشمير الإسلامية الموحدة أو إقليم ينضم إلى الجارة الإسلامية، باكستان.

ولا بد للحق أن ينتصر، والله متم نوره.

وحاول المهراجا الهندوكى هارى سنغ، الاستتجاد بالهند لدخول بلاده وحكمها، فلم تقبل الغالبية المسلمة محاولة الانضمام إلى الهند فأعلنوا الثورة، واستولى الثوار المسلمون على المناطق الغربية من كشمير وكونوا حكومة كشمير الحرة برئاسة السردار محمد إبراهيم.

وتوغلت القوات الهندية فى المناطق الجنوبية والشرقية من كشمير وأيد الانجليز موقف الهند، ودعموا سياستهم بالسيطرة على المراكز الهامة من كشمير.

وانتهى النزاع بين الهند وباكستان بعقد هدنة بين الطرفين سنة ١٩٤٩م، واتفق الطرفان

المتنازعان حول السيطرة على كشمير، الهند وباكستان على استفتاء تجربة الأمم المتحدة، ولا تزال هذه المسألة دون حل.

وتعرض المسلمون فى كشمير لتحديات عقائدية فى عهود حكامها الهندوس، وفرضت القيود على عقيدتهم، وناضل المسلمون حكامهم فى

سبيل المحافظة على دينهم وعقيدتهم.

دعا المؤتمر الإسلامى جميع الدول المحبة للسلام والعدالة إلى بذل الجهد لضمان الحقوق المشروعة للمسلمين فى كشمير على أساس قرارات الأمم المتحدة، كما قدمت رابطة العالم الإسلامى فى مذكرتها لمؤتمر القمة الإسلامى الثالث بمكة المكرمة دعوة للملوك والرؤساء المسلمين لبذل مساعيهم الحميدة فى الأمم المتحدة لتنفيذ قراراتها الخاصة بكشمير، على أن يقرر شعب كشمير مصيره بنفسه، وذلك بإجراء استفتاء حر.



# السكينة

## إعجاز القرآن في مقارنة الأديان

حمدى رشاد العليمى

من المباحث التى احتلت صدارة اهتماماتى الفكرية قديما - ولاتزال - مبحث إعجاز القرآن الكريم بكافة وجوهه ومناحيه، يليه على الفور مبحث مقارنة الأديان. ولم ألك أتصور أنه سوف يأتى علىّ يوم أرى فيه هذين المبحثين وقد اجتمعا وامتزجا معا فى مبحث واحد يمكن أن نسميه «إعجاز القرآن فى مقارنة الأديان» ثم لم ألك أتصور أن يتم هذا المزج على يد هذا العبد الفقير كاتب هذه السطور، وأنه لفضل عظيم أحمد الله تعالى عليه.

ويمتاز هذا الوجه الجديد من الإعجاز بميزة كبرى قد لا تتوفر للعديد من الوجوه الأخرى، تلك هى صلاحيته فى مواجهة المستشرقين والمبشرين وخصوم الإسلام عامة كسلاح قوى يزود عن حياض الإسلام التى يسعى البعض جاهدا لتعكير صفوها. كما يمتاز بأنه يخاطب أهل الأديان الأخرى بما يفهمونه ويجدونه فى كتبهم ويأتى بالحجة على إعجاز القرآن من صميم نصوصها بحيث تصبح كتبهم المقدسة شاهدة على إعجازه ناطقة بهيمته عليها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ المائدة: ٤٨. ومصادقا لقوله تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ التوبة: ٣٢. وفى هذه الحلقة سوف نعرض لأنموذج من نماذج هذا الإعجاز الجديد (وما أكثرها) على أن تتبعها حلقات آخر حين ميسرة.

يدور موضوع هذه الحلقة برمتها حول لفظ واحد من ألفاظ القرآن الكريم، أجل هو من حيث العدد لفظ واحد لكنه من حيث الإعجاز يبدو بحرا بلا ساحل. إنه لفظ «سكينة» الوارد فى قوله تعالى: ﴿إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾ البقرة: ٢٤٨. هذا هو موقع لفظنا من الآية، ولكن لا مناص لنا من معرفة موقع الآية من السياق كله لكى نفهم أسرار الإعجاز القرآنى فى هذا اللفظ.

لذلك نقدم بين يدي الآيات بهذا التمهيد فنقول والله المستعان: بعد وفاة موسى عليه السلام دخل بنو إسرائيل فلسطين مع يوشع بن نون الذى قام بأمرهم إلى وفاته، وظلوا على ذلك يقيم لهم

نماذج هذا الإعجاز الجديد (وما أكثرها) على أن تتبعها حلقات آخر حين ميسرة.

يدور موضوع هذه الحلقة برمتها حول لفظ واحد من ألفاظ القرآن الكريم، أجل هو من حيث العدد لفظ واحد لكنه من حيث الإعجاز يبدو بحرا بلا ساحل. إنه لفظ «سكينة» الوارد فى قوله تعالى: ﴿إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾ البقرة: ٢٤٨. هذا هو موقع لفظنا من الآية، ولكن لا مناص لنا من معرفة موقع الآية من السياق كله لكى نفهم أسرار الإعجاز القرآنى فى هذا اللفظ.

لذلك نقدم بين يدي الآيات بهذا التمهيد فنقول والله المستعان: بعد وفاة موسى عليه السلام دخل بنو إسرائيل فلسطين مع يوشع بن نون الذى قام بأمرهم إلى وفاته، وظلوا على ذلك يقيم لهم



أمرهم قضاة منهم وليس فيهم ملك إلى أواسط المائة الرابعة من وفاة موسى حيث دخل العبرانيون في حرب مع الفلسطينيين الذين غلبوهم وأخذوا منهم تابوت العهد، وهو التابوت الذي فيه التوراة.. وكان من قضاة بنى إسرائيل نبي اسمه صموئيل جاء إليه بنو إسرائيل وطلبوا منه أن يقيم عليهم ملكا منهم يأمرون بأمره ويقودهم إلى قتال أعدائهم الذين أذلّوهم طويلا.. فأخبرهم صموئيل بأن الله قد جعل طالوت عليهم ملكا وأن آية ملكه أن يأتيهم التابوت الذي سلب منهم فتكون تلك علامة على أن الله تعالى هو الذي اختاره ملكا عليهم، وفي هذا تقول الآيات الكريمات ﴿ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين﴾ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سَكِينَةٌ من ربكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ البقرة: الآيات ٢٤٦ - ٢٤٨.

والآن وقد فهمنا القصة برمتها نمسك بمجهر مكبر للصورة ونضعه على لفظ (سَكِينَةٌ) لتعرف على تفاصيله الدقيقة فما الذي نراه؟ ولماذا ارتبطت السَكِينَةُ بالتابوت على وجه الخصوص؟ ثم ماهي كِيفِيَّاتُ هذه السَكِينَةِ ومظاهرها على وجه التفصيل؟ حين نطالع ما قاله مفسرو القرآن الأقدمون الذين حاولوا تقديم اجابات عما سألنا فسوف يروعا ويصدمنا الكم الهائل من الروايات الأسطورية التي لا سند لها من الحقيقة والتي

بثها اليهود ليستخروا من جهل المسلمين بأسرار الدين اليهودي، وفيما يلي نماذج منها: قال الثعلبي: واختلفوا في السَكِينَةُ ماهي: فقال علي بن أبي طالب: السَكِينَةُ ريح خجوج هفافة لها رأسان (كرأس الهرة) ووجه كوجه إنسان. وقال مجاهد: رأس كُرَاسُ الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان.

وقال ابن اسحاق عن وهب عن بعض علماء بنى إسرائيل: السَكِينَةُ رأس هرة ميتة كانت إذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح. ولا أستطيع أن أترك هذا الرأي الأخير دون أن أعلق عليه: فهذا الرأي يعلن عن مصدره المريب بكل صراحة وتبيح (علماء بنى إسرائيل) ويفسر السَكِينَةَ تفسيراً تطفح منه السخرية والتهكم (رأس هرة ميتة)!! إلى هذه الدرجة بلغت سخرية اليهود - لعنهم الله - بمن دونهم في العلم من المسلمين.

ومن المفسرين المحدثين من لاحظ معي سخافة تلك الآراء وهو السيد رشيد رضا صاحب تفسير المنار حيث قال: «وأما قوله تعالى في التابوت (فيه سَكِينَةٌ من ربكم) فقد كثرت فيه الروايات، ومنها ما لا يدل عليه نقل ولا يقبله عقل، على أنها متعارضة.. فأكثر ما ذكر عن التابوت وعما فيه من الغرائب لا أصل له في تلك الكتب».

### حقيقة الأمر وإعجاز القرآن

أما عن حقيقة (السَكِينَةُ) التي أشار إليها القرآن الكريم هنا فلا يعلمها إلا من تعمق في دراسة التراث اليهودي حيث نستدل منه على أن للسَكِينَةَ فيه مدلولاً محدداً، كما نجد فيه - وهذا هو الأهم - صلة قوية وخاصة جداً بين (التابوت) وبين (السَكِينَةَ) مما يلقي ضوءاً جديداً على إعجاز القرآن الكريم الذي ألمح إلى كافة هذه المعاني الدقيقة التي لا يحيط بها إلا كبار العالمين ببواطن الأمور وما كان محمد ﷺ منهم بل ما كان بقارئ من الأصل حتى يقف على هذه المعاني الدقيقة، وهنا يتبدى إعجاز القرآن واستحالة أن يصدر من عند غير الله سبحانه، وإليك تفصيل الأمر:



## السكنية في الديانة اليهودية:

يقول واحد من أكبر علماء أهل الكتاب المعاصرين - وهو الأب متى المسكين - عند شرحه للعدد ١٤ من انجيل يوحنا ما نصه:

«يعطينا حزقيال النبي صورة للحلول من فوق بقوله: «ويكون مسكنى فوقهم وأكون لهم إلهاً ويكونون لى شعباً» (حز ٢٧: ٢٧) ثم يعلق قائلاً: (ولينتبه القارئ لكلامه جيداً): «ولا نستغرب قوله: «مسكنى فوقهم» فهذا فى الواقع كان موضع سكنى يهوه الرب العظيم داخل خيمة الاجتماع فوق الغطاء على التابوت. وغطاء التابوت هذا له شأن عظيم جداً سواء فى اللاهوت العبرى القديم - وكان اسمه عندهم (الشاكيناه) وهو السكن أو موضع السكنى، وطبعاً دون ذكر اسم الله احتراماً وتقديراً - أو فى اللاهوت الطقسى فى الكنيسة القبطية».

ياإلهى! هكذا بدا لنا بشهادة واحد من أكابر علماء أهل الكتاب أن «السكنية» ونطقها العبرى «الشاكيناه» إنما تعنى لدى اليهود الأقدمين (غطاء التابوت) ولنترك الرجل يكمل حديثه: «من هذا يتضح أن عبادة يهوه قديماً ارتبطت بخيمة الاجتماع وحلوله فيها، وكان مركز خيمة الاجتماع الأقدس هو التابوت، وأقدس ما فى التابوت هو غطاؤه حيث يسكن يهوه بصفة دائمة كما يفهم من النص التالى: «وقال الرب لموسى كلم هارون أخاك أن لا يدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب، أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت، لأنى فى السحاب أترأى على الغطاء لاويين ١٦: ٢. وفى اللاهوت العبرى، يعتبر الغطاء هذا أو الشاكيناه هو موضع «سكن» يهوه المقدس الدائم سواء فى ترحاله قديماً أو إقامته الدائمة فى الهيكل. وقد قدس اليهود العبرانيون اسم «الشاكيناه» «السكن» وجعلوه عوض اسم الله أو (الحضرة الإلهية) .. جاء فى الترجوم: «وسأجعل «الشاكيناه» تسكن فى وسطهم».

أعتقد أن الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج منى إلى تعليق.

ولكن ما معنى «سكن الله أو حلوله على غطاء التابوت؟ هل المعنى الحلول المادى (التحيز) كما فهم العالم الكتابى الذى استشهدنا بكلامه؟ والجواب: بالقطع لا وإلا لقل إنه يحل فى التابوت ذاته لا فى غطاءه.. فلا معنى للسكنى على الغطاء إلا مجازاً بحيث يكون المعنى المراد هو قداسة التابوت ومكانته العظيمة لدى الله تعالى بسبب محتوياته المقدسة حيث كان التابوت يحوى أنفس شئء لدى اليهود على الإطلاق فى ذلك الحين أعنى الألواح التى كتبت عليها الوصايا العشر والتى تلقاها موسى ﷺ من الله تعالى مباشرة، فالتابوت مقدس بسبب ما انطوى عليه، وقد استعين لقداسته بتعبير سكن الله سبحانه على غطاءه وذلك تنبيهاً على قداسته وحرمة، فمن البديهي أن الغطاء يستعمل لحفظ ووقاية الأشياء الثمينة النفيسة التى نحفظها ونصونها بالعلق عليها . فهذه الاستعارة اللفظية إنما جاءت لتلفت الأنظار إلى قداسة محتويات التابوت من جهة، ولتزرع وتردع كل من تسول له نفسه الاقتراب منها وكشف الغطاء عنها من جهة أخرى، فإذا كان الغطاء ذاته مقدساً فإن ما يغطيه ولا ريب أشد منه قداسة، هذا هو المعنى المراد الأقرب إلى العقل والمنطق، وهو المعنى الذى لم يفهمه بدقة الأب متى المسكين أو لم يرد أن يفهمه انطلاقاً من عقيدة الحلول والتجسد التى تسيطر على فكره سلفاً باعتباره نصرانياً، فهى ليست بالفكرة الغريبة عليه وإنما هى على العكس فكرة يأنس إليها ويألفها، ولو أنه فكر باستقامة وحياد أو بموضوعية لفهم أن الغطاء فى حد ذاته لا قيمة له، وإنما القيمة كلها فيما تحته أو فيما يغطيه فمنها يستمد الغطاء قيمته باعتباره الحافظ لها.

وما يهمنا بيانه أن تعبیر (سكنى الله) هنا ليس مراداً به الظاهر، وفى كثير من الحالات المماثلة



علينا ألا ننخدع بالتعبير اللفظي لنأخذ بظاهره وإلا لفهمنا تعبيرا مماثلا له هو (بيت الله) المراد به الكعبة المشرفة فهما ظاهريا على أنها موضع سكنى الله سبحانه وهذا مالا يقول به مسلم قط، وقس هذا على ذاك يتجلى لك وجه الصواب.

بعد هذا الإيضاح تبقى مسألة.. لقد قلنا إن (السكنية) فى التراث اليهودى - واسمها الصحيح عندهم شاخيانه لأنهم يبدلون الكاف خاء - تعنى موضع سكنى يهوه (وهو اسم الله تعالى عندهم) فوق غطاء التابوت، وفهمنا أن تلك مجرد كناية عن قداسة محتويات التابوت، لكن بأى معنى وردت (السكنية) فى النص القرآنى الذى أوردناه من سورة البقرة؟

لاريب أنها وردت بمعناها العربى المعروف (الطمأنينة). ولكن كيف يكون التابوت كما نصت الآية باعنا على الطمأنينة؟

هذا هو الجديد الذى نضيفه ولم ينتبه إليه أحد من المفسرين، ذلك أن بنى إسرائيل وكما علمنا من الآيات كانوا يتأهبون لقتال أعدائهم، ومن المعلوم أن الذى يخوض غمار معركة يحتاج إلى روح معنوية عالية تجعله رابط الجأش، ثابت القدم مستبسلا فى قتال عدوه، مطمئنا إلى أنه على الحق المبين. وتلك هى (السكنية) بعينها، وحين نستقرأ آيات القرآن الكريم التى ورد فيها لفظ (سكنية) نجدها كثيرا ما وردت فى وصف معارك وغزوات، انظروا إلى قوله تعالى عن (يوم حنين): ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ التوبة: آية ٢٦.

والى قوله تعالى عن (فتح مكة): ﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم والله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما﴾ الفتح: آية ٤.

وهكذا ترد (السكنية) فى القرآن مقرونة بذكر

القتال غالبا، ولقد كان التابوت يمثل لبنى إسرائيل حين ذاك مصدرا يمنحهم السكينة ويستلهمون منه المدد الروحى والمعنوى باعتباره أقدس ما لديهم وأعز ما يمتلكون، ليس فقط بسبب ما يحويه من ألواح التوراة وبقايا آثار موسى وهارون - عليهما السلام - ولكن أيضا لما أسبغه عليه الله تعالى من قداسة حين جعل منه رمزا لحضوره معهم وسكناه بينهم. فكأنهم حين يقاتلون أعداءهم وبحوزتهم التابوت فكأن الله تعالى يقاتل معهم وينصرهم على شاكلة قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ الأنفال: آية ١٧. فهل بعد هذه سكنية؟ وهل بعد ذلك باعث على الطمأنينة؟

وهل يخاف أحد الهزيمة وهو يعلم - بل يستوثق - أن الله تعالى مؤيده وناصره؟

وهل كان نصر أكتوبر العظيم إلا وقد سبقه هتاف الجنود وشعارهم العظيم (الله أكبر - الله أكبر) الذى استمدوا منه (السكنية) والثبات والصمود.

وبذلك نكون قد أدركنا سر العلاقة الوثيقة بين السكى (الحضور الإلهى المهيّب) وبين السكينة (الطمأنينة والثقة والثبات) لدى بنى إسرائيل. ونكون قد أدركنا علاقة كل منهما بالتابوت على وجه التحديد.

ونكون قد أجبنا عن أسئلة كانت أسراراً مستغلقة فى التراث اليهودى وقد رأينا كيف أجاب المفسرون الأقدمون عليها.

فهل بعد هذا كله يأتى أحد - كائنا من كان - ليرتاب فى أن القرآن العظيم من عند غير الله؟ وأن يحدد هذا الغير بأنه محمد ﷺ الذى نشأ فى أمة أمية لا علم لها بدقائق التراث اليهودى؟

تلك الدقائق التى كانت خافية - لا أقول عن العرب فحسب - وإنما عن عامة اليهود ممن ليس لهم حظ كبير بأسرار تراثهم أو الذين «لا يعلمون الكتاب إلا أمانى» كما وصفهم القرآن العظيم.



# توصيات المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية حول الإسلام في عصر العولمة

٢٢٢٢٢٢

أخبار العالم الإسلامي

منير بيومي



الأستاذ الدكتور محمد زقزوق وزير الأوقاف يلقى المحاضرة الافتتاحية وعن يساره أ. د. مفيد شهاب  
وأ. د. حامد طاهر وعن يمينه أ. د. فاروق اسماعيل  
تصوير: سيد الزهزاف

اختتم المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية أعماله  
والذي عقد مؤخرا بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة حول  
الإسلام في عصر العولمة في الفترة من ٤ - ٥ مايو الماضي  
برعاية الأستاذ الدكتور فاروق اسماعيل رئيس جامعة  
القاهرة، وبرئاسة الأستاذ الدكتور حامد طاهر عميد الكلية  
وحضر جلسة الافتتاح الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير  
التعليم العالي والدولة للبحث العلمي، والأستاذ الدكتور  
محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف ورئيس الجمعية  
الفلسفية المصرية حيث ألقى المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر  
وعدد كبير من المتخصصين في الفلسفة الإسلامية من الأزهر  
والجامعات المصرية والعربية.

تعاون المؤسسات الدينية  
والتعليمية والإعلامية  
لتبصير الشباب بالفكر  
الإسلامي الصحيح وتحصينه  
ضد التيارات المنحرفة



## الأخذ بوسائل التقدم العلمى والتطور التكنولوجى فى مواجهة تحديات العولمة

بالفكر الإسلامى الصحيح، وخاصة فيما يتعلق بقضايا العصر ومستجداته، حتى لا يتركوا فريسة للتيارات المنحرفة، التى لا تتمشى مع قيمنا ومبادئنا.

● ضرورة تعاون المؤسسات الدينية والتعليمية والإعلامية والثقافية فى بيان المفهوم الحقيقى للإسلام، وترسيخ قيمه الأصيلة، ومن أهمها التسامح والإخاء والمساواة.

● الاستمرار فى عمليات تطوير مناهج التربية والتعليم فى البلاد الإسلامية حتى تواكب حركة العصر الحديث، مع غرس مبادئ الانتماء، والتمسك بالقيم الدينية الأصيلة.

● ضرورة أن يقوم الإعلام العربى والإسلامى بدور أكثر فعالية فى نشر التصور الصحيح والمتسامح للإسلام، والرد على ما يوجه للمسلمين من افتراءات.

● دعوة المؤسسات الدينية إلى مزيد من بذل الجهد لتكوين كوادر من الدعاة تقدم الصورة الصحيحة للإسلام: قولاً وسلوكاً.

الاهتمام بعرض المبادئ والتعاليم الإسلامية بمختلف اللغات الأجنبية، حتى لا يترك هذا الميدان للأقل معرفة، أو لأصحاب الأغراض الخاصة.

● يشجع المؤتمر مسيرة الحوار بين الأديان السماوية والثقافات بهدف إشاعة جو من السلام والاستقرار والتعايش بين أتباع الأديان والمذاهب المختلفة.

● دعوة المثقفين إلى الالتزام بمبدأ حرية الرأى والتعبير عنه دون تعصب، واحترام وجهات النظر الأخرى، بحيث يكون الوصول إلى الحقيقة هى الهدف الرئيسى لدى الجميع.

● يناشد المؤتمر الحكومات الإسلامية أن

وقد ناقش المؤتمر على مدى يومين كاملين ستة وثلاثين بحثاً حول المحاور الرئيسية حول مفهوم العولمة، وعالمية الإسلام والمسلمين فى عصر العولمة، وأصدر العديد من التوصيات وفى مقدمتها:

● - ارسال برقية تأييد ومبايعة إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية لفترة رئاسة رابعة.

● - يتواصل دارسو الفلسفة الإسلامية ببحث المشكلات الحقيقية والمعاصرة فى مجتمعاتهم بهدف تحديدها، وبيان مظاهرها، واقتراح الحلول المناسبة لها.

● تفرض ظاهرة العولمة على المسلمين مسئولية كبرى فى ضرورة الأخذ بوسائل التقدم العلمى، والتطور التكنولوجى حتى تستطيع أن تواجه التحديات السلبية لتلك الظاهرة وتتفادى آثارها.

● تشجيع محاولات الانفتاح الرشيد على تجارب المجتمعات الأخرى، بشرط أن يتم ذلك فى إطار الندية وليس التبعية، والمشاركة وليس السيطرة.

● أدانت معظم بحوث المؤتمر نزعة الهيمنة التى بدأت ترتبط بظاهرة العولمة، كما أدانت تسلط قطب واحد على مقدرات الأمم والشعوب، انطلاقاً من أن لكل حضارة وثقافة هويتها وخصوصيتها.

● ضرورة التأكيد على مفهوم عالمية الإسلام وصلاحيته مبادئه وقيمه لكل زمان ومكان، مع التركيز على الجوانب الإنسانية والأخلاقية فى الحضارة الإسلامية.

● تكريس الجهود من أجل تبصير الشباب



## دعم مسيرة الحوار بين الأديان السماوية والثقافات لتحقيق الأمن والاستقرار

• يطالب المؤتمر الرأى العام العالمى بضرورة تناسى خلافاتها ، وأن تتجمع فى كيانات اقتصادية وثقافية كبرى، حتى تستطيع مواجهة التغيرات العالمية، وتتعامل بكفاءة مع آلياتها. تطبيق معايير واحدة فى مختلف القضايا العالمية، وعلى كل الشعوب دون أى تمييز.

## أكاديمية الأزهرية للدراسات الإسلامية فى النمسا

### فتاة بريطانية

### الإسلام جعلنى أدرك كيف يكون لى قلب طاهر وشخصية طيبة

لندن - و. أ. س

اهتمت وسائل الإعلام البريطانية بدخول شابة بريطانية الإسلام وزواجها من مسلم ورفضها حياة اللهو بعد أن هداها الله إلى الإسلام. فقد نشرت جريدة «صنداي ميرور» قصة الفتاة (ريبيكا ويليام) البالغة من العمر ستة عشر عاما التى فوجئت أمها بارتدائها الحجاب وأدائها الصلوات الخمس.

وذكرت الجريدة أن (ريبيكا) ليست حالة فردية وإنما هى جزء من تيار يتنامى بين فتيات بريطانيا اللاتى يدرن ظهورهن للمجتمع الغربى بما فيه من مشكلات اجتماعية خطيرة، ويتجهن للدخول فى الإسلام لما فيه من استقرار وأمان للمرأة.

وقالت الأخت المسلمة (ريبيكا) لقد جعلنى الإسلام أدرك كم كانت حياتى فارغة، والآن عرفت أن الله لا ينظر للمظهر الخارجى والأهم هو أن يكون لك قلب طاهر وشخصية طيبة.

فى إطار تدعيم دور الأزهر فى أوروبا عن طريق إنشاء فروع بالدول الأوروبية تقرر إنشاء أكاديمية أزهرية تعد الأولى من نوعها فى النمسا بالاتفاق بين جامعة الأزهر والهيئة الدينية الإسلامية الرسمية فى فيينا والأكاديمية الإسلامية بها وقع الاتفاقية الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والهيئة الدينية الإسلامية الرسمية بفيينا، تنص الاتفاقية على امداد الأكاديمية بالعلماء والخبراء وأعضاء هيئة التدريس وتبادل الكتب والدوريات. كما تنص على مشاركة الأزهر فى وضع البرامج والمناهج الدراسية بالأكاديمية شريطة أن تلتزم بتطبيق المناهج الشرعية والعربية المقررة بجامعة الأزهر فى كل سنوات دراستها، وتتولى جامعة الأزهر الإشراف العلمى على تدريس هذه المواد من خلال مجلسها العلمى المشكل برئاسة رئيس الجامعة وأحد النواب، وأمين عام رابطة الجامعات الإسلامية وعميد الأكاديمية، وممثل السفارة المصرية وثلاث شخصيات تختارها الهيئة بالتشاور مع الجامعة.

ويعد فرع جامعة الأزهر بالنمسا أول فرع يقام بمساعدة حكومة النمسا يهدف إلى تخريج معلمين مسلمين لخدمة الجاليات الإسلامية بالنمسا التى تمثل نسبة لا يستهان بها.



## الجامعة الإسلامية بالهند تعلن

## رفض إنشاد الطلبة المسلمين لنشيد هندوسى يدعو للشرك والوثنية

المفاسد والمحرمات التى تنتج عن ذلك. وأكد المؤتمر على الترابط والتعاقد بين هذه المدارس. وشدد على تأدية المدارس العربية لمسئوليتها، وأن تتصدى للفتن التى تثار ضد الإسلام. كما دعا المشاركون - المدارس العربية لوضع خطط من أجل القضاء على السلبيات والمنكرات التى تنشأ فى المجتمع الإسلامى فى الهند.

## تدريس الدين الإسلامى فى المدارس الألمانية

بون - و. أ. س

أيدت الكنيسة فى ألمانيا تدريس الدين الإسلامى فى المدارس الألمانية لأهمية بقاء الطلاب المسلمين المقيمين هناك على ارتباط وثيق بعقيدتهم وتقاليدهم بلدانهم. جاء هذا التأييد فى بيان أصدرته الدائرة المختصة فى شئون التربية والتعليم التابعة للكنيسة بمدينة هانوفر الألمانية أكدت فيه أيضا على ضرورة تدريس الإسلام فى الجامعات والمعاهد العليا الألمانية. وقالت الدائرة فى بيانها أنه ينبغى أن ينسجم تدريس الدين الإسلامى مع القوانين الألمانية والمحيط التربوى للمدارس الألمانية بالاستناد إلى مبدأ الحوار وأن تكون لغة التدريس هى اللغة الألمانية تحت إشراف هيئة ألمانية مختصة بالشئون التربوية لكن البيان أكد فى الوقت ذاته على ضرورة أن يتولى إلقاء الدروس الدينية الإسلامية مدرسون مسلمون متخصصون. جدير بالذكر أنه يعيش فى ألمانيا حوالى ثلاثة ملايين مسلم ينتمون إلى تركيا والمغرب ويشكلون نسبة ثلاثة بالمائة من سكان هذا البلد.

أصدرت دار الافتاء الإسلامية التابعة للجامعة الإسلامية - دار العلوم ديوبند فى الهند - فتوى فى شأن النشيد الهندوسى (وندى ماترم) الذى ينشده طلبة المدارس الهندية، ويرفض المسلمون ترديده لأنه دعوة للشرك وعبادة الأرض، وقد قرأت الفتوى خلال مؤتمر رابطة المدارس العربية لعموم الهند، التابعة للجامعة الإسلامية - دار العلوم ديوبند فى الهند.

وقرأ الفتوى فضيلة الشيخ المفتى أبى القاسم البنارسى القاسمى عضو المجلس الاستشارى بالجامعة، وتقول الفتوى (أغنية وندى ماترم - شرك خالص، وتتنافى مع عقيدة الإسلام وتعاليمه، وليست ملزمة للمسلمين، وإنشادها حرام قطعاً عندهم ومخالفة لما منحه الدستور الهندى، من حرية العقيدة الدينية فلا بد للمسلمين وغيرهم أن يرفعوا الاحتجاج ضد ذلك..).

وقد أصدر مؤتمر رابطة المدارس العربية فى ختام أعماله عددا من القرارات منها - أن مؤتمر المدارس العربية لعموم الهند يشعر بالمشكلات التى تواجه المدارس، ويعتبر المفترقات التى تنسب إليها من قبل الحكومة، واستخدام أجهزة الإعلام لخطبة مدروسة فى ذلك، وهى جزء من المساعى المبينة تجاه الإسلام والمسلمين والدولة، ويعتبر الزعم بانتماء هذه المدارس إلى الأجهزة السرية الباكستانية، وعرقلة جهود الحصول على التأشيرات للطلاب الأجانب جزء من هذه المفترقات. ويندد بالحكومة الهندية.

ودعا المؤتمر إلى اجتناب المساعدة الحكومية المقدمة للمدارس العربية الإسلامية، لتحاشى



# دراسة في فكر مضطرب



- تقرير عن مقترح التربية الدينية الصادر عن مركز ابن خلدون للتنمية
- الشفاعة عند السلف والخلف
- على رسلك يا معالي الدكتور
- الحج أشهر معلومات



# عن مشروع التعليم والتسامح.. مقترح التربية الدينية الذي أصدره مركز ابن خلدون للتنمية

تقرير  
علمي

مقتضى أن المركز للتنمية كان ينبغي أن يقصر نشاطه على تلك المهمة، ولكنه ترك هذه المهمة وجنح إلى التربية، والتربية الدينية بالذات في مرحلة التعليم الأساسي ابتدائي - إعدادي - ثانوي.

ومن يتصدى للتربية في هذه المرحلة من حياة أبنائنا فإنه لابد أن يكون قد شحذ كل همته وخبرته من أجل توصيل الرسالة التربوية إلى فئات أكبادنا ليبدن فيهم بذرة الخير وفضائل الطهارة والنبيل والقيم الشريفة، ويهيئهم ليكونوا مواطنين بحق وبنوا مستقبل مصر وأملها على ضوء العلم ومصادقيته ويضم النسيج الحي للأمة في كيان نابض بالأمن والأمان..

## د. سعد ظلام

ولكن - مع الأسف الشديد - هذه الرسالة

سقطت في هذا المقترح الذي أعده المركز سقوطا ذريعا عن قصد وعمد، فقدم الغذاء المسموم إلى أولادنا، وامتدت يده لتقوض دعائم الوطنية، والبنية الاجتماعية مستقبل مصر المأمول في عقولها الخضراء.

ومن أجل هذه الغاية القاتلة شكل فريق عمل مدربا من أربعة عشر رجلا ليقوموا بهذه المهمة الخطرة لا داعي لتصنيفهم. وتتمثل هذه الخطورة في أن هذا المركز المنحرف جند دعاة الفكر المنحرف. ليقدموا هذا المقترح المنحرف والمؤلف الرئيسي الذي وضع اسمه بخط عريض على غلاف الكتاب من عتاة هذا الفكر المدمر. فقد كان في جامعة الأزهر وفصل منها بسبب هذا الفكر المغلوط، ومن المبادئ التي يُصر عليها

- ١ - وهو ينكر السنة ويسخر منها، ويتحكم بما ورد فيها، وله بحوث ومقالات مفردة، في هذا الموضوع إلى جانب ما يبثه في كتبه كلها.
- ٢ - وهو ينكر العلم بالغيب بالنسبة إلى الرسول، ويقول: إن المشركين يضيفون العلم الإلهي بالغيب إلى أوليائهم وآلهتهم المزعومة فيرفعونهم فوق الرسل.
- ٣ - وينكر أفضلية الرسول وفضائله.
- ٤ - وينكر عصمة النبي ويرأها ضربا من التألّيه له، ويقول: إن عصمة الأنبياء قضية لم يعرفها المسلمون إلا في عصر الضعف، ولو كان النبي معصوما لما أمره الله بتبليغ رسالته..
- ٥ - ويذكر أن الرسول تعرض مثلنا لنزغات



مؤمننا، والمؤمن كافرا ص ٢٣٤ من كتابه «العالم الإسلامي»..

١٠ - وفي ص ٢١٢ من نفس الكتاب يقول: «والنصارى يجعلون عيسى ابنا لله، وأصحابنا يجعلون محمدا قيسا من نور الله، وجزءا منه، فلا فارق سوى أن النصارى أصرح في الكفر».

١١ - وفي كتابه «غارات الصليبيين والمغول» يشفق على مسيلمة الكذاب، ويقول: «مسيلمة المسكين» ص ١٩٩.

لهذا ولغيره قررت الجامعة فصله.

هذه نبذة عن

المؤلف الرئيسى لهذا المقترح، والخطاب كما يقولون يفهم من عنوانه.

الكتاب بين الأخطاء والانحرافات

أما الكتاب فهو من أوله إلى آخره يعج بالأخطاء والانحراف

والمغالطات، ولو أننا تابعناه نقطة نقطة لزاد حجم الرد على حجم الكتاب، ولهذا سنكتفى ببعض النماذج الصارخة مما ورد في هذا الكتاب.

وينبغى أن ننوه أن المؤلف يبث أفكاره التي أشرنا إليها سابقا في كل ما يكتب وسوف نجد كثيرا مما ذكرنا ومما كان سببا في فصله مبثوثا في هذا المقترح وفي تضاعيفه ومن ذلك:

أولا: يعرف الأطفال برسول الله ﷺ، فكيف يعرفهم به؟ يذكر في ص ٣١ وما بعدها ما حدث للنبي في غزوة أحد من جروح في جسده ووجهه، فيجعل أحد التلاميذ يسأل: وهل غضب النبي بسبب هذه الجروح؟! ويجيب هو: نعم. غضب

الشیطان، والله أمره بالاستعاذة من الشيطان، وأنه تعرض للنسيان، وتعرض للوقوع في الذنب، بل في أخطر الذنوب وهو الشرك بالله مستشهدا بقوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾.

بل إنه ذكر في بعض كتبه بعض العبارات التي تقطع بكفر الرسول حيث يقول في ص ٦٣ من كتابه «الأنبياء في القرآن الكريم» ثم انتهى الوحي، ثم مات الرسول الخاتم، ونحن لا نعرف إلى أى حد طبق الرسول الخاتم أوامر ربه، ولا نعرف إلى أى حد تحددت درجته بين الأنبياء.

٦ - وهو ينكر

الشفاعة كما جاء في ص ٦٤ وص ٧٩ من كتاب «الأنبياء في القرآن الكريم» ويستخف بالشفاعة كما في ص ١٧١ من كتابه «العالم الإسلامي» بين عصر الخلفاء الراشدين وعصر الخلفاء

العباسيين» ويقول: «من اعتقد الشفاعة لمحمد يكون في الكفر مثل من اعتقد في عيسى أنه مخلص، غير أن النصارى أصرح في الكفر».

٧ - ويصف الصحابة بالانتهازية والخديعة ص ٧٢ ويغمرهم ويتهمهم، ويتجراً على الأئمة الكبار والمحدثين.

٨ - ويتحدث عن فكرة الرجعة عند الشيعة والصوفية ص ١١٨ من كتابه «العالم الإسلامي» وينكر المسيح الدجال والمهدى المنتظر، ويذكر أن العقيدة الدينية اضطربت من القرن الثانى.

٩ - ويسوى بين المؤمنين والمشركين، ويقرر أن الكافر على درجة من الإيمان ويجعل الكافر

## المركز المشبوه يعمل على تقويض الوحدة الوطنية وهدم البنية الاجتماعية لأجيال مصر



ثم يسأل التلاميذ: ما رأيكم في هذا الرجل الذي يصلى ويبكي من الخشوع، وهو سارق نشال؟ فيسأله التلاميذ: وما رأيك يا أستاذ في النشالين الذين يذهبون للحج للنشل؟

فهل مثل هذا العرض الحقيقير مما يرسخ العبادة في أذهان التلاميذ ويحببهم فيها؟ إن قصد المؤلف أن يكره التلاميذ في العبادات - كما كان قصده تكريههم في رسول الله ﷺ - وتشويه وظيفتها الروحية والاجتماعية والإساءة إلى الإسلام.

وما فعله في الصلاة والحج فعل مثله في الصوم، كل هذا ليعبر التلاميذ عن المعانى السامية للعبادات، وهو يستحثهم على ذلك بالتصفيق.

**ثالثاً:** في ص ٢٦ يسأل أحد التلاميذ: ماذا إذا عبدنا الله واصلينا وصمنا وتصدقنا، ووقعنا في المعاصي، ولم نتب؟ ولم نتق الله؟

ويجيب: هنا تكون عبادتنا وسائل للمعصية، وتكون عبادتنا رياء ومتاجرة بالدين وخداعا لله تعالى وللناس.

وفى إجابة أخرى عن سؤال عمن يصلى وهو يعتقد أن هذه الصلاة تعطيه رخصة لى يرتكب ما شاء من الذنوب. أجاب: هنا تكون صلاته وسيلة للعصيان.

ولا نعجب أن نرى المؤلف يركز على هذا النحو من تشويه العبادات في أذهان التلاميذ.

### إساءة إلى الرسل

**رابعا:** ص ١٢ يعلق على قوله تعالى: ﴿لا تفرق بين أحد من رسله﴾ فيقول: «ليس لنا أن نفرق بين رسول ورسول أو أن نفضل رسولا على رسول لأن ذلك من شأن الله تعالى».

والآية تتحدث عن التفرقة بين الرسل، ولم تُشر من قريب أو بعيد إلى التفضيل بين الأنبياء لكنه

النبي، وقال: لا يفلح قوم فعلوا بنبيهم هذا؟ ويقول أحد التلاميذ: من حقه - عليه الصلاة والسلام - أن يغضب لما فعلوه به، فيقول الأستاذ: من حق النبي أن يغضب لما فعله به المشركون، ولكن ليس من حقه أن يقول عنهم: لا يفلح قوم فعلوا بنبيهم هذا؟

ثم تسأل تلميذة: لماذا؟ فيجيب: لأنه ليس من حق النبي - عليه الصلاة والسلام - أن يحكم بتكفير أحد، أو يدعو عليه، لأنه لا يعلم الغيب في المستقبل.

ويمضى الحوار بين المؤلف والتلاميذ فيقف تلميذ ليقول: يا أستاذ جاءت لى فكرة الآن. إن خالد بن الوليد الذى قال عنه النبي فى غزوة أحد: «لا يفلح قوم فعلوا بنبيهم هذا.. قد أسلم فيما بعد وقد سماه النبي «سيف الله المسلول» فالنبي - عليه الصلاة والسلام - لم يكن يعلم الغيب، ولم يكن يعلم أن بعض المشركين سيسلمون فيما بعد».

وابتسم المدرس وقال: صنفوا لسعيد (التلميذ) ثم قال: فعلا، فإن من المشركين من دخل فى الإسلام بعد أن قاتل المسلمين فى غزوة أحد، وكان منهم أبو سفيان وزوجه هند، بل إن العبد الحبشى الذى قتل حمزة عم النبي لم يلبث أن أسلم، ولذلك فليس من حق إنسان أن يحكم بكفر أى إنسان، لأنه لا يعلم الغيب فى المستقبل، وهو يكره التلاميذ فى النبي الذى يغضب ويدعو على قومه.

### تشويه العبادات

**ثانيا:** ص ٢٤ ولتستمع إليه وهو يشرح العبادات بغرض تحبيب التلاميذ فيها «فيصور رجلا يصلى وهو يبكي من شدة الخشوع، ومن شدة بكائه يكاد يسقط، ويذكر أنه سنده حتى لا يقع، وبعد انتهاء الصلاة اكتشف (المؤلف) ضياع محفظته، وما فيها من نقود».



## مقترح التربية الدينية المسموم عبارة عن الأفكار المنحرفة لتخريف عقول التلاميذ

وهو يصور هذا في أسلوب حوارى بين التلاميذ وبينه، فتلميذ يشعر بالظلم إذا تعب في المذاكرة ثم تساوى في النهاية بزميله الذى لم تعب ولم يذاكر، ليقول تلميذ آخر: إن الواسطة في الامتحان حرام، أليس كذلك يا أستاذ؟ فيقول الأستاذ: نعم. الواسطة في الخير حلال. أما الواسطة في الغش فهي حرام، وما يزال يصور الشفاعة نوعا من الغش أو هي الغش ذاته ليرمى بأفكاره وقادوراته في أذهان التلاميذ الأبرياء.

وتأتى الأسئلة في ص ٤٥ فيسأل التلاميذ: «هل سيشفع النبی في العصاة المسلمين يوم القيامة؟ ولماذا؟ ما معنى قوله تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه﴾؟ ناقش مع زملائك وأستاذك هذا الاعتقاد الخاطئ لشفاعة النبی في تخلف المسلمين؟ هل يتفق الاعتقاد الخاطئ بشفاعة النبی مع العدل في الإسلام؟

مع أن الآية تدل على الشفاعة بإذن الله، وقد وردت آيات كثيرة في الشفاعة، والأحاديث الصحيحة في ذلك، والمؤلف كما سبق ينكر الشفاعة.

ونسأل: أهذا مما يكون في مستوى تلاميذ في غضارة العمر؟

**تشويه صورة العلماء**

**ثامنا:** في ص ٦٦ يذكر أن المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين كلهم مسلمون، ومن أولياء الله. ولا تعقيب.

**تاسعا:** وهو يتهم العلماء بالكهنوت ويتهم

خرج بقضية التفضيل لأنه يعتقد عدم تفضيل الرسل على الأنبياء، ولقد تحدثت عن قضية التفضيل هذه الآية الكريمة: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ الآية.

**خامسا:** ص ١٢ يطلب من الأطفال المسلمين أن يحب كل منهم جاره المصرى المسيحى ويقول: إنه من مظاهر السمع والطاعة لله ورسوله، ويقول: فبهذا أمر الله.

وهذا عمل طيب، وكنا نود أن يدعو الأطفال المسيحيين بنفس القوة والحماسة إلى أن يحبوا زملاءهم وجيرانهم المسلمين، وباليته صرف همه إلى أن يدعو الأطفال جميعا إلى المحبة وأن يتفهموا أصول المواطنة.. وأنهم جميعا نسيج واحد في خلية واحدة، بدل أن يركز على جانب واحد ويدخل في هذا دعوته إلى الإحسان إلى الجيران واليتامى والمساكين من المسيحيين.

**إساءة إلى القرآن الكريم**

**سادسا:** وهو يقف بأحكام القرآن وحدوده عند المجتمع الإسلامى الأول، فقط، ولا يرى تطبيقها في كل الأحوال والأزمان، مع أن هذه الأحكام خالدة بخلود الإسلام، فهو ينكر الجهاد ويقف به عند العصر النبوى فقط، ونسأله: لمصلحة من هذا؟

**سابعًا:** في ص ٣٩ يتحدث عن الغش، وأنه حرام، وأن تدخل بعض الناس لإنجاح بعض التلاميذ حرام، ليصل من خلال هذه المقولة إلى إنكار شفاعة الرسول ﷺ.



المجتهدين بالردة والكفر.

وخطر هذا القول أنه يُسكب في أذهان التلاميذ وهم صغار ليشوه صور العلماء والمجتهدين في أذهانهم، ليكرهوا من يكره، وليصور لهم أن هذه الطائفة تعادى الدولة والنظام والدستور.

### دعوة إلى الإلحاد

**عاشرا:** يذكر في ص ١٧٧ أن الإنسان خلقه الله حرا في أن يطيع وأن يعصى، ومنع أن يتسلط عليه الآخرون بقوانين غير إلهية ويصادروا حقه في الكفر وإنكار وجود الخالق.

**حادى عشر:** وفي ص ٧٨ يذكر أن الله لم يعط سلطته في الدنيا لبعض الناس ليعاقبوا باسمه من اختلف معهم في رأى أو من كفر به.

**ثانى عشر:** يشن على العلماء ورجال الدين فيقول: «شرع الجهاد ضدهم وشرع القتال والجهاد لا لإرغام الناس على الدخول في الإسلام» ص ١٧٨ ، ١٧٩ . يقول هذا عن الجهاد ضد العلماء بينما هو ينكر الجهاد للدفاع عن الإسلام.

**ثالث عشر:** وهو يتحدث عن الحرية الدينية وأنها مكفولة قبل الاعتقاد لكن بعد الإعلان عن الإسلام تصبح غير جائزة، يقول في غمرة انفعاله الأحق «وحرية الاعتقاد في الله هي قمة الرأى في الإسلام، وإذا كان للإنسان في نصوص القرآن الحرية في أن يكفر بالله، فإن له بالتالى الحرية في أن يكفر بالحاكم أو بالسلطة الدينية أو المدنية».

وهذا قمة الفتنة والتحريض الأثم ضد الدولة والنظام، واتهام الإسلام والقرآن بالحرية في الكفر عموما، دعوى خاطئة لا ينهض بها دليل إلا في عقل المنحرفين.

**رابع عشر:** فى ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ يتحدث عن حرية فساد المنافقين في حكومة النبي ﷺ حتى أن هذه الحرية تتعدى الحرية في الفساد إلى الحرية ضد الحاكم.

### إنكار السنة

**خامس عشر:** ص ٢٩٣ ينكر السنة الشريفة ويرى أنهم أسندوها إليه (إلى الرسول) بعد موته وأن العصر العباسى، دونها بأثر رجعى، ويرى أن السنة ما نزل على الرسول بلطف «قل» ويرى أن الإسناد لا يتفق والمنهج العلمى.

بل إنه يذهب أبعد من ذلك حين يرى السنة تراثا أضفى الإسناد عليه بعض القداسة ففى ص ٢٩٧ يسأل المؤلف هذا السؤال:

الإسناد أضفى قدسية على بعض التراث حين نسب للنبي زورا؟ ويمكن مراجعة الأسئلة كلها فى ص ٢٩٧.

**سادس عشر:** فى ص ٤٦ تحت عنوان «مصريون ومصريات فى القرآن الكريم» يقول: إن القرآن جعل كل من عاش على أرض مصر من أهل مصر.

وفى ص ٤٧ يذكر أن أم موسى مصرية وكذلك موسى وهارون. ويوسف ويعقوب، وأبناءؤه مصريون وهو بهذا يثبت حق الوجود التاريخى لإسرائيل باعتبارهم مواطنين مصريين.

**سابع عشر:** فى ص ٢٤٠ يتحدث عن التناقض فى الدولتين الدينية والمدنية، فيتحدث أولا عن هذا التناقض فى الدولة الإسلامية فى إقامة القسط بين الناس، فيذكر أن إقامة القسط تتوازن فيه حقوق الفرد مع حقوق المجتمع، كما يتوازن مع العدل والحرية.

أما فى الدولة المدنية فلا يحتاج الأمر إلى هذا التشابك والتداخل، فللفرد حق مطلق فى الدولة



ثم ينصب نفسه مفسراً في الزمن الرديء.

**ثامن عشر:** ص ٥٨ يذكر أن الذي يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً من جميع البشر فهو من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ويعمل لذلك بأن الله ليس منحازاً إلى جنس من البشر أو إلى مذهب أو جيل أو عصر أو طائفة ولكن الفكر الديني لدى كل طائفة يجعلها تستأثر بالله تعالى وتستأثر بالجنة دون العالمين، ومن هنا يظلمون الله تعالى وينسبون له التحيز **﴿وما الله بظلام للعبيد﴾**.

وهذا الكلام على إطلاقه غير صحيح مع ما نعلم من أن أهل الكتاب ازدادت المسافة بينهم وبين الله وبين مآلديهم من صحائف أهملوها كل الإهمال، والتدين ليس علاقة

موهومة بالله، فلا قيمة للتدين إذا لم يمنع الإسفاف ويدفع إلى التسامى ويقمع غرائز الاستغلال وقهر الضعفاء.

لقد تربع أهل الكتاب على قمة القوة - كما يقول الشيخ محمد الغزالي - ولكنهم خاصموا موسى وعيسى ومحمداً، وأهالوا التراب على تعاليمهم جميعاً، يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾** ودعوى الولاية لله لا تحقق بالصورة التي ذكرها أو بالتعليل الذي جاء به. وهو يسئ إلى الإسلام ويجامل غيره حين يقول: إن الفكر الديني جعل كل طائفة تستأثر بالله والجنة.

الإسلامية في شيئين هما القسط وحرية الفكر والاعتقاد، وللمجتمع حق مطلق في ثلاثة أشياء وهي السلطة والثروة والأمن، ولل فرد حقوق نسبية في هذه الأشياء الثلاثة، والحقيقة أنه لا تناقض بين الدولتين الدينية والمدنية.

ثم يتحدث عن حق الفرد المطلق في القسط فيذكر الآيات التي تقرر الأمر بالعدل والإحسان ويعلق على هذا بقوله: الآيات القرآنية تقرر حقيقة قرآنية واحدة وهي أن الحكم المقصود في الآيات هو الحكم القضائي أو الحكم بين الناس ليصل إلى

القول إن المعنى المقصود أن يقتصر تدخل الدولة بين الناس على إقامة القسط في الداخل، إلى حد القسط المطلق للأفراد بنسبة ١٠٠٪. ويفرق بناء على

فهمه الخاص بين

«المقسطين» و«القاسطين» تفرقة تدل على جهل مطبق حين يقول: «والمقسط تعبير مبالغه يفيد تحري القسط دائماً . أى القسط بنسبة ١٠٠٪.

أما القاسط الذي يراعى العدل بنسبة أقل من ١٠٠٪ فمصيره جهنم، **﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾** الجن: آية ١٥.

وهذا جهل باللغة: فالمقسط اسم فاعل من الفعل أقسط، والهمزة للإزالة من القسط بفتح القاف وهو الجور والظلم والمعنى أن المقسط هو الذي يزيل القسط والقاسط هو الظالم الجائر في حكمه، وليس هو الذي يراعى العدل بنسبة أقل من ١٠٠٪ كما ذكر.

ومعنى هذا أن المؤلف لا يعرف شيئاً في اللغة

## المقترح يدعو للجهاد ضد العلماء وينكر الجهاد من أجل الدفاع عن الإسلام!!!



**تاسع عشر:** فى ص ٦٠ يذكر أن القرآن تكرر لما جاء فى الكتب الأخرى.

وهو بهذا يسوى بين العمل الإلهى والجهد البشرى، فالتوراة حُرِّفَت وسجل القرآن تحريفها وتدخل الأحيار والرهبان فى هذا التحريف، فاشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، والأنجيل لم يُعلم ما الذى وضعه الحواريون، بل إن بعضها دُون بعد ثلاثمائة سنة أو يزيد من رفع السيد المسيح.

وما قاله المؤلف من أن ما قيل للنبي الخاتم قيل من قبل لمن سبقه من الأنبياء، فهذا مقصور على أصل التشريع. ولقد أوحى الله إلى الأنبياء جميعا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.

ويجعل للإيمان استعمالين وللإسلام هو الآخر استعمالين، ثم يقول: «والجنة من نصيب المسلم الذى يسلم الناس من لسانه ويده».

**العشرون:** يقول فى ص ٦٥ «أقباط مصر يصل بهم إيثار السلامة والمسالمة والأمن إلى درجة الصبر على الأذى والاضطهاد بحيث يكون الاستشهاد وهو أسمى مطلب للمظلوم منهم، وهذا ملمح أساسى من تاريخ الحقبة القبطية والعقيدة القبطية أى أنهم أحق الناس بوصف الإسلام بمعنى السلم والمسالمة، وأحق الناس بوصف الإيمان بمعنى إيثار الأمن والأمان، ليصل إلى القول بأن الإرهابيين المعتدين أبعد ما يكونون عن الإسلام والإيمان».

ونسأل: ما العقيدة القبطية التى ذكرها؟

وفى هذا القول مغالطات، فالإرهابيون لم يفرقوا بين مسلم ومسيحي، أما إذا كان يقصد غير ذلك فليقل؟

**واحد وعشرون:** يذكر أن أم موسى أقت موسى فى ماء النيل، ويؤكد على هذا ص ٤٨ ولا ندرى كيف غاب عنه وهو متخصص فى التاريخ أن هذا حدث قريبًا من الطور أى فى مكان بعيد عن النيل.

وأن فرعون ليس اسما للملك، وإنما هو رمز له كما نقول الآن البيت الأبيض رمز للرئيس الأمريكى.

**ثانى وعشرون:** يذكر أن البيت الحرام الكعبة وفى ص ٥٣ يذكر أن النساء هن اللائى صنعن التابوت الذى وضع فيه موسى وهو قول بلا دليل.

**ثالث وعشرون:** ص ١٢ يذكر مارية القبطية المصرية.

وهذا كلام من لا يعرف التاريخ فكلمة قبطى هى كلمة مصرى وقبطية تعنى مصرية وكذلك أقباط مصر ص ٦٥.

**رابع وعشرون:** يفسر اليتيم بأنه الذى مات أبوه أو ماتت أمه ص ١٨. وهو كلام غير دقيق، فاليتيم من العقلاء من فقد أباه.

**خامس وعشرون:** ص ١٩ يفسر المسكين بأنه الفقير، وهذا كلام غير صحيح، فالمسكين من يملك قوت يومه، والفقير لا يملك قوت يومه.

**سادس وعشرون:** يفسر «ما ملكت أيمانكم» ص ٢٢ يفسره بما ملكت أيماننا من الحيوان والقطط والكلاب والطيور.

وهذا خطأ. إن المراد النساء والعبيد، والآية وصية بالأرقاء وضعيفى الحيلة.

هذه بعض الأمثلة لما جاء فى الكتاب وهو لا يغنى عن قراءته وفى هذا ما ينهض دليلا على نية هذا المركز فمثل هذا لا يصدر إلا عن نفس مريضة ماكرة تريد الشر وتزرعه وتملأ الكوب بالسلم وتقدمه لهذه الأرواح البريئة المطمئنة، وفى هذا قتل عمد للنبات الطفولى من أبنائنا الذين هم أمل مصر ومستقبلها، وأخشى ما نخشاه أن يتسرب هذا فى جنح الليل إلى مدارسنا ولا نتصور ذلك - فتكون الكارثة - والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



## الشفاعة بين السلف والخلف

د. عبدالعزيز غنيم

لم تكن الشفاعة ماثار خلاف بين المسلمين في الأجيال الثلاثة التي أطراها النبي - عليه الصلاة والسلام - فقال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته». ولهذا فإن التاريخ لم يحك لنا أن جدالا ثار بين اثنين أو أكثر في جيل من هذه الأجيال الثلاثة حول ما إذا كانت للنبي - عليه الصلاة والسلام - شفاعة أم لا، وما إذا كانت هذه الشفاعة لزيادة الحسنات وحسب أم لها، ولرفع السيئات، وإنما كان الإجماع قائما بينهم على ما نزل في شأنها من القرآن من مثل قوله تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وقوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بذنه﴾.

آيات القرآن، والظروف التي واكبتها والأغراض التي رمت إليها، والإيماءات التي تضمنتها تراكيبها، وما نزل منها في المشركين خاصة، وما نزل في المؤمنين فإذا التبس عليهم شيء من هذه الآيات أو استغلق سألوا عنه النبي - عليه الصلاة والسلام - فكشف لهم ما خفي وأوضح لهم ما غمض، فإن لم يكن على قيد الحياة سألوا الراسخين في العلم من أمثال العمرين (١) وذى النورين، وأبي الحسنين، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وغيرهم ممن أنار الله بصائرهم وأضاء ضمائرهم وألهمهم من العلم ما يهديهم السبيل في شئونهم الدنيوية والأخروية على السواء. وفي هذا الجو الهادي وهذه الحياة الراضية كان المسلمون يتابعون مسيرتهم ويواصلون فتوحاتهم متعاونين متضامنين كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

١ - العمرين: هما عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق

وما ورد من السنة من مثل ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي - عليه الصلاة والسلام - في غزوة تبوك:

«أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي. نصرت بالعرب مسيرة شهر، وأحلت لي الفنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا فأبى رجل من امتي أدركته الصلاة فليصل، وأعطيت الشفاعة، وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

وما رواه أبي بن كعب وهو أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر...».

إلى آخره من الأحاديث التي تعددت طرقها وصحت أسانيدھا وتجاوزت درجة الشهرة إلى التواتر. ومرجع هذا الإجماع فيما نرى إلى أن المسلمين كانوا في هذا العهد النقي على علم تام ومعرفة كاملة بالأسباب التي من أجلها نزلت



فانظر - رحمك الله - كيف قبل الفاروق الحجر الأسود على الرغم من رأيه فيه لا لشيء إلا لأنه رأى النبي ﷺ يقبله، وما ذلك إلا لأن إيمانه قد استقر في أعماق نفسه ولم يدع فيها مجالا للتردد والارتباب.

### الشفاعة عند الخلف

فلما ذهب هذا العهد الذي أطراه النبي - عليه الصلاة والسلام - وتبعه العهد الذي فسدت فيه الذمم، ووهت جذوة الإيمان أو كادت حتى باتت شهادة الرجل فيه تسبق يمينه ويمينه شهادته، كان الطريق ممهدا أمام خصوم الإسلام لإشاعة المفتريات حوله، وزرع الشبه من بين يديه ومن خلفه، فانتشرت التحل، وتعددت الأهواء، وانقسم المسلمون حولها إلى طوائف وفرق لا يعينها الانتصار للحق بقدر ما يعينها الانتصار لنجلتها وظهور حجتها على حجة غيرها.

في هذا الجو العاصف وهذا الجدل المتناوح أثيرت قضية الشفاعة، وحُمي وطيس مقالات المتكلمين حولها، وكان ذلك أثناء القرنين الثاني والثالث الهجريين.

وقد لخص صاحب المقاصد (١) مذهبي المعتزلة وأهل السنة حولها فقال ما نصه:

«أجمعت الأمة على أصل الشفاعة، وهي عندنا لأهل الكبائر من الأمة، لقوله - عليه الصلاة والسلام -: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

ولقوله تعالى: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» محمد: آية ١٩. أي ولذنب المؤمنين لدلالة القرينة وطلب المغفرة شفاعة.

وقالت المعتزلة: إنما هي لزيادة الثواب لا لدرء العقاب لقوله تعالى: «واتقوا يوما لا تجزي نفس

وقد رأى الأعداء منهم عليه من السلام في أنفسهم وفي عقائدهم وفي مجتمعاتهم، فأكل الغيظ أكبادهم، ونهش الغل أفئدتهم، وعقدوا الخناصر على تشتيت شملهم وتفريق جمعهم وجعلهم طوائف وفرق يكفر بعضهم بعضا ويضرب بعضهم رقاب بعض، ومشوا إلى أهدافهم هذه في ثلاث شعب متوازية:

إحداها: التآمر على الخلفاء الراشدين واغتيالهم.

والثانية: التآمر على الخلافة ذاتها وتحويلها إلى ملك قائم على التوارث والقهر وليس على الشورى والعدل.

والثالثة: التآمر على القرآن وحمل المحكم منه على التشابه ابتغاء الفتنة وحرصا على التشرذم والاختلاف في العقائد.

### وصفوة القول:

أن الأجيال الثلاثة الأنفة الذكر كانت خالية من الجدل حول الشفاعة وغيرها من الغيبيات التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله.

والسبب في هذا - كما سبق وعرفت - أن هذه الغيبيات لا مصدر لها غير الله ورسوله، وليس أمام المؤمنين إلا الإيمان بها كما وردت، أما العقل والاجتهاد فليس لهما فيها مجال.

وقد كانت الأجيال الثلاثة المذكورة شديدة الإذعان لله شديدة الانقياد لتعاليمه وأحكامه، ولهذا لم تختلف حول غيبى قط، وإنما كانت تمثل لما كانت تسمعه فيه من الله ورسوله، وهذا هو أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقول وهو يتجه إلى الركن لتقبيله: «والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

١ - مقاصد الطالبين في علم أصول عقائد الدين/ ت/ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ج ٢ ص ٢٨.



عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها

شفاعة البقرة: آية ٤٨. وهو عام في شفاعة النبي وغيره.

والجواب: أنه لا عموم له في الأعيان لأن الضمير لقوم معينين، فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم ولا في الأزمان لأنه لوقت مخصوص، فلا يلزم عدم نفعها في غير ذلك الوقت.

وفي ضوء هذا النص من كتاب المقاصد لسعد الدين التفتازاني، ومثله من المواقف لعضد الدين الإيجي أقول: إن المعتزلة وأهل السنة بعد اتفاقهما على ثبوت أصل الشفاعة، اختلفا في الشافع والمشفوع له في الآخرة.

فقال المعتزلة: إن الشافع هو الله تعالى دون غيره، وإن المشفوع له هو صاحب العمل الصالح والتائب الذي تحققت فيه شروط التوبة.

وقال أهل السنة: إن الشافع هو الله والملائكة والأنبياء وصالح المؤمنين وإن المشفوع له هو مقترب الكبائر ومن لم يعمل في حياته عملا صالحا قط، ومات على ذلك وهو غير مشرك ولا كافر.

ومرجع هذا الخلاف بينهما إلى أن أعمال العباد من خير وشر وصالح وفساد صادرة عن إرادة مستقلة لهم واختيار مطلق من لدنهم، ومن ثم فإن المسؤولية عنها ملقاة على كواهلهم ونابعة من إرادتهم، فإذا أثاب الله أهل الطاعة فلما كسبوا من الصالحات وإذا عاقب أهل المعصية فعلى ما اكتسبوا من السيئات وهذا هو مذهب المعتزلة، وعند أهل السنة أن هذه الأفعال مخلوقة لله تعالى ولا اختيار لهم في شيء منها ولا إرادة.

وإذا كان العباد غير مشاركين في أفعالهم ولا

فرق بين الاختيارى منها والاضطرارى إلا في الظاهر وحسب، فمأهى العلة في ثوابهم وعقابهم؟ والجواب عندهم أنها الفضل بالنسبة لمن يدخلون الجنة والعدل بالنسبة لمن يدخلون النار، وفي هذا يقول قائلهم «فإن يثينا فبمحض الفضل وإن يعذبنا فبمحض العدل» ودليلهم على هذا هو أن نعم الله تعالى على عباده لا تحصى وأن آلاءه لا تستقصى وأن العباد مهما قدموا من الصالحات وإن حبسوا عليها الأعمار كلها، فلن يفوا ببعضها فضلا عن سائرها فكيف تبقى لهم أعمال تجعلهم مستحقين للجنة وما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقد روى عن النبي - عليه الصلاة والسلام - ما يدعم هذا القول ويشد أزره فقد قال: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى بفضله».

وروى عن عمر رضي الله عنه قال: «لما نزل قوله تعالى: ﴿فمَن نَّهَمُّ شَقِيَ وَسَعِيدٌ﴾ قلت: يا رسول الله فعلمنا نعمل؟ على شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يفرغ منه قال: بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقاليم يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له».

ويدفع المعتزلة هذه الحجة فيقولون:

لا ننكر أن نعم الله تعالى لا تحصى وأننا إذا حبسنا أعمارنا على شكره سبحانه على بعضها فضلا عن سائرها فلن نفى بها، لكنه لم يطلب منا ذلك لأنه خارج عن حدود استطاعتنا وإنما حدد لنا أعمالا لا تتجاوز نطاق قدرتنا، ووعدنا إن نحن آتيناهم كنا مستحقين للجنة وإن لم نأتها أو آتيناهم ما يخالفها كنا مستحقين للنار، مثلنا في هذا مثل تاجر قال لأحد زبائنه إن بضاعتي هذه تساوي ألفا، لكنني أبيعها لك بمائة لعوزك وضيق ذات



يدك، فإذا دفع الرجل المائة فهل يجوز للتاجر ألا يسلمه البضاعة حتى يدفع ثمنها الحقيقي؟

لا شك أن الجواب: لا، لأن هذا عقد والعقد شريعة المتعاقدين **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾** التوبة: آية ١١١.

ونعود إلى الشفاعة ونذكر أن اختلاف المعتزلة وغيرهم فيها ناشئ عن استحقيق العباد للثواب والعقاب فمن أثبته - وهم المعتزلة - قالوا: إن الله تعالى إذا أعطاه أهله كان عادلاً معهم، وصادقاً في وعده ووعيده لهم والعكس صحيح مائة في المائة، والظلم والخلف كلاهما محالان عليه سبحانه أما الأول فلقوله تعالى: **﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾** يونس: آية ٤٤.

وقوله في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».

وأما الثاني فلقوله تعالى: **﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام﴾** إبراهيم: آية ٤٧. وقوله: **﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** الروم: آية ٦. ولهذا كانت الشفاعة عندهم مقصورة على الطائعين والتائبين قبل حضور الأجل.

ومن نفى هذا الاستحقاق وهم أهل السنة قالوا: إن العباد لا مدخل لهم في أفعالهم ولا قدرة لهم فيها ولا إرادة، وأجازوا الشفاعة لأهل الكبائر ومن لم يعملوا في حياتهم خيراً قط.

وقد اعتمد كل مذهب من هذين المذهبين على القرآن العظيم والهدى النبوي الكريم، فكيف السبيل إلى ترجيح أحدهما على الآخر؟

وقبل الجواب: ينبغي أن يكون واضحاً في الأذهان، أن القرآن العظيم خال تماماً من الاختلاف والاضطراب، وإلا لكان من عند غير الله وهو ما قامت الحجة على استحالتها، قال تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** النساء: آية ٨٢. وقال - عليه الصلاة والسلام - : **﴿إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به﴾**.

ولا حل لهذه العقدة إلا إذا نظرنا في المذهبين المذكورين، وقارنا بينهما ورجحنا ما كان منهما أقرب إلى صريح القرآن وصريح السنة.

وحملنا الآيات والأحاديث المخالفة له على الموافقة في ضوء القواعد التي بينها العلماء المتخصصون من مثل تخصيص العام وتقييد المطلق.. وهكذا وفي موضوعنا هذا فإننا نحمل الآيات النافية للشفاعة من مثل قوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾** البقرة: آية ٢٥٤.

على الآيات المثبتة لها من مثل قوله: **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾** الأنبياء: آية ٢٨. وقوله تعالى: **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾** البقرة: آية ٢٥٥.

وقد أثار جريدة «الأهرام» اليومية قضية الشفاعة هذه، لأحد الكتاب المرموقين في مقالات أربع كان لها أثر كبير وخطير في نفوس العلماء والبسطاء على السواء وقد أخذت على هذه



١ - منها إنكار الأحاديث التي لا تؤيد وجهة نظر الكاتب في الشفاعة، والحكم عليها بأنها مدسوسة من غير ذكر لها ولا معرفة لدرجاتها، وهو ما يتنافى والمنهج العلمي الذي لا يجوز لأمثاله مخالفته.

٢ - ومنها انتزاع الآية المؤيدة لوجهة نظره كما سترى من بين أخواتها من غير مراجعته لمناسبتها ولا اطلاع على سبب نزولها وهو ما لا يتفق والمنطق السليم والمسلك العلمي القويم.

٣ - ومنها إغفالها للأشياء التي لا يجد لنفيها حجة ومنها الشفاعة العظمى وهي طلب النبي - عليه الصلاة والسلام - من ربه صرف الناس من المحشر إلى ساحة القضاء لرفع ما هم فيه من الكرب والهول، فإن هذه الشفاعة قد اتفق على ثبوتها للنبي - عليه الصلاة والسلام - الكتاب والسنة كلاهما وليس فيها ما يدعى الكاتب من التوكلية والمحسوبية، أليس هذا دليلاً على أنه يتبنى مذهباً بعينه من مذاهب المتكلمين، وهو مذهب المعتزلة ويحبس جهده كله على الانتصار له والانحياز إليه وحمل الآيات والأحاديث على تحقيق هذا الهدف ويلو هذه الغاية.

٤ - ومنها ما زعمه الكاتب من أن النبي - عليه الصلاة والسلام - شكا إلى ربه المسلمين المتكلمين على شفاعته - صلوات الله وسلامه عليه - لهم من النار على الرغم مما ارتكبوا من المعاصي والآثام فقال:

﴿يأرب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ الفرقان: آية ٣٠.

فكيف يشكوهم ويشفع لهم؟ الذي جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير وغيره أن الآية

إخبار عما كان من مشركي قريش نحو القرآن من إهماله وإثارة الضجيج عند تلاوته.. الخ.

وإذا فما جاء في الآية شيء وما فهمه الكاتب شيء آخر.

٥ - ومنها ما ادعاه الكاتب من أنه لا إمكانية للخروج من النار لمن أدخلهم الله فيها هكذا مطلقاً، ومن غير تمييز بين المشركين والعاصين من المؤمنين وقد استدل على هذا بقوله تعالى: ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ البقرة: آية ١٦٧، ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ المائدة: آية ٣٧.

﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ المؤمنون: الآيتان ١٠٧ - ١٠٨..

والجواب: أنا لا نسلم هذا الإدعاء على إطلاقه، ونرى أن عدم الخروج من النار مقصور على المشركين دون العصاة من المؤمنين، ولو أن الكاتب قرأ الآيات التي اعتمد عليها من بدايتها لأدرك هذه الحقيقة واضحة لا غموض فيها ولا إبهام، وهامى ذى:

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين..﴾ إلى قوله ﴿وما هم بخارجين من النار﴾.

﴿إن الذين كفروا لو أن لهم مافي الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم.

﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين﴾ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ إنه كان فريق من



عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ♦ فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون».

ومما سبق يتبين أن الكاتب لا يعنيه إلا أن ينتصر لرأيه، ولهذا لم يذكر من الآيات إلا ما يهيئ له هذا السبيل، والحق أن هذه الآيات كلها نزلت في المشركين خاصة أنهم شيء وعصاة المؤمنين شيء آخر، وأن ما يصدق على أحدهما لا يصدق على غيره، والدليل على هذا ما جاء في القرآن من أنه لا ينفع مع الكفر عمل، قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ الفرقان: آية ٢٣. والمؤمنون على العكس من ذلك ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ الأنعام: آية ١٦٠. وحتى هذه السيئات فإنها لا تبقى على عواتقهم بل تذهب وتزول ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ هود: آية ١١٤. وإذا انتفى التساوى بينهما في صحة الأعمال، انتفى كذلك في ديمومة الخلود في النار.

٦ - ومنها ما أنكره الكاتب من أن يكون لمحمد - عليه الصلاة والسلام - الأمر والشفاعة وحده في الآخرة، مستدلا على ما ذهب إليه بقوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ آل عمران: آية ١٢٨.

والجواب أن هذه الآية نزلت في أحد بعدما أصاب النبي - عليه الصلاة والسلام - فيها ما أصابه وقال: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدماء فنجاه الله تعالى عن التدخل في هذا الأمر، لأنه أمر تدبير وهو مقصور عليه سبحانه ولا دخل فيه لأحد كائن من كان، وإذا فلا علاقة بين الأمر

هنا والأمر والشفاعة في الآخرة.

٧ - ومنها ما ادعاه من أن الله تعالى قد أنكر على نبيه أن يشفع في أهل المعاصي لإنقاذهم مما هم فيه من العذاب، فقال:

﴿أفمن حق عليه العذاب أفأنت تتقذ من في النار﴾ الزمر: آية ١٩.

والجواب: أن هذه الآية كما يقول القرطبي وغيره نزلت في المشركين من أهل مكة عامة أو في أبي لهب وابنه خاصة، ولا خلاف بيننا وبين الكاتب في أنهم خالدون في النار لا يخرجون منها وليس للنبي ولا لغيره أن يسأل لهم الهداية بعدما أعلمه الله أنه أراد لهم الشقاوة والضلال.

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ التوبة: آية ١١٣.

٨ - ومنها ما نسبته الكاتب إلى د. المطعنى من أن المعتزلة نفوا الشفاعة في الآخرة مطلقا، وهذا غير صحيح فقد أجمعت الفرق الإسلامية ومنهم المعتزلة على ثبوت أصل الشفاعة في عشرات الآيات من القرآن، كما هو واضح مما نقلناه من المقاصد والمواقف، غير أن المعتزلة قصروها على الله تعالى وهذا هو الفرق بينهم وبين غيرهم من الفرق الأخرى.

٩ - ومنها ما يدعيه د. المطعنى والمهدة على الكاتب من أن إثبات الشفاعة في الآخرة مخالف للقرآن، وأنها لو حدثت لكانت نوعا من المحاباة والظلم والمحسوبية كيف؟ وعشرات الآيات تثبت الشفاعة المأذون فيها من قبل الله تعالى، وليس على د. المطعنى إلا أن يفتح المصحف ليرى هذه الآيات الميثوقة في السور المكية والمدنية على السواء.



يبقى قوله: ولو حدثت - أى الشفاعة - لكانت نوعا من المحابة والظلم والمحسوبية كيف؟ والشفاعة العظمى كما سبق وعرفنا ليس فيها شيء مما قاله، وقد تضافرت على ثبوتها الأحاديث الصحيحة.

١٠ - ومنها ما أبداه السلطان صلاح الدين من التسامح مع الملك الصليبي بعدما وقع أسيرا في يده على الرغم من وحشيته وجرائمه تجاه المسلمين في بيت المقدس، فقد أحسن إليه وعالجه وأطلق سراحه، فليت شعري كيف يثني الكاتب على سماحة الرجل وحسن فعله، في الوقت الذي يأبى فيه على ربه أن يسامح من يشاء من عصاة عباده.

#### أليس هذا تناقض؟

١١ - ومنها ما ادعاه الكاتب من أن المقام المحمود وهو مقام اختص الله به نبيه محمدا - عليه الصلاة والسلام -، لكنه ليس هو الشفاعة العظمى كما يقول المفسرون وإنما هو البشارة العظمى.

ونحن نقول: إن البشارة العظمى قد أعطاها الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - منذ اليوم الذي أرسله فيه.

«يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ♦ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ♦ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا» الأحزاب: الآيات ٤٥ - ٤٧.

فما الذي يضيفه إليه المقام وقد اعتلى منصب البشارة وكيف يكون هذا المقام قد اختص الله به نبيه وقد شاركه فيه الملائكة «إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ♦ لا يسمعون

حسبها وهم فيما اشتتت أنفسهم خالدون ♦ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون» الأنبياء: الآيات ١٠١ - ١٠٣.

وأخيرا وليس آخرا: كيف يسأل النبي ربه ويأمر أصحابه أن يسألوه سبحانه له وهو قد أعطاه إياه؟ أليس هذا تحصيل حاصل؟

إن ما ذهب إليه المفسرون من أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى في رأينا هو الذي يتفق وصريح القرآن وصحيح السنة النبوية المطهرة.

وبعد فقد عرضنا موقف السلف من الشفاعة وعرضنا موقف الخلف كذلك، وانتهينا إلى أن الموقف الأول كان أهدي سبيلا وأقوم قيلا، وانتقلنا إلى المقالات الأربع التي نشرتها جريدة «الأهرام» القاهرية لأحد علمائنا البارزين وكتابتنا المرموقين فأبدينا بعض الملاحظات عليها.

وقد تبين لنا أن صاحبها تبني مذهب المعتزلة ولم يخرج عنه قيد شعرة ومعنى هذا أنه لم يضيف جديدا يذكر له في حديثه عن الشفاعة سوى أنه أيقظ فتنة كانت قد لفظت آخر أنفاسها منذ مئات السنين.

ولو أنه لم يثر قضية الشفاعة أصلا لكان خيرا له وللمسلمين الذين تعودوا أن يستمعوا لما ينشره ويذيعه، ولو أنه إذا أثارها تبني موقف السلف من أصحاب النبي - عليه الصلاة والسلام - وأتباعه لكان أجدر بالنسبة له ولعشاق صوته وقلمه، ولما اضطر إلى الإعلان عن إغلاقه للحديث في هذه القضية التي لم يعد لها وجود إلا في المطولات من كتب الكلام.

وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.



## ردا على د. مصطفى محمود

د. محمد فؤاد  
شاكر \*

### على رسلك يا معالي الدكتور

الإسلام دين اليقين وشريعته بسماحتها وخيرها جاءت واضحة جلية لا ريب فيها، فأعطت للعقل متسعاً للتفكير والتدبر، ولكن حذرت من شطط الهوى وميل النفس وعيث الزيف.. والإنسان بكل معطياته ومقدراته مخلوق له حدوده وإمكانياته وله أيضاً زلاته وميوله إلا من رحم ربي بقدرته وحوله، ومن المسلم به أن الإسلام يعتمد على راثنين أساسيين لنتجه وتشريعه وهما الكتاب والسنة «فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» النساء: ٥٩. وقال رسول الله ﷺ عن مالك بن أنس «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله» أخرجه مالك في الموطأ والحاكم في المستدرک.

عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم» المائدة: ٣٦، ٣٧. ومن ظاهر النص يتضح أن الخالدين في النار هنا هم الكافرون ومن المسلم به أن الكافر خالد في النار ولن يخرج منها.

الآية الثانية: قول الله تعالى: «ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون» المؤمنون: الآيتان ١٠٧ - ١٠٨.

وكما فعل الدكتور في الآية الأولى فعل في هذه الآية، ولم يأت لنا ببيان عن حال هؤلاء الذين يطلبون الخروج من النار ولو أنه عرض القضية بأمانة لذكر قبلها قول الله تعالى: «ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين» المؤمنون: الآيتان ١٠٥، ١٠٦. فهؤلاء بنص الآيات كفار، لم يؤمنوا بآيات الله وكذبوا بها فهم خالدون في النار يكفروهم ولن يخرجوا منها.

الآية الثالثة: قول الله تعالى: «كذلك يريهم أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار» البقرة: آية ١٦٧. وليت الدكتور عرفنا من هم الذين يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم؟ ليته ذكر تعريف القرآن الكريم لهم وهم المشركون وأتباعهم حيث قال الله تعالى قال آية استشهاد الدكتور «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب» سورة البقرة آية ١٦٦. إذن الخالدون في النار هنا المشركون وأتباعهم.

ولا تعارض مطلقاً بين كتاب الله وصحيح السنة المحمدية المشرفة، والذي ينبغي أن نثبتته ونؤكد أنه السنة المطهرة بوحى، حيث قال الله تعالى: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» وأن الوحي ذكر لقول الله تعالى «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» وأن الذكر محفوظ بقول الله تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فيؤكد من هذا أن الله سبحانه وتعالى قد تولى حفظ الإسلام في روافده. فحفظ القرآن الكريم، وحفظ سنة نبيه ﷺ في أحكامها وتشريعاتها ولترد على مقال الدكتور المنشور في الأهرام عدد السبت ١ من مايو ١٩٩٩ فنقول:

أولاً: استشهاد الدكتور بمجموعة من الآيات القرآنية الكريمة ليستدل بها على خلود كل من دخل النار ولا يخرج منها أحد من الخلق أبداً ولنعرض لهذه الآيات:

الآية الأولى: قول الله تعالى: «يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم» المائدة: آية ٣٧. والذي ينظر إلى هذا البتر الجراحي الذي أجراه الدكتور للآية، يشعر بفداحة الميل، فلقد اقتطع الدكتور هذا الجزء ولم يذكر القضية من بدايتها. حيث يقول الله تعالى: «إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم



الآية الرابعة: قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ الزمر: آية ١٩، والآية كأخواتها مبتورة عن غيرها وليت الدكتور عرفنا من الذين حق عليهم كلمة العذاب؟ ولو ذكر ما ذكره القرآن قبلها لوضحت الصورة تماما، وهو قول الله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ سورة الزمر: آية ١٥. ثم تتحدث الآيات بعدها عمن نجاهم الله وهذاهم وتختتم بأنه من حق عليه كلمة العذاب لن يخرج من النار، وكنت أرجو أن يثبت لنا الدكتور قول الله تعالى فيمن حق عليهم كلمة العذاب "ولكن حققت كلمة العذاب على الكافرين" الزمر: آية ٧١. وقوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يس: آية ٧٠. وبعد أن تبين لنا أن الاستشهادات التي استدلت بها سعادة الدكتور جاءت في غير موضعها، وأن الخلود في النار لا يكون إلا للكافرين، أتحداه لو استشهد بآية واحدة في القرآن تذكر أن الموحد العاصي يخلد في النار والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: آية ٤٨.

ثانيا: وقف الدكتور موقفا في غاية الخطورة من السنة المشرفة، حيث قرر بجرة قلم منه إلغاءها. والاعتماد فقط على القرآن الكريم وهو منحدر ضحل أوقع نفسه فيه مدعيا أن كثيرا من السنة مخالف للقرآن، وذلك دون بحث أو دراسة أو تأويل، فهل هذا يليق بالأمانة العلمية؟ فمن الذي قال لك أن صحيح السنة يتعارض مع القرآن وهما من مشكاة واحدة، أم أن استخدامك للمتشابه من القرآن جرك إلى ما جر به غيرك من قبل فجادلوا بغير علم وأنكروا ما علم من الدين بالضرورة قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ آل عمران: آية ٧. أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب فقال: «إنه سيكون قوم من هذه الأمة يكذبون

بالرجم، ويكذبون بالدجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا» أحذرك يا معالي الدكتور ونفسي من إنكار السنة الثابتة الصحيحة التي لاقت القبول من سلفنا حتى الآن ولم يشغب عليها أحد إلا الفرق الضالة كالمعتزلة لأن إنكار السنة وردها كالكذب تماما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلم يادكتور أن السنة ليست نهبا مستباحا لكل من لم يوافق الأهواء، فعلم الجرح والتعديل له رجاله وأساطينه وأحسبك تسمع نصحي فتعكف ما تبقى لك من عمر لتتعلمه وتصلح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فوات الأوان.

ثالثا: موضوع إنكار الشفاعة: من المتعارف عليه والثابت يقينا أن الشفاعة للموحدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جاءت بنص القرآن في آيات كثيرة نذكر منها: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ مريم: آية ٨٧. ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ طه: آية ١٠٩. ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ سبأ: آية ٢٣. ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المدثر: آية ٤٨. ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ يونس: آية ٣.

أما أحاديث الشفاعة فقد جاءت في أعلى درجات الصحة والعمل بها واتباعها التزاما بأمر الله الذي قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وإنكارها شقاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء: آية ١١٥.

ولنذكر من هذه الأحاديث لنذكر الدكتور بها:

- أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإنى خبات دعوتي شفاعة لأمتي إلى يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا» البخاري ح ٧٤٧٤ ومسلم ح ٣٣٨.



- أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عمران بن الحصين عن النبى ﷺ قال: «يخرج الله من النار قوماً بشفاعة محمد ﷺ فيدخلهم الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين» البخارى ح ٦٥٦٦ ومسلم ح ٣٢٠.

- أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبى ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من نفسه» البخارى ح ٦٥٧٠ وأحمد فى مسنده ج ٢ ص ٤٩٤.

- أخرج البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليخرجن قوم من النار قد محشتهم النار فيدخلون الجنة بشفاعة الشافعين يسمون الجهنميين» البخارى ٦٥٧٣ ومسلم ح ٢٩٩. ونكتفى بهذا القدر والسنة زاخرة عامرة بما يؤكد وجود الشفاعة للرسول ﷺ وللملائكة وللمؤمنين.

رابعا: لعل الخلاف قد استهوى الدكتور فجره إلى القول فى كتاب الله بهواه فهو يفسر قول الله تعالى: «عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا» بقوله: هو البشارة وليس الشفاعة وأرجو أن تتنازل يادكتور لتسمع قول رسول الله ﷺ وكل قول غير قوله يؤخذ منه ويرد عليه، واسمع إلى قول أصحابه وهم أعلم الناس بمعنى القرآن ومرماه.

- قول رسول الله ﷺ فى المقام المحمود:

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن كعب بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يبعثك الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ويكسونى ربي عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود».

- حديث عبدالرازق: (إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه، قال النبى ﷺ فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى، فأقول أى

رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته لى فيقول الله عز وجل صدق ثم اشفع، فأقول يارب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض قال فهو المقام المحمود).

- أخرج البخارى عن ابن عمر- رضى الله عنهما - قال: (إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا).

وقال ابن عباس: المقام المحمود: مقام الشفاعة.

وقال بذلك مجاهد والحسن البصرى وغيرهما.

خامسا: أراد الدكتور أن يجرد رسول الله ﷺ من كل ميزة فاستدل على ذلك بقول الله تعالى: «ليس لك من الأمر شيء» وقد خالف فى ذلك مراد الله فى الآية، حيث كان جديرا به أن يعود أولا إلى تفسيرها وبيانها ليستدل بها على قوله وأصح ما يفسر به القرآن والسنة، فلقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ كسرت ربايعيته يوم أحد وشج فى وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل؟ فأنزل الله: «ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون». آل عمران: آية ١٢٨. فليست الآية دلالة على عدم إعطاء رسول الله أفضلا فى الدنيا ومنفعة فى الآخرة لأمتة وأخيرا هل نضبت كل مسارب الحديث؟ ولم يعد أمام المسلمين من قضايا وهم يذبحون الآن ويقتلون إلا إنكار الشفاعة وإهالة الأحقاد والضغائن على السنة وصاحبها.

فيا سعادة الدكتور أدعو الله لى ولك وأنت الطبيب المتمكن أن يشخص لنا عللنا وأن يكشف عنا داءنا وأن يصف لنا دواءنا وأن يسمعنا بسماعة بصيرة لدلائل الخير ليعرف كل دوره فى هذه الحياة.

إنه نعم المولى ونعم النصير وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

✽ أستاذ الحديث بجامعة عين شمس



# الحج أشهر معلومات

**حول** ما أثير مؤخراً في

بعض الصحف من شبهات حول

مسألة وقت الحج والإحرام به..

تنشر «الحوار» هذه الدراسة التي

تبين حقيقة هذه القضية التي

تمس صلب الدين وجوهره.

**د. محمد السعيد مشتهري**

واسماعيل - عليهما السلام - يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: الآيتان: ١٢٧ - ١٢٨. ويقول الله تعالى في سورة الحج: الآيات من ٢٧ - ٢٩: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ..﴾ فيفهم من قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ أن هذه الأيام المعلومات عرقها إبراهيم عليه السلام وأداها في الشهر المختص بأعمال الحج وهو شهر ذي الحجة، لأنه لا يعقل أن يؤديها في شهر يسمى آخر. وقد أجمل القرآن الأيام المعلومات هنا، لأن السياق لا يتحدث عن أعمال الحج (فموضع ذلك في سورة البقرة حيث يقول تعالى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ (١٩٦ - ٢٠٣) ففرض الله تعالى على إبراهيم وبنيه - عليهم السلام - حج البيت في شهر ذي الحجة وجعل لهم مساحة زمنية قبله وبعده يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم أثناء رحلة السفر البعيد ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ وهذه المساحة الزمنية هي

يحدثنا القرآن الكريم عن وقت الحج بقوله تعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة: آية ٩٧. وفهم هذه الآية مرتبط ببيان عدة حقائق يجب أن نسلم بها أولاً:

١ - أن الشهور العربية نظام توقيت إلهي منذ أن خلق الله السموات والأرض وهو أقدم وأضبط نظام للتوقيت عرفته البشرية والعرب بصفة خاصة. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ التوبة: آية ٣٦. ويفهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ أن الأشهر الحرم معلومة بأسمائها عند العرب (وبالتالي أسماء بقية الأشهر) والدليل هو قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ﴾ ثم قوله تعالى بعد ذلك ﴿فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ فالعلم بأسماء الشهور العربية من دين الله القيم ولذلك فهي من الحقائق الموروثة المحفوظة بحفظ الله تعالى لها.

٢ - وجود شهر من هذه الأشهر الاثني عشر باسم ذي الحجة يدل على أن هذا الشهر هو المختص بأداء مناسك الحج فيه منذ أن فرض الله تعالى على الناس حج البيت من عهد إبراهيم



الأشهر الحرم والتي فيها يحرم الاعتداء على الحجيج بأية صورة من الصور.

٣ - هناك حقائق نظرية وعملية تناقلتها الأجيال في كل عصر ولا يمكن فهم الآيات القرآنية (المتعلقة بها) إلا من خلال الإيمان والتسليم بها وأولى هذه الحقائق الأسماء التي علمها الله تعالى لأدم ﷺ ومدلولاتها ومنها أسماء الموجودات فكلمة «نهر» (مثلاً) في قوله تعالى «تجري من تحتها الأنهار» لها مدلول معنى عند السامع تعلمه من نقل الأجيال له ولا يوجد تفصيل له في القرآن، كذلك كلمة صاعقة (مثلاً) في قوله تعالى: «فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون» لا يوجد تفصيل لمعنى الصاعقة في القرآن الكريم، وإنما تعلمنا معناها من نقل الأجيال لها، كذلك كلمة «صلاة» لا نجد تفصيلاً لكيفية أدائها في القرآن وإنما نجد إشارات إلى ذلك كقوله تعالى: «والركع السجود»، وقوله تعالى: «قائماً يصلى في المحراب».. ولقد ورثت الأمة أسماء الصلوات الخمس: الفجر، الظهر، العصر، المغرب، العشاء، ولا نجد في كتاب الله بياناً لهذه الأسماء إلا إشارة لبعضها وفي الحديث عن موضوع غير موضوع الصلاة كقوله تعالى في آية الاستئذان: «... من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء» النور: آية ٥٨، فهذه الإشارة كافية للإيمان بصدق المنقول إلينا من أسماء الصلوات وكيفية أدائها وأنها من الحقائق العملية الموروثة والتي أيدها القرآن في جانب العبادات كذلك إذا ورثت الأمة أسماء الأشهر العربية دون تفصيل لها في القرآن ثم يرد في القرآن اسم من أسماء هذه الأشهر وهو شهر رمضان فهذا، يدعونا إلى التسليم والإيمان وصحة صدق أسماء الشهور العربية المنقولة إلينا من لدن إبراهيم ﷺ ومعرفه العرب لها منذ ذلك التاريخ (على الأقل) وأنها من الحقائق النظرية الموروثة التي أيدها القرآن.

**فإذا سلمنا بما سبق نقول:**

الحج عبادة عرفها العرب وتناقلتها الأجيال دون

تحريف في زمانها أو مكانها وإنما حدث التحريف والتبديل والتغيير في توجه بمناسك الحج لغير الله تعالى وكان ذلك قبل الإسلام وأدلة ذلك:

#### أولاً - من حيث الزمان:

١ - قول الله تعالى «الحج أشهر معلومات» وقوله تعالى: «في أيام معلومات» ولاستحالة كون الحج أشهراً «لأن الحج فعل الحاج وفعل الحاج لا يكون أشهراً» دل ذلك على أن المقصود هو فعل الحج في أشهر معلومات وليس هو الأشهر المعلومات، فإذا قال الله تعالى في النص العام السابق الإشارة إليه في سورة الحج: «ويذكروا اسم الله في أيام معلومات» دل ذلك على أن الأيام المعلومات هي في الأشهر المعلومات، وإذا كان فعل الحج اختص به شهر ذي الحجة، دل ذلك على أن الأيام المعلومات هي في شهر ذي الحجة، فإذا نقلت الأجيال هذه الأيام المعلومات من لدن إبراهيم ﷺ وإلى يومنا هذا على أنها العشر الأوائل من ذي الحجة فبأي حق نخالفها؟! خاصة أن قول الله تعالى عن الأشهر أنها معلومات وعن الأيام أنها معلومات يدل على أن هذه الأشهر وهذه الأيام بالنسبة لسامعي القرآن لأول مرة معروفة ومعلومة وحاشا لله تعالى أن يخاطبهم بشيء فيه حكم تشريعي وهم يجهلونه، فالشرع في هذه المسألة لم يأت على خلاف ما عرفوه وإنما جاء مقررًا أو مصححاً له.

وإذا كان نقل الأجيال لفعل الحج في العشر من ذي الحجة (أى ليس في شهر ذي الحجة بأكمله والآية تقول: «الحج أشهر» والحج في ذي الحجة بعض الشهر) فإن ذلك يجوز لأنه يمكن أن ينزل بعض الشهر منزلة كله. كقولك رأيتك شهر يناير أى في ساعة أو يوم منه ولو قال الله تعالى: الحج ثلاثة أشهر معلومات لكان للسؤال موضع!

٢ - قوله تعالى: «فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى» البقرة: آية ١٩٦. سياق الآية من أوله يتحدث عن المساحة الزمنية التي ذكرناها من قبل. حيث قلنا إن الحجاج الذين



يأتون من كل فج عميق أمن الله تعالى لهم سفرهم بأن جعله في الأشهر الحرم، حيث يحرم فيها القتال بين الناس، ومع ذلك فإن حدث اعتداء فعليهم أن يقابلوه بالمثل والآية (البقرة ١٩٤) تدل على ذلك.

هذه المساحة الزمنية من الأشهر، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة سماها الله تعالى بأشهر الحج، لأن فيها يخرج المسلم من بيته حاجا قاصدا بيت الله الحرام، والآية التي معنا تتحدث عما يمنع من تمام حجه هذا (أو عمرته) حيث يقول الله تعالى في أولها: **﴿وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾** فالآية تتحدث عن موانع تحول دون وصول الحاج إلى البيت الحرام لأداء مناسك الحج في الوقت المحدد لها وقول الله تعالى بعدها: **﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾** دليل أولا: على أن من محظورات الإحرام حلق الرأس للحاج. وثانيا: على أن الحاج يمكن أن يخرج من بيته محرما بالحج في أي وقت من أشهر الحج تقريبا إلى الله تعالى (وقبل المنسك الرئيسي وهو الوقوف بعرفة) فإذا حدث له مانع من إحصار أو مرض (وهو محرم) فلا يحلق شعره (تحللا من إحرامه) حتى يبلغ الهدى محله. وهذا أيضا من أسباب تسمية أشهر ما قبل ذى الحجة بأشهر حج حيث يكون فيها الحاج محرما بالحج، وقد ألزم نفسه بمحظورات الإحرام.

وقول الله تعالى: **﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمِنْ تَمَتَّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾** يفهم منه أنه إذا زالت الموانع (من إحصار أو مرض) وأمن الحاج ووصل إلى البيت الحرام، وأراد أن يتمتع بالعمرة (أي يعتمر ثم يتحلل من إحرامه ويقيم بمكة حللا إلى وقت الحج) فعليه هدى **﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾** لماذا؟ لأنه يكون مستمتعا بمحظورات الإحرام فيما بين تحلله من العمرة إلى إحرامه بالحج، فالتمتع يتعلق حكمه بفعل العمرة مع الحج في أشهر الحج. وقوله تعالى: **﴿إِلَى الْحَجِّ﴾** أي متربصا إلى وقت الحج، فـ«إلى» تستخدم للغاية إلى أيامه المعلومات

كما تدل «إلى» على وجود زمن بين العمرة والحج لا يكون فيه المعتمر محرما وهو زمن الإحلال، ولو كانت أعمال الحج يمكن أن تؤدي في أي وقت من أشهرها ما كان لقول الله تعالى **﴿إِلَى الْحَجِّ﴾** معنى وما جعل الله تعالى على المتمتع كفارة لانتظاره متمتعا إلى وقت الحج، فانتظاره يعني أن أعمال الحج لها وقت محدد لا يمكن تقديمه أو تأخيرها إلا في حدود ما نص القرآن عليه، كقوله تعالى: **﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾** البقرة: آية ٢٠٣.

### ثانيا - من حيث المكان:

١ - قول الله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا..﴾** البقرة: آية ١٥٨.

فقوله تعالى: **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾** دليل على أن المخاطبين بهذه الآيات يعلمون جيدا أن السعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج (من قبل) وعليهم الآن أن يصححوا التوجه به إلى الله تعالى وحده لا شريك له فهما من شعائر الله.

٢ - قول الله تعالى: **﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ..﴾** البقرة: آية ١٩٨. الله تعالى يخاطب العرب سامعي القرآن لأول مرة عن أماكن يعرفونها جيدا كمناسك للحج، وإذا حدث من بعضهم عدم التزام بهذه الأماكن في وقت من الأوقات ولسبب من الأسباب فإن هناك فريقا ملتزما بقدسية هذه الأماكن، ولذلك وجه الله تعالى نظر المسلمين إلى أن يتبعوا في مناسكهم هذا الفريق الملتزم وما تعارف عليه العرب ونقلته لهم الأجيال، فقال الله تعالى: **﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾** ولذلك أعقبه بقوله تعالى: **﴿وَاسْتَقْبِرُوا اللَّهَ﴾** أي مما كنتم تشركون به عند أداء هذه المناسك في جاهليتكم. وكلمة الناس في الآية تعني: أفيضوا أيها الحجاج من مكان أفاض جنس



الناس منه قديما وحديثا وهو عرفة، **«فإذا أفضت من عرفات»**.

### ثالثا: الإحرام بالحج

سبق أن أشرت إلى مسألة الإحرام بالحج في أكثر من موضع من الحديث السابق وأضيف إلى ما سبق ما يلي:

١ - مفهوم الإحرام بالحج في قول الله تعالى **«الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج»**.

هذه الآية قد سبق بيان الجزء الأول المتعلق بزمان الحج منها في مقدمة هذه الدراسة وهو قوله تعالى: **«الحج أشهر معلومات»** أي الحج في أشهر معلومات والجزء الثاني من هذه الآية يتعلق بالإحرام بالحج وهو قول الله تعالى **«فمن فرض فيهن الحج»** أي من ألزم نفسه الحج بالإحرام في أي وقت من هذه الأشهر المعلومات (وقبل المنسك الرئيسي للحج وهو الوقوف بعرفة) فعليه أن يكف عن محظورات هذا الإحرام ومنها: الرفث، الفسوق، والجدال.

والإحرام حالة كونية يكون عليها الحاج، تلزمه بالكف عن فعل ما حرمه الله تعالى عليه حالة كونه محرما. ونفهم ذلك من قول الله تعالى في سورة (المائدة: آية ٢) **«يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا»** فقلوه تعالى: **«فإذا حللتم فاصطادوا»** مع قوله تعالى في أول السورة: **«غير محلي الصيد وأنتم حرم»** دليل على أن الحج له إحرام والإحرام يلزم الحاج بتجنب محظورات منها صيد البر فيقول الله تعالى في نفس السورة الآية ٩٦: **«أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما»** إذن فالإحرام بالحج حالة تتعلق بذات الحاج وليست مرتبطة بزمان ولا مكان محدد.

والبيت والبلد الحرام مكان محدد جغرافيا يحرم فيه في جميع الأوقات صيد البر ويأمن فيه للناس على أنفسهم.

والشهر الحرام مساحة زمنية يحرم فيها القتال بين الناس، ولا يفهم من قوله تعالى: **«فمن فرض فيهن الحج»** أي من ألزم نفسه أداء مناسك الحج في أي وقت من أشهر الحج لأن أعمال الحج في أيام معلومات من شهر ذي الحجة كما ذكرنا سلفا.

والإحرام بالحج من الحقائق العملية الموروثة التي عرفها العرب من لدن إبراهيم عليه السلام. نفهم ذلك أيضا من أحكام الحج عامة التي وردت في سورة الحج (الآيات ٢٧ - ٣٧) فبعد أن أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام، وبنه أن يؤذن في الناس بالحج، وأن يذكروا اسم الله في أيام معلومات ويذبحوا الذبائح ويطعموا البائس الفقير، أمرهم بالتحلل من إحرامهم والوفاء بنذورهم والطواف بالبيت الحرام قال تعالى: **«ثم ليقضوا تقصيرهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق»**.

والقول بأن هناك من الفقهاء من يرى جواز الحج في أي وقت من الأشهر الحرم بل في غير هذه الأشهر قول لا دليل عليه لأن الفقهاء الذين تحدثوا عن جواز الحج في أشهر الحج الثلاثة (كلها أو بعضها) إنما تحدثوا عن الجزء الثاني من الآية السابق الإشارة إليها وهو قول الله تعالى: **«فمن فرض فيهن الحج»** أي عن الإحرام بالحج وليس عن أعمال الحج ومناسكه. وهذه هي أقوالهم من مذاهبهم (وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر دمشق ط٢، ج٣ ص٦٣):

المالكية: أشهر الحج عندهم هي الأشهر الثلاثة كلها فهي كلها محل للحج (لاحظ قولهم محل للحج ثم تفسيرهم لذلك بعد) لعموم قوله تعالى: **«الحج أشهر معلومات»** فيقولون: ويبتدئ وقت الإحرام من أول شوال في أول ليلة عيد الفطر، ويمتد لفجر يوم النحر. فمن أحرم قبل فجر الأضحى بلحظة وهو بعرفة فقد أدرك الحج وبقي





وكما قلنا إن الحقائق العملية التي تتقلها الأجيال نقبلها كتشريع إذا جاء القرآن يؤيدها، والقرآن الكريم جاء بأعمال الحج من حيث مكانه وزمانه تفصيلاً: الطواف بالبيت الحرام، السعى بين الصفا والمروة، الوقوف بعرفات والإفاضة منها إلى المزدلفة (المشعر الحرام)، التحلل وذبح الذبائح.

فإذا نظرنا إلى الموتى من الحجيج الذين يموتون عند رمى الجمار (أو في الطريق إليه) وأن ذلك لا يحدث عند الوقوف بعرفات، المنسك الأساسي من مناسك الحج والذي يجتمع فيه كل الحجيج في صعيد واحد، فإن ذلك يدعونا إلى وقفة وإني اقترح ما يلي:

١ - الحج هو العبادة الوحيدة التي يشترط لأدائها الاستطاعة، فمن لم يستطع فليس عليه حج والذي يقتضيه ليحج يكلف نفسه فوق طاقته ويقع في المحذور.

٢ - عدم السماح لمن حج مرة أن يحج أخرى إلا بعد عدة سنوات للسماح لمن لم يحج بالحج وذلك بالاستعانة بالحاسب الآلي عند إعطاء التأشيرات والتنسيق بين الحكومة السعودية والبلاد الإسلامية لتحقيق ذلك.

٣ - توعية المسلمين بمقاصد الحج التعبديّة والحكمة من الإحرام والحكمة من إلزام النفس بعدم ارتكاب محظورات هذا الإحرام، كتحرير الجدل في الحج مثلاً.. لماذا؟ لتكون النفس في سلام مع الوجود حولها فتصفي لعبادة الله تعالى وحده، فالإله الذي حرص على صفاء نفس المسلم الحاج وحرّم عليه مجرد الجدل في إحرامه وأداء مناسكه، هل يعقل أن تكون من شعائره تصرفات وأعمال تفضي إلى إزهاق هذه النفس؟!؟

«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

عليه الطواف والسعى. لأن الركن عندهم الوقوف بعرفة ليلاً وقد حصل. وعن أحرم قبل أشهر الحج يقولون يكره الإحرام قبل بدء شوال لكنه ينعقد ويصح عندهم.

الحنفية والحنابلة: أشهر الحج عندهم هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، فالحج يفوت بمضي عشر ذي الحجة، وما بعد عشر ذي الحجة ليس من أشهره لأنه ليس بوقت لإحرامه ولا لأركانه ولا يمتنع التعبير بلفظ الجمع عن شيئين وبعض الثالث كالقروء الثلاثة يحسب منها الطهر الذي طلقها فيه.

الشافعية: أشهر الحج عندهم شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة وهو إلى أن يطلع فجر يوم النحر لكنهم رأوا أنه إن أحرم شخص بالحج في غير أشهره انعقد إحرامه بالعمرة لأنها عبادة مؤقتة. والحنفية: يرون أن إحرام الحاج من بلده أفضل إن كان في أشهر الحج وأمن على نفسه لقول الله تعالى: «وأنتموا الحج والعمرة لله».

رابعاً: المنسك الرئيسي للحج هو الوقوف بعرفة

١ - قول الله تعالى في سورة التوبة: آية ٣:

«وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» وقوله تعالى في سورة (البقرة: ١٩٨) «فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ» يفهم من الآيتين أن إعلان الله ورسوله الناس جميعاً (مسلمهم وكافرهم) أن عهد المشركين قد انتقض يكون وهم مجتمعون في صعيد واحد، وهذا لا يتحقق في مناسك الحج إلا عند الوقوف بعرفة حيث يجتمع الحجيج في مكان واحد (لا تحده حدود) مكبرين لله تعالى وحده لا شريك له، وفيه يمكن إعلام الناس جميعاً بأي خبر أو موعظة.

ونلاحظ أن وقوف الملايين من الحجيج في عرفات لا يتسبب (نتيجة للزحام) في موت بعضهم، فالمساحة شاسعة تتسع لذلك، وإنما تظهر المشكلة في الأماكن التي تحدها حدود وبصفة خاصة عند تدفق الحجيج لرمي الجمار.





## وعلى الحبيب صلاتنا

شعر: عبدالفتاح الطاهر على الخطيب

تاه النهــــــــــــــــار عن الطريق \*\*\*\* وراح يبــــــــــــــــحث عن دليل  
والناس عاشوا في جــــــــــــــــحيم \*\*\*\* البؤس والقــــــــــــــــهر والوبيل  
ومخالب الكفر البــــــــــــــــفيض \*\*\*\* ووطأة الجــــــــــــــــهل الطويل  
تدمى عــــــــــــــــق ولهم مــــــــــــــــوتى \*\*\*\* رضيت بما صنع الجــــــــــــــــهول  
صنع الإله من الحــــــــــــــــجارة \*\*\*\* وارتجى منه القــــــــــــــــبـول  
واللات والعزى وغــــــــــــــــيرهما \*\*\*\* فبئس العــــــــــــــــقــــــــــــــــول  
أما التناحر والتطاحن \*\*\*\* والتبــــــــــــــــهاهى بالأصــــــــــــــــول  
حدث ولا حــــــــــــــــرج عليك \*\*\*\* فإنه شــــــــــــــــرح يطول  
وهنا أتى الهــــــــــــــــادى ليهــــــــــــــــد \*\*\*\* سبيهم إلى قصــــــــــــــــد الســــــــــــــــبيل  
ويبــــــــــــــــدد الليل البــــــــــــــــهيم \*\*\*\* ويطلع الصــــــــــــــــبح الجمــــــــــــــــيل  
ويزيل عن هذا الوجــــــــــــــــود \*\*\*\* غشــــــــــــــــاة الفكر العــــــــــــــــليل  
ويعيد للدينا الضــــــــــــــــياء \*\*\*\* فلا ضــــــــــــــــلال ولا ضــــــــــــــــليل  
وعبادة الرحمن ترقى \*\*\*\* بالنفــــــــــــــــوس وبالعــــــــــــــــقــــــــــــــــول  
وتعيد للدينا الصــــــــــــــــفاء \*\*\*\* فلا اضطراب ولا ذهول  
بسماحة الإسلام يــــــــــــــــغدو \*\*\*\* الخلق فى ظل ظــــــــــــــــل ليل  
ظل من الإيمــــــــــــــــان يــــــــــــــــبقى \*\*\*\* فى النفــــــــــــــــوس فلا يزول  
صلى عليك الله يا \*\*\*\* خير الخلائق يا رسول  
أنت المشفع يا حــــــــــــــــبيبى \*\*\*\* والشــــــــــــــــفيع لدى الجــــــــــــــــليل  
فاسأل إلهك أن يعــــــــــــــــيد \*\*\*\* سد لأمتى المــــــــــــــــجد الأئيل  
ويطهر القــــــــــــــــدس الشــــــــــــــــريف \*\*\*\* من الغــــــــــــــــزاة من الدخــــــــــــــــيل  
وتعــــــــــــــــود شــــــــــــــــمس العــــــــــــــــز \*\*\*\* تمحــــــــــــــــو ظلمة الليل الطويل  
«وعلى الحبيب صلاتنا» \*\*\*\* ولخــــــــــــــــالق الشكر الجــــــــــــــــزيل



## البشير النذير

قال تعالى: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ♦ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ♦ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ♦ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم و توكل على الله وكفى بالله وكيلاً»  
الأحزاب: ٤٥ ٤٨



الدكتور/ مسعد محمد الديب

## السمع والبصر والفؤاد

لما كانت هذه الأعضاء الثلاثة أشرف الأعضاء وملوكها والمتصرفة فيها، والحاكمة عليها، خصها سبحانه وتعالى بالذكر في السؤال عنها، فقال: «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا»، فسعادة الإنسان بصحة هذه الأعضاء الثلاثة، وشقاوته بفسادها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يسأل الله العباد فيما استعملوا هذه الثلاثة: السمع والبصر والفؤاد، والله تعالى أعطى العبد السمع لسمع به أوامر ربه ونواهيه وعهوده، والقلب ليعقلها ويفهمها، والبصر ليرى آياته فيستدل بها على وحدانيته وربوبيته، فالمقصود بإعطائه هذه الآلات العلم وثمرته ومقتضاه.

ابن القيم - مفتاح دار السعادة ص ١١٦

## صلاة الاستخارة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري. أو قال: عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه - وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به، قال: ويسمى حاجته»

رواه البخاري



## القتل الخطأ

حدث الشافعي عن مالك بن أنس قال:

«الخطأ عندنا: أن يرمى الرجل المعراض (١) فيصيب إنساناً، أو يرمى طائراً فيصيب إنساناً»  
 «فأما رجل ضرب رجلاً بخشبة فقتله، أضربه ضربة كما ضربه فإن مات، وإلا: قتله بالسيف، أو لطمه فمات: ألطمه لطمه كما لطمه، فإن مات وإلا قتله بالسيف، أو حبسه في بيت حتى مات: أحبسه كما حبسه، فإن مات وإلا قتله بالسيف»

الرازي - آداب الشافعي ومناقبه ص ٣٠٢

## خلق الكرم في إبراهيم عليه السلام

يحكى أن إبراهيم - عليه السلام - نظر إلى البرية يوماً، فرأى رجلاً قد بلغ من الكبر عتياً، يمشى وفي يده عكازته، فقام واستقبله وأضافه وقدم له طعاماً، فلما طعم الرجل مع إبراهيم قال له إبراهيم: هلمّ نشكر الله الذي أطعمنا ورزقنا هذه النعم، ولكن الرجل أبي، وقال: لا أعرف الله الذي تقوله، وإنما أشكر إلهي الذي في بيتي (يعني صنمه)، فغضب إبراهيم وطرده الرجل.

فلماً ولّى الرجل عنه رجع إبراهيم باللائمة على نفسه قائلاً: إن الله سبحانه قد خلق هذا الشيخ، وحباه بجلال النعم، وأطال عمره، وقد مضى عليه الآن مائة سنة يكفر بالله ويجحده،

١ - هو السهم الذي لا ريش له كما في المختار والمصباح

ولا يؤدي شكر شيء من نعمه عليه، ومع إصراره على الكفر وتماديهِ في الضلال لم يقطع الله عنه نعمه المتواصلة، وأنا لأنى أطعمته مرة واحدة وخالف شورتى عبادة الله أطرده!! وأسف لذلك أسفاً شديداً.. فخلق الكرم في إبراهيم عليه السلام كان بالغاً حده الأعلى.

قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ١٥٢

## شروط التوبة

التوبة فرض على المؤمنين باتفاق المسلمين لقوله تعالى: «وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون» النور: ٢١. وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً» التحريم: ٨. ولها شروط أربعة: الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على ألا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياءً من الله تعالى، وخوفاً منه لا من غيره، فإذا اختل شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة.

وقد قيل: من شروطها: الاعتراف بالذنب، وكثرة الاستغفار الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان، لا التلفظ باللسان، فأما من قال بلسانه: أستغفر الله، وقلبه مصر على معصيته، فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار وصغيرته لاحقة بالكبائر.

القرطبي في التذكرة ص ٤٧



## احترام رأى المرأة فى الزواج

السؤال من القارئ ياسر محمد على عسل، من  
قلوب، يقول:

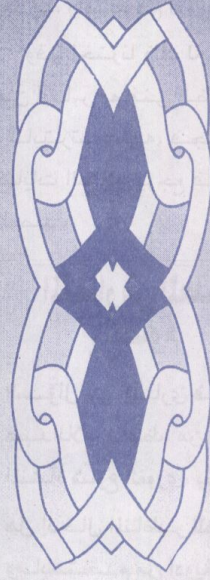
هل إذا رفضت البنت عريسا أجبرها والدها  
عليه تصبح عاقبة لوالديها .

الجواب - لا يجوز إجبار البنت على زواج من  
لاترضاه، ولا يعتبر رفضها لرغبة أبيها عقوقا، فإن  
العقوق يكون فيما يحتاجه الأب من الضروريات  
وتقصير البنت الغنية فى ذلك.

وقد صح أن خنساء بنت خدام زوجها أبوها  
وهى كارهة وكانت ثيبا، فأنت رسول الله ﷺ فردَّ  
نكاحها، رواه البخارى . وفى السنن أن جارية بكرا  
ذكرت للنبي ﷺ أن أباه زوجها وهى كارهة،  
فخبرها النبي . يعنى جعل لها الخيار فى إمضاء  
هذا الزواج وفى فسخه . وروى أحمد والنسائى  
وابن ماجه أن رجلا زوج بنته بغير استئذانها  
فشكت إلى النبي فجعل الأمر إليها، فلما رأت ذلك  
قالت : أجزت ماصنع أبى ولكنى أردت أن أعلم  
النساء أنه ليس للأباء من الأمر شئ .

وروى مسلم «لاتتكح الأيم . أى من لا زوج لها .  
حتى تستأمر ولاتتکح البكر حتى تستأذن» قالوا:  
يا رسول الله وكيف إذن؟ قال: «أن تسكت» وفى  
رواية «الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر  
تستأمر، وإذنها سكوتها».

فلا بد من احترام رأى المرأة فى الزواج، مع  
تعاون ولى أمرها فى اختيار زوجها دون إكراه لها،



أنت تسأل  
الفقيه<sup>9</sup> يجب

فضيلة الشيخ  
عطية صقر



## حلف اليمين

راجعها . على قول . وليس تمتعه بها زنا، وأولاده هم أولاده شرعا . وقد اخترنا ذلك لجهل كثير من الناس بمعنى الظهار وما يترتب عليه، فجعلناه من كنايات الطلاق يرجع فيها إلى القصد .

### المنظار في المعدة والصوم

السؤال من القارئ فتحي عبدالله حافظ، من مركز المنشأة شارع الغوري، يقول: هل إدخال المناظير للمعدة، وما يستخدم من أدوية داخل الأذن يفطر الصائم؟

الجواب : إدخال المناظير إلى المعدة إن كان من الفم أو الدبر يبطل الصيام لأنها دخلت من منفذ مفتوح بطبيعته من المنافذ الخمسة وهي : الفم، الأنف، الأذن، القبل، الدبر . فإن دخلت من غيرها فلا يبطل الصيام، وإدخال الأدوية في الأذن يبطل الصيام لأنها منفذ مفتوح.

السؤال من القارئ عبدالله على حسن، من أسوان، يقول: رجل حلف على زوجته أنها إذا خرجت تحرم عليه كامه وأخته ثم خرجت وأخفت عليه وقد أنجب منها أطفالا، فهل هذه الفترة زنى والأطفال أبناء حرام، وهل يصوم الرجل شهرين متتابعين رغم أنه لم يعلم إلا بعد فترة طويلة وبعد الإنجاب؟

الجواب : هذا يمين معلق يرجع فيه إلى نية الحالف . فإن كان يقصد بذلك تهديدها حتى لا تخرج، ولا يريد طلاقها، فلا يقع طلاق، وعليه كفارة يمين وهي إطعام عشرة مساكين، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام.

أما إن كان يقصد الخلاص من زوجته وتطليقها . إن كان يقصد بالتحريم الطلاق بناء على أنه من كنايات الطلاق وليس ظهارة . وقع الطلاق، أما إن كان يقصد بالتحريم عدم معاشرتها جنسيا فقط وليس الطلاق فلا يقع الطلاق وعليه كفارة.

وعلى كل حال لو كان يقصد الطلاق بالتحريم وعاشرها فقد

## تجهيز البنت للزواج والحج

السؤال من القارئ محفوظ العليمي، من كفر الشيخ . يقول:

أيهما أولاً تجهيز الابنة للزواج أم الحج إلى بيت الله الحرام؟ وما الحكم إذا كان ولد ويريد المساعد من أبيه؟

الجواب : - سبق أن قلنا: إذا تعارض واجب ومندوب قدم الواجب.

والحج واجب على المستطيع، أما مساعدته لبعض أولاده في الزواج فسنة ومندوبة فعليه أن يحج من عامه هذا على الفور على رأى الجمهور، فإن لم يحج وساعد أولاده كان عاصيا بالتأخير، وكان الحج واجبا عليه في أقرب فرصة لأنه دين عليه لا تبرأ منه ذمته إلا بأدائه، وعند الشافعي لا ذنب عليه في تقديم مساعدته لأولاده لكن عليه أن يحج في عام آخر، لأن الحج عنده واجب على التراخي. ولو مات وجب أن يحج عنه من تركته.



## في الصلاة

السؤال من

القارئ محمد

عبد الفتاح على، الشرقية، الحبش - المنافع - الإبراهيمية، يقول:

هل تجوز صلاة الجمع في المساجد التي فوقها مساكن؟

**الجواب :** صلاة الجمعة لا يشترط جمهور الفقهاء لصحتها أن تكون في مسجد ، بل تصح في أي مكان داخل البلد وخارجه، بدليل مارواه ابن أبي شيبة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى أهل البحرين «أن جمعوا حيثما كنتم» وإسناده جيد كما قال أحمد. وروى عبدالرزاق بسند صحيح أن ابن عمر كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون، فلا يعتب عليهم. لكن الإمام مالك رضى الله عنه قال. لاتصح الجمع في البيوت ولا في الفضاء، بل لا بد أن تؤدي في الجامع، وإذا تعددت الجمع فلا تصح إلا في المسجد القديم، أما الجديد الذي لاحاجة فيه فلا تصح. والمساجد التي فوقها مساكن، مادامت الأرض قد خصصها صاحبها للصلاة وصلى الناس فيها صارت مسجدا وله أحكام المساجد، وعليه فتصح صلاة الجمعة فيه، وإن كانت الصلاة في المسجد الكبير أفضل من الصغير، وقد سبق الحكم في ذلك في عدد ذي الحجة ١٤١٨هـ من المجلة.

## في العقيدة

السؤال من القارئ مهدي عطية السيد، من محافظة الاسكندرية/ المعمورة - يقول:

ما هو الفرق بين الكافر والملحد والمشرک والزنديق؟

**الجواب :** الكافر يطلق شرعا على من لم يؤمن بالإسلام، لقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ سورة آل عمران : ٨٥ . ويدخل فيه من كان له دين سماوى أو غير سماوى أولا دين له ، وذلك بعد مجئ الإسلام ، قال تعالى : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ سورة المائدة : آية ٧٣ .

والملحد هو المائل عن الحق إلى الباطل ومنه من أشرك بالله غيره، ومنه أيضا من وصف الله بغير ما هو أهله . والمشرک من جعل له شريكا ونفى عنه الوحدانية في الذات أو الصفات أو الأفعال، والزنديق كما في مختار الصحاح من الثنوية الذين يعتقدون أن هناك إلهين، إله للخير وإله للشر كما كان في فارس قديما، وذلك شرك . فالزنديق مشرك .

ويمكن التوسع في فهم هذه الألفاظ بالرجوع إلى كتب العقائد والمهم أن المذكورين في السؤال كلهم غير مؤمنين بما جاء به الإسلام .



## شهادة الزور

يغيب عن أذهاننا قول الله تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ سورة الزلزلة : ٧ - ٨

وإذا كانت الصفات من الذنوب تغفر بعمل أى عمل صالح كما فى قوله تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ سورة هود : ١١٤ . فإن الكبائر . التى منها شهادة الزور . لاتغفر إلا بالتوبة النصوح ، التى منها رد المظالم وتصحيح الأوضاع المغلوطة بسببها .

### تصوير المذكرات

السؤال من القارئ أحمد محمد الشيبينى ، كلية الطب . جامعة المنوفية ، يقول :

ماحكم الدين فى تصوير المذكرات والكتب الجامعية للاستفادة العلمية منها وتوفيراً فى ثمنها هل يعتبر ذلك سرقة لحق المؤلف؟؟

الجواب : هذه مسألة ينظمها القانون الوضعى ، ويؤخذ فيها رأى المؤلف والشخص الذى ينشر مذكراته عن طريق الطبع .

والذين يصورون المذكرات والكتب لقلة النفقات عن ثمنها لو اشتروها إن كان ذلك لهم فقط وليس للتجار فيها فأرى أنه لامانع منه شرعا ، لأن العلم مادام قد نشر فلاضرر من الاستفادة منه علميا .

لكن لو نشروها لغيرهم عن طريق التصوير فقد زاحموا الناشر المتعاقد مع المؤلف على ذلك ، ولم يأذن لغيره فهناك يمكن تدخل القانون لتنظيم هذه التجارة إن رأى فى التدخل خيرا ، وهذا الخير إما أن تراعى فيه مصلحة المؤلف والناشر أو مصلحة المتعلمين ، وللآراء مجال فى هذا الموضوع .

السؤال من القارئ جمال عبدالعليم ، السنبلاوين . كفر غنام ، يقول :

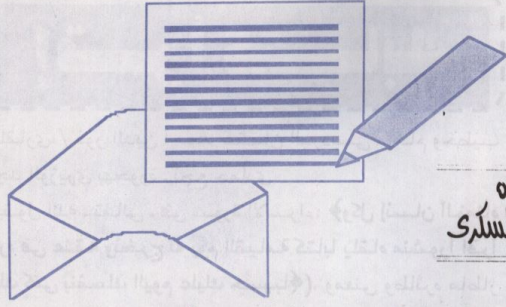
ماحكم الدين فى شهادة الزور؟ وهل تقبل صلاة شاهد الزور؟

الجواب : لايشك أحد فى حرمة شهادة الزور وفى أنها من أكبر الكبائر ، والنصوص فى ذلك أشهر من أن تذكر ، يكفى منها قول الله تعالى : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ سورة الحج : ٢٠ . وقول النبى ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاث مرات ، قلنا : بلى يارسول الله قال : الإشرار بالله ، وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت» . رواه البخارى ومسلم .

ويقول الهيئى فى كتابه «الزواج» : شهادة الزور هى أن يشهد بما لا يتحققه وهى من أكبر الكبائر حتى لو كانت فى شئ قليل على ماحققه الكثيرون من العلماء ، وذلك سدا لهذا الباب حتى لاتستعمل فى أى شئ ليس بحق .

أما قبول الصلاة من شاهد الزور ، فذلك أمر متروك له سبحانه ، وذلك على فرض أنه يضلى صلاة كاملة الأركان والشروط والخشوع والخضوع . وفى هذا الافتراض نظرا لأن الصلاة المقبولة تنتج البعد عن المحرمات كما قال سبحانه : ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ سورة العنكبوت : ٤٥ وفى قول مأثور : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا ، ومهما يكن من شئ فلا





بحره  
حسيه السكري

## من وصايا الإمام على

استغنى بعقله ذل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط  
الأنذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن  
جالس العلماء وفر ومن مزح استخف به ومن أكثر من  
شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه  
قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات  
قلبه ومن مات قلبه دخل النار، يابنى: الأدب ميزان  
الرجل وحسن الخلق وخير قرين، يابنى: العافية عشرة  
أجزاء، تسعة منها فى الصمت إلا عن ذكر الله - تعالى -  
وواحد فى ترك مجالسة السفهاء، يابنى: زينة الفقر  
الصبر وزينة الغنى الشكر، يابنى: لا شرف أعلى من  
الإسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيح أنجح من  
التوبة ولا لباس أجمل من العافية، يابنى: الحرص  
مفتاح التعب ومطية النصب



إنها قطعة فنية رائعة صاغت قريحة ملهمة وألمعية  
نادرة وهى فى الوقت نفسه مليئة بالحكم الراقية  
والزهد السامى والوصايا النادرة والنظر إلى الآخرة  
بقلب المؤمن الذى يقدر المواقب ويعلم مافى الحياة من  
شوائب فيتوخاها ويحذر منها ويدعو إلى التمسك  
بالتقوى فهى خير زاد فى يوم الميعاد وليس هناك فى  
دنيانا أجمل من لباس العافية ولا نفع من التوبة وترك  
مجالسة السفهاء، فالحياة فى نظر الإمام لاتساوى  
شروى نقيير.

للقارئ/ عزت فتحى سعد الدين - محاسب بشركة  
رامو - القاهرة

من أحسن ماقرأت ماجاء فى كتاب (المستطرف  
فى كل فن مستطرف) أن الإمام على - كرم الله وجهه -  
لما طعنه عبدالرحمن بن ملجم، دخل منزله فاعترته  
غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين - رضى الله  
عنهما - وقال: (أوصيكما بتقوى الله - تعالى - والرغبة  
فى الآخرة، والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شئ  
فإنكما منها وإنكما عنها راحلان، افعلا الخير وكونا  
للظالم خصما وللمظلوم عوناً، ثم دعا محمدا ولده  
وقال له: أما سمعت ما أوصيت به أخويك؟ قال: بلى،  
قال: فإنى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما  
ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما، ثم أقبل  
عليهما وقال: أوصيكما به خيرا فإنه أخوكما وابن  
أبيكما وأنتما تعلمان أن أباه كان يحبه فأحياه، ثم قال:  
يابنى أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة  
الحق فى الرضا والفضب والقصد فى الغنى والفقر  
والعدل فى الصديق والعدو والعمل فى النشاط  
والكسل، والرضا لله فى الشدة والرخاء، يابنى: من  
أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضى  
بما قسم الله لم يحزن على مافاته ومن سل سيف  
البغى قتل به ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ومن هتك  
حجاب أخيه هتك عورات بنيه ومن نسى خطيئته  
استعظم خطيئته غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن



## اقرأ كتابك

للقارئ/ نور الدين أحمد عثمان البرديسي - إمام وخطيب مسجد الوزيري بهجورة - نجع حمادي

يقول الله - تعالى - في سورة الإسراء: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾، ومعنى وطائره ماطر عنه من عمله من خير أو شر كما قال ابن عباس - رضى الله عنه - ومجاهد: ويلزم به ويجازى عليه، قال سبحانه: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ ويقول جل جلاله: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾، ويقول عز من قائل: ﴿وإن عليكم لحافظين كرام كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلا ونهارا، صباحا ومساء، وقال الإمام أحمد، عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «طائر كل إنسان في عنقه» وقوله تعالى: «ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا» أى نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة إما يمينه إن كان سعيدا، وإما بشماله إن كان شقيا، وقوله تعالى: «منشورا» أى مفتوحا، يقرأه الإنسان وفيه جميع عمله من أوله إلى آخره، «ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخّر»، وذات يوم بكت السيدة عائشة رضى الله عنها. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك؟» فقالت: ذكرت النار فيكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «أما هي ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحد: عند تطاير الكتب حتى يعلم كل إنسان أيؤتي كتابه يمينه أم بشماله، وعند وضع الميزان حتى يعلم أيخف أم يثقل، وعند الصراط حتى يعلم أيجوز أم يسقط»

❖ ❖ ❖

يقول الله تعالى: «أيحسب الإنسان أن يترك سدى» ويقول سبحانه في آية أخرى: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء» فلا مفر ولا مهرب مما يعمله الإنسان في حياته من عمل فهو مسطور عليه وسيلقاه أمامه يوم الدين، (يوم لا ينفع مال ولا بنين إلا من أتى الله بقلب سليم) فما أخرجنا إلى هذا القلب النقي الطاهر السليم.

## محاسبة النفس

للقارئة/ عبير عبد الحكيم راتب - ثانية عربى - كلية البنات الإسلامية بأسسيوط  
قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ سماء الله بهذا والمقصود به يوم القيامة، والمعنى لدنوه وقربه، أو لأن الدنيا كيومه والآخرة كغده، وفي هذا إشارة إلى المحاسبة على مامضى من الأعمال، وروى البيهقي في الزهد من حديث أنس رضى الله عنه. ولفظ الحديث: أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أى المؤمنين أفضل؟ قال: (أحسنهم خلقا، قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك هم الأكياس) وقال عمر. رضى الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا) رواه أبو نعيم في الحلية، وقال الحسن البصري رحمه الله: (المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله، وإنما خفى الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة) وقال ابن القيم رحمه الله: (ومن منزلة المحاسبة يصح له نزول منزلة التوبة، إذ التحقيق أن التوبة بين محاسبتين، محاسبة قبلها تقتضى وجوبها، ومحاسبة بعدها تقتضى حفظها، فهي محفوفة بين محاسبتين)

❖ ❖ ❖

محاسبة النفس أمر ضروري لكل عبد من عباد الله حتى لا يغفل الإنسان عن أعماله السيئة ويتغاضى عن مآثمه ويترك لنفسه الحبل على الغارب فترتع في مراتع الفوارة والضلال والرسول - صلى الله عليه وسلم - يأمرنا بمحاسبة النفس في كل أعمالنا وتصرفاتنا حتى لا تتفاقم الأمور عند صاحبها ويصعب عليه التخلص من معاصيها، والشاعر يقول:

والنفس من خيرها في خير عافية  
والنفس من شرها في مرتع وخم



## الغنى الحقيقي

للقارىء/ ناجح حامد محمد حسين - كوم  
المنصورة أنبوب - أسيوط - إمام وخطيب



روى الحاكم والبيهقي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أوصني وأوجز يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه) وهذه الوصايا النبوية الكريمة حددت معالم الطريق وبينت أسباب النجاة والسلامة من داء الطمع لأن فيه الغنى الكامل إن أردت أن تكون غنياً عن الناس غير محتاج إليهم فكان قنوعاً بما في يدك وأرض به وانظر إلى من هو أسفل منك ولا تنظر إلى من هو فوقك، لأن الناس عادة لا يحبون من ينازعهم ما في أيديهم، وقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم - وقال له: يارسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) أخرجه ابن ماجه، ويقول الحسن البصري - رضى الله عنه -: (لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياهم فإذا فعل (أي طمع)، ومال إلى مافى أيدي الناس) استخفوا به وأبغضوه وكرهوا حديثه، وقد جاء رجل أعرابي لأهل البصرة فقال لهم: يا أهل البصرة من سيدكم؟ فقالوا الحسن البصري، فقال لهم: وبم سادكم؟ فقالوا له: احتاج الناس إلى علمه

روى الحاكم والبيهقي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أوصني وأوجز يارسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه) وهذه الوصايا النبوية الكريمة حددت معالم الطريق وبينت أسباب النجاة والسلامة من داء الطمع لأن فيه الغنى الكامل إن أردت أن تكون غنياً عن الناس غير محتاج إليهم فكان قنوعاً بما في يدك وأرض به وانظر إلى من هو أسفل منك ولا تنظر إلى من هو فوقك، لأن الناس عادة لا يحبون من ينازعهم ما في أيديهم، وقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم - وقال له: يارسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) أخرجه ابن ماجه، ويقول الحسن البصري - رضى الله عنه -: (لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياهم فإذا فعل (أي طمع)، ومال إلى مافى أيدي الناس) استخفوا به وأبغضوه وكرهوا حديثه، وقد جاء رجل أعرابي لأهل البصرة فقال لهم: يا أهل البصرة من سيدكم؟ فقالوا الحسن البصري، فقال لهم: وبم سادكم؟ فقالوا له: احتاج الناس إلى علمه

### ماء زمزم

● ماء زمزم .. يأتي من بئر عميقة ، من باطن الأرض منذ آلاف السنين ، ويرجع تاريخه الى اليوم الذي جاء فيه سيدنا ابراهيم من الشام، حيث ترك زوجته هاجر وابنه اسماعيل عند البيت الحرام، وقد نفذ ما عندها من ماء فأخذت تجري بين جبلي: متقابلين، هما الصفا والمروة .. وعندها عادت الى طفلها وجدت الماء يتدفق تحت قدميه .. فحوطت هذا الماء وهي تقول له زم .. زم ، أى لا تتبدد ولا تضيع ، ومن يومها أخذت البئر هذا الاسم.



للقرارىء / إسلام رمضان الأقرع - أخناواى . بفضل الله ، وقيل للقاضى أبى الطيب: قد كبر

طنطا

## المعصية تكون من سبع

قال الإمام فخر

الرازى - رحمه الله - فى

تفسيره: لا تكون المعصية

إلا من الأعضاء السبعة

وهى: الأذنين والعينان واللسان واليدين والبطن

والرجلين والفرج، وهذه الأعضاء فيها الخير ومنها

الشر أيضا: فمعصية الأذنين: التصنت على الناس

والتجسس، ومعصية العينين: النظر بشهوة إلى

النساء، ومعصية اللسان: الكذب والفتنة، ومعصية

اليدين: القتل والسرقة، ومعصية البطن: أكل

الحرام وأكل مال اليتيم، ومعصية الرجلين: المشى

للمسلاهى وأماكن الشر، ومعصية الفرج: الزنا

والحمل الحرام، ويقول: وأبواب النار سبع، ولأله

إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات، فكل كلمة

تكفر معصية عضو، وتسد بابا من أبواب جهنم

سنة ولم تتغير أعضاؤك؛

فقال: حفظتها فى

صغرى فحفظها الله فى

كبرى، وصدق من قال:

راحة الجسم فى قلة

الطعام وراحة الروح فى قلة الآثام وراحة القلب

فى قلة الاهتمام، وراحة اللسان فى قلة الكلام.



أعضاء الجسم كلها عند معظم الناس لا تكف

عن اقتران الآثام فى هذه الحياة، وقد يأتى الإثم

تلقائيا أو عنوة أو بالمصاحبة أو المجاورة،

والحصىف من رزقه الله - سبحانه - الفطنة وحسن

التصرف وعدم الإنقياد لهواه وللناس، فبالناس

يختلفون فى ميولهم ومشاريهم وطباعهم، والمائل

من عقل طباع الناس وعرف أمر نفسه حتى يكون

بمأمن من الجوارف والزلات.

### مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - ربيع الأول ١٤٢٠ هـ (٧)

السؤال: يابنى: من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضى بما قسم الله لم يحزن

على ما فاتة؟

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال: ..... اسم الكاتب: .....

العنوان: .....

العميل: .....

اسم المتسابق: ..... رقم التليفون: .....

رقم البطاقة: ..... جهة الصدور: .....

املا بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى

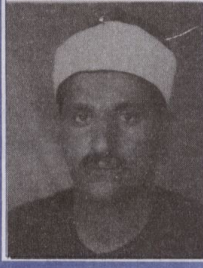
أن تفوز بالحج أو العمرة علما أن مسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤١٩ هـ حتى شعبان ١٤٢٠ هـ



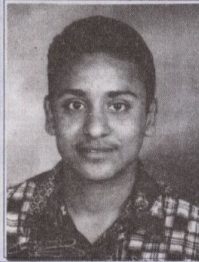
# أهـ



الاسم :عبدالرحمن  
عبدالسلام سلامة  
الهواية : والاطلاع  
الدينى والخطابة  
العنوان : عزبة مسيحة .  
مركز ديرب نجم . شرقية

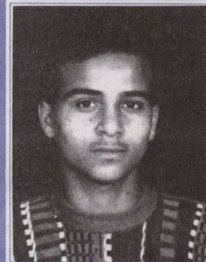


الاسم :محمود محمد  
حسين  
الهواية : القراءة  
والاطلاع الدينى  
العنوان : سرس الليان  
- منوفية

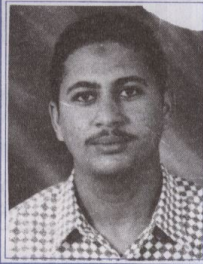


الاسم : مصطفى  
أحمد مصطفى  
الهواية : قراءة الكتب  
الدينية  
العنوان : عطفة  
المكاريه شارع السيوفية

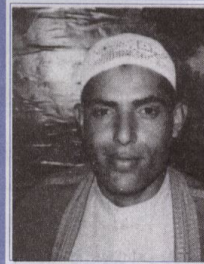
الاسم : حسن صلاح  
حسن  
الهواية : القراءة  
الدينية  
العنوان : ٨ عطفة  
الخلوانى - السيدة عائشة



الاسم : محمد  
عبدالحميد الشاذلى  
الهواية : حفظ القرآن  
والاطلاع الدينى  
العنوان : كفر ديمه .  
كفر الزيات . الغربية

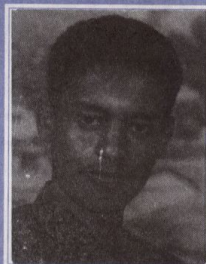


الاسم : مسعد  
السنوسى على  
الهواية : مطالعة كتب  
التصوف  
العنوان : الصالحية -  
أبو حمص - بحيرة



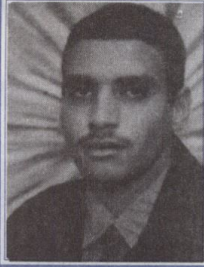
الاسم : عبد الله  
عبدالعليم حسن  
الهواية : البحث  
والثقافة والاطلاع  
العنوان : منيل دويب -  
أشمون - منوفية

الاسم : رمضان  
إبراهيم بشير  
الهواية : المراسلة -  
والقراءة  
العنوان : قنا - أبو  
دياب شرق

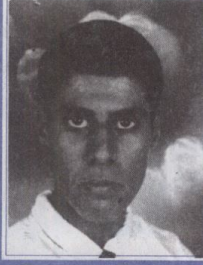




الاسم : أحمد رشاد  
الشيخي  
الهواية : الاطلاع  
الديني والخطابة  
العنوان : الشبكة -  
شالما - كفر الشيخ

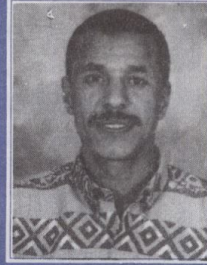


الاسم : رضا كمال  
إبراهيم  
الهواية : حفظ القرآن -  
قراءة الكتب  
العنوان : قرية النشو -  
مركز إيتاي البارود - بحيرة

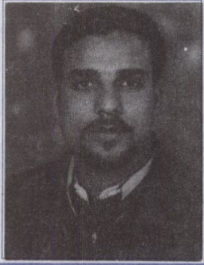


الاسم : عصام هاشم  
خلف  
الهواية : كرة القدم  
العنوان : سوهاج -  
المنشأة - المسيرات -  
أولاد حمزة - الشيخ  
دفع العوارف

الاسم : صلاح الدين  
حجي محمد  
الهواية : الاطلاع  
الديني والخطابة  
العنوان : نزلة السمان -  
الهرم - الجيزة



الاسم : أيمن فتحى  
أبوزيد  
الهواية : القراءة  
والاطلاع  
العنوان : جزيرة بلى -  
مركز بنها - قليوبية

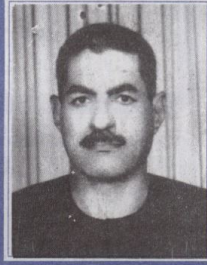


الاسم : رجب سعيد  
جاد  
الهواية : المراسلة  
العنوان : سنتريس -  
أشمون - منوفية



الاسم : منصور أحمد  
زيدان  
الهواية : الاطلاع  
الديني - المسابقات  
العنوان : نمرة البصل -  
المحلة الكبرى - الغربية

الاسم : السيد  
السنوسى على  
الهواية : مجالسة  
العلماء  
العنوان : الصالحية -  
أبوحمص - بحيرة



### تعارف منبر الإسلام

ترجو المجلة من قرائها فصل الكويون  
المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به  
 وإرساله إلينا

الاسم :  
الهواية :  
العنوان :



## محتويات العدد

|     |                                      |   |
|-----|--------------------------------------|---|
| ١   | كلمة التحرير                         | □ |
| ٢   | حديث الشهر                           | □ |
| ٦   | ياسيدي يارسول الله (شعر)             | □ |
| ٧   | القرآن الكريم وعلموه                 | □ |
| ٨   | تفسير سورة الحديد                    | ● |
| ١٢  | خلق الرجاء                           | ● |
| ١٨  | شكوى حال الأمة إلى رسول الله ﷺ (شعر) | ● |
| ١٩  | دراسات في السنة المطهرة              | □ |
| ٢٠  | الكتاب والسنة صنوان أصلهما واحد      | ● |
| ٣٩  | شروط الإمام النسائي في كتابه         | ● |
| ٤٢  | سيدة الأمهات أمة بنت وهب             | ● |
| ٤٧  | وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين        | □ |
| ٤٨  | الرسول ﷺ يبني مجتمع المدينة          | ● |
| ٥٢  | طلب حيا وميتا ياسيدي يارسول الله     | ● |
| ٥٦  | أقنى الناس لله                       | ● |
| ٥٩  | سنة الرسول ﷺ في بناء القادة          | ● |
| ٦٢  | محمد ﷺ عند علماء الغرب               | ● |
| ٦٦  | خلق المسلم قبس من نور النبوة         | ● |
| ٦٩  | حاجة المسلم إلى التأسي بالنبي ﷺ      | ● |
| ٧٢  | الإمام الحسين بن علي كرم الله وجهه   | ● |
| ٧٦  | رجال من المدرسة النبوية              | ● |
| ٨٠  | مفهوم العدل في الإسلام               | ● |
| ٨٣  | الدعوة والدعاة                       | □ |
| ٨٤  | حول حق الزوجة في الخلع               | ● |
| ٨٨  | أسد الغاية لابن الأثير               | ● |
| ٩٢  | القرار المكين                        | ● |
| ٩٤  | عبدالله بن رواحة                     | ● |
| ٩٧  | كشمير ماضيها وحاضرها                 | ● |
| ١٠١ | إعجاز القرآن في مقارنة الأديان       | ● |
| ١٠٥ | وراء الأخبار                         | ● |
| ١٠٩ | دراسة في فكر مضطرب                   | □ |
| ١١٠ | تقرير عن مقترح التربية الدينية       | ● |
| ١١٧ | الشفاعة عند السلف والخلف             | ● |
| ١٢٤ | على رسلك يا معالي الدكتور            | ● |
| ١٢٧ | الحج أشهر معلومات                    | ● |
| ١٣٢ | وعلى الحبيب صلاتنا (شعر)             | ● |
| ١٣٣ | قطوف دانية                           | ● |
| ١٣٥ | أنت تسأل والفقير يجيب                | ● |
| ١٣٩ | مع القراء                            | ● |
| ١٤٣ | بريد التعارف                         | ● |



**يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية**  
أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم  
فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأهميات  
الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:



### أهميات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر نوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بقوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص النواى من ١ : ٤

### المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم مجلد فاخر
- المصحف المعلم ٢٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

### وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

### مراكز البيع

- |                                                                   |                                               |                                    |
|-------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------|------------------------------------|
| القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى                              | ٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير | مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا |
| مكتبة مسجد النور بالعباسية                                        | ٧٦ شارع الجمهورية (شرايط القرآن الكريم)       |                                    |
| الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول |                                               |                                    |

مطابع الأهرام التجارية - قلوب - مصر